هوامش في تاريخ الكتاب المقدس

سعد قادري الترجمان

ط 1 - 2009

http://kotob.has.it

هوامش في تاريخ الكتاب المقدس

تأليف :
سعد قادري الترجمان

الرباط 2009

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الإهداء

- إلى أخي أحمد

تداعبه أحلامه بالروحانيات العلا؛ ويدرك أن هذا الإنسان إبداع في حجم ذرة من ملكوت الخالق الأعظم .. فليجد في هذا السفر محاولة ربما أرادها مع أديان الشرق القديم.

"...ولن يغلب العسر يسرين..." وكان اللقاء.

فليحفظه الله دوما.

مع محبتي : سعد

الرباط 25 أبريل 2009

- إلى ابنتي مارية... علّها تتم الدرب وتدرك معنى الحياة.

وفقك الله؛ مع حبي.

والدك.

- إلى أطبائي في مصحة القلب والشرايين بالرباط ...

- إلى جميع الأحبّة... والأشقّاء والأخوة والأصدقاء.

سعد قدري

الرباط 2009

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

توطئة واستهلال ——— 9
مقدمة ——— 11
مدخل:
الكتاب المقدس بعهده القديم : الكتب والتوراة عند اليهود ——— 15
1 - تقسيمات العهد القديم والتعريف بالكتاب المقدس ——— 19
2 - مقارنة اعتماد اليهود والمسيحيين لنصوص التوراة ——— 20
3 - مخطوطات التوراة ونصوصها المختلفة ——— 22
4 - لمحة تاريخية في تاريخ الكتاب المقدس ——— 24
5 - كتب العبرانيين الأخرى المقدسة : ——— 26
أ - الكتب التاريخية ——— 26
ب- الكتب النبوية ——— 27
ج - كتب الشعر والحكمة ——— 27
1 - الباب الأول: دراسة في المناهج النقدية للكتاب المقدس:
الكتب والتوراة عند اليهود: ——— 29
A- الجزء الأول: في المنهاج النقدي للأساليب اللغوية ومصادر ومحتوى التوراة ——— 31
1 - حول نظرية تعدد المصادر والنسخ ——— 35
2 - النقد الداخلي للنصوص ——— 37
3 - جداول توضيحية ——— 39
a - توزيع النصين اليهوي والإلهيمي والكهنوتي في الإصحاحات من 1 إلى 11 من سفر التكوين ——— 39
b ملحق إضافي لسفري العدد واللاويين ——— 41
B- الجزء الثاني: المنظور النقدي العلماني الاركيولوجي ——— 45
1 - بناء على نظرية الرقيمات البابلية ——— 49
a- القبول المشروط بقدسية التوراة (جان بوتيرو كمثال) ——— 50
b- الهامش المشترك للمادة الأسطورية بالتوراة : (الأب قاشا كمثال) ——— 55
- بعض الأسفار كتحليل ——— 56
- حول قصص الخلق واستعاراتها ——— 59
c- ملحق للإطلاع : حول سغموند فرويد ودعواه ——— 63
2 - بناء على نظرية الأسطورة بالجوار والأخذ عنها ——— 67
(نظرية الرفض الكلي لقدسية التوراة)
a - العبريون وأصولهم واليهود ——— 67
b - بعض القصص في الكتب اليهودية وفي الجوار ——— 72

http://kotob.has.it

- قصة الخليفة في سفر التكوين ——— 73
- سقوط الشيطان ——— 73
- نوح والطوفان ——— 75
- إبراهيم وأسرته ——— 76
- يعقوب في كنعان ——— 80
- يوسف ——— 80
c- رحلة مع ماوراء الأسطورة ——— 82
C- الجزء الثالث: حول محاولة توفيقية لنظريتي المصادر الأسطورية والرقيمات البابلية ——— 85
1 - استنتاجات وتقديم ——— 87
2- تحليل حول أن الدعوة تواجدت واحدة أصلا في المنطقة ——— 89
3- موسى ودعوة التوحيد وما ورد في أسفار الخروج والأحبار والتثنية ——— 90
4 - أخذ الشعوب عن بعضها البعض ——— 92
5 - خلاصات ختامية حول تصحيح التوراة للمادة الأسطورية في الجوار ——— 95
2 - الباب الثاني: تطبيقات لمحتوى وتاريخ وأساليب كتابة النصوص المقدسة اليهودية ——— 97
A- الجزء الأول: في المحتوى وأساليب الكتابة: دراسة مقارنة ——— 99
1 - من هم الكتبة الحقيقيون لأسفار التوراة ؟ ——— 101
2 - قراءة سريعة للتوراة بنصيها العبري والسامري ——— 106
a- تناقضات في الروايات التوارتية ——— 107
b- حول وثيقة التكوين القمرانية ——— 110
3 - حول اللغة العبرية المقدسة والمقروء والمكتوب فيها ——— 111
- حول مصداقية مخطوطات قمران وحقيقتها مقارنة بالتوراة ——— 112
4 - حول ذكر بني إسرائيل في الكتب المقدسة في مجال التخصيص قصد الإجمال ——— 114
a- حول أصول اليهودية وتاريخها ——— 115
b- حول الحق التاريخي لليهود ——— 116
5 - مبحث للإطلاع في أصول البحث عن دلالات الألفاظ في الكتب المقدسة من خلال علم أصول الحضارات القديمة ——— 117
B- الجزء الثاني: ملاحق تطبيقية واستنتاجية: دراسة توثيقية ——— 125
1- ملحق 1 : حول روجيه غارودي وقضية إسرائيل والصهيونية السياسية ——— 127
2 - ملحق 2 : حول معتقد اليهود بأقلامهم في الأرض المقدسة : داينيل صابوني والأديان التوحيدية الثلاث ——— 128

http://kotob.has.it

3 - ملحق 3 : باروخ سبينوزا وشذرات من كتاب في اللاهوت والسياسة ——— 131
4 - ملحق 4 : زلمان شازار وتاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور وحتى العصر الحديث ——— 136
C- الجزء الثالث: النتائج التاريخية لمحتوى تراث ضخم ولكن مفتت للشعب اليهودي - استنتاجات ——— 153
1- حول المسيرة التاريخية لتطور العقيدة اليهودية في التوراة ——— 155
2 - تلخيص حول الأسفار الأولى وقصصها ——— 160
3- تاريخ وأساليب كتابة العهد القديم ——— 163
a- تاريخ اليهودية وأهداف التوراة ——— 164
b- دحض الحق التاريخي علميا ——— 167
4 - دراسة نقدية لسفري الخروج والتكوين ——— 170
5 - الموقف الكنسي ومنظور الكهنة والأحبار ——— 173
خاتمة وتوضيح ختامي: ——— 177
- حول النبوءات بمقدم محمد بن عبد الله في نصوص التوراة وحول البشارات بالأنبياء التالين في الكتب المقدسة اليهودية ——— 182
- حول دعاوي اليهود المعاصرة بأرض الميعاد وموقف الإسلام منها ——— 183
- جدول زمني في تاريخ المنطقة ——— 186

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

بسم الله العلي الكبير سبحانه

توطئة واستهلال

سطرت هذه الكلمات عن الكتاب المقدس وفق رؤية نقدية - تاريخية . . . وأنا أنظر بكثير من الحنين والمحبة لأصدقاء مقاعد الدراسة من مسيحيين وحتى بعض من اليهود وأصحاب المذاهب الأخرى وذلك من خلال مراحل طفولتي ويفاعتي بمدارس دمشق .

وهو ما أفضت له سنوات من القراءة والإطلاع والدراسة الموضوعية للنصوص المقدسة والدراسات النقدية حول نفس الموضوع . وقد حاولت عبر ذلك من خلال هذه الأوراق التزام الإقناع وذلك في كل ما أعرض ؛ ولعل النتائج التي سيتوصل إليها القارئ قد كانت ثمرة هذا الجهود وعبر استقراء لمجموعة من الأديان والملل وكتبها المتوفرة وذلك على قدر الحصول عليها أو في الحصول على مخطوطات وملفات مختلفة ومن مصادر هذه العقائد نفسها وبأقلام نقادها بعينهم . مع العلم أني خريج تكوين مدرسي بعيد عن التعصب الأعمى ويؤمن بالتعايش مهما كان نوعه ، واللّه نوره في كل مكان .

فليجد الجميع فيما بين أيديهم اليوم محاولة بحثا عن تحكيم العقل والبحث العلمي دون الأفكار القبلية والمسبقة وبعيدا أيضا عن كل روح عدائية تجاه أي كان .

أما أخواني من أهل العقيدة من المسلمين ، فأرجو أن يكون هذا الكتاب مدخلا لترسيخ مفاهيمهم في صحة قدسية كتابهم وحفظه تنزيلا وإعجازا ووحيا مقارنة بغيره من الكتب السماوية وهو ما سأفرد له كتابا خاصا من نفس هذه السلسلة لاحقا إنشاء اللّه .

الرباط أول مارس / 2003

سعد قدري الترجمان

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

مقدمة

. . . بعد قراءتي للأناجيل والرسائل بكاملها وبلغات مختلفة ووفق ترجمات متخالفة . . . كما أنني قد أطلعت على بعض أسفار التوراة الرئيسية وخاصة الأسفار الخمسة الأولى مع متفرقات والأناشيد ؛ أقول واستنادا إلى طبعات ولغات متباعدة ؛ حتى أني قد حاولت الرجوع إلى العبرية عبر تعلم النذر اليسير منها وفك الاشتقاقات الآرامية وبعض رموز اللاتينية رغم قصوري الفاضح .

ولعل مايخامرني اليوم- مع الابتعاد عن انتقاد أسلوب الصياغة اللغوية للكتب المقدسة اليهودية والمسيحية - هو أن اللّه لايمكن أن يعلم الناس إلا الحقيقة ؛ خاصة إذا علمنا أن بعض الكتب والأسفار تنسب كتابتها لأنبياء بعينهم وبوحي إلهي .

فلابد- وهو رأيي الشخصي- أن التوراة اليهودية كانت خلوة تماما - عند تنزيلها وعلى مراحل وعلى أنبياء كثر- من ذلك التعداد المثير للملل وتلك الأشجار التفصيلية للأنساب - وأغلبها خاطئ - وذلك الإحصاء للأفراد والقبائل وهذه التواريخ بإسهاب والأسماء والتي في أغلب الأحيان فهي غالطة تماما وإنما جاءت عرضيا وليست من المقدس في شيء . وذلك الحشو المتكرر بلاطائل وكله تصحيف . فالتوراة - على الأقل- وككل كتاب إلهي هي مجرد تذكير بآلاء الخالق العليم من آيات الكون والخلق والإنسان مع ذكر لبعض القصص كعبرة وتصحيح لتعاليم المنطقة ووجود تشريعات عرفت بعض النسخ والتعديل على مرور الأيام . . وهو ما يقارب الواقع من حيث ضرورة خلو كتاب كهذا من الغلط الفاحش والأخطاء والتناقضات الصارخة والمخالفة للعلم والعقل فيما لو سلم من الشرح والتعاليق والإضافات والتي أضحت تشكل جزءا منه ؛ وأضحت هذه الإضافات مقدسة كما هو كلام اللّه المقدس أيضا . . . وشتّان بينهما . وكله لاحق ومناقض عبر تحليله للبحث والعلوم .

فربما كان ماورد من حشو وتصحيح في الكتاب المقدس هو من سبيل الشرح أو الإسهاب أو أنها كانت أحداثا معاصرة أو شبه متناثرة في الذاكرة والمخطوطات مالبثت أن أدمجت في الأسفار المقدسة مع البتر والتحوير والتعديل وأخطاء النساخ لما وجد متناثرا أوفقد تماما . . . وغير ذلك - وكل ما أسلفنا يصدق عليه هذا الوصف ؛ إذ أنه من الثابت أن أيا من الكتب النبوية المقدسة لم تثبت كتابتها وحفظها معاصرة للنبي المنسوبة إليه وذلك في أي عصر كان ومهما كانت طبيعة السفر المقدس . . . فما بالنا بالأسفار المنسوبة لبداية اليهودية مع موسى؟؟؟ وكلنا يعلم من خلال الدراسة وأقوال العلماء وحتى الكهنة

http://kotob.has.it

منهم - أي اليهود- أن الأياد البشرية ظلت تعبث بالكتب والأسفار المقدسة إلى حين إثباتها كتابة نهاية القرن الميلادي الأول قاطعة مسيرة 1400 عام تقريبا ؛ وذلك بين أخذ ورد .!!

. . . واللّه سبحانه وتعالى لايقول أو يعلم إلا الصدق والحقيقة . . .

ولعل كثيرا مما جاء هو محق ولكن يبقى ذلك هو النذر اليسير في التوراة أو الأناجيل وفيا لأصوله الأولى . وأرى ختاما أن هذه الكتب كانت مجردة في صيغتها الأولى المنزلة من التفاصيل ومن كل تلك الإضافات والحشو الذين ذكرناهما ، والتي وجدت بعد ذلك بردح من الزمن .

. . . أما حول الكتابات اليهودية المقدسة ، فإنه وقبل تكون وتشكل الكتابات المقننة للتوراة العبرانية فهذه الأخيرة لم تأخذ نواتها الأولى على شكل 24 كتابا إلا حوالي نهاية القرن الميلادي الأول أو القرن الثاني . حيث يشكل هذا المجموع مايسمى بالتوراة والكتابات النبوية والسيرة وهو مايطلق عليه اسم الكتاب المقدس اليهودي وهو مشتق من اليوناني Bibliqa بمعنى المكتبة . وقد أعيد هذا التقنين حوالي منتصف القرنين الميلادي السابع والقرن العاشر من خلال بعض أحبار منطقة طبرية حيث أصبح الكتاب المقدس يعرف بالنسخة الماسورية منذ ذلك الوقت . ولا تعود أقدم المخطوطات له إلى أبعد من بدايات القرن العاشر بعد الميلاد .

وهناك بعض النسخ المعروفة للتوراة العبرانية كما أن هناك النسخة السامرية وأقدمها يعود إلى القرن السابع ميلادي . هذا ويعتقد البعض أن النص الماسوري هو أقدم مخطوط وعنه جمع وأخذت بقية المجموعات والكتب بعد تعديلات في صلب النصوص .

أما كتابات قمران فقد مهدت للنص الماسوري . و«كانت سابقة عليه» (وبذلك نلاحظ هذه المسيرة الطويلة لإثبات الكتاب المقدس اليهودي والاعتراف بقدسية بعض الأسفار بين الطوائف ، ودور الزمان ويد الإنسان في ذلك) .

هذا وإن عملية تقنين الأسفار ، لم تكن بعملية يطبعها الانسجام بل لقد تم ذلك وفق اختيار وأفضلية متباينة حيث لم تخضع جميع الكتابات لنفس السلطة وتفرض نفسها بنفس القوة .

وقد كانت بعض الكتابات تنسخ وإلى القرون الوسطى ولكن البعض الأخر قد فقدت تماما كلية هذا لو لم توجد مخطوطات قمران التي تم اكتشافها كشاهد حي على هذه الكتابات وأقدمها جميعا ، وذلك عام 1948 ولكن وللأسف فقد شوهت عند التعليق عليها وحاولت بعض الجهات إخفاء معالمها وسنتناول كل ذلك عبر هذا الكتاب ورغم ذلك فإن الكتاب المقدس بواقعه المحفوظ اليوم يبقى تراثا وإرثا يمكن بل يجب الاستفادة منه في الدراسات المقارنة للمنطقة كأحد المصادر جنبا إلى جنب مع الأدوات الأخرى . . . وكما سنرى في دراستنا فسنلمح بقية لأثر هو حتما مقدس من تبليغ إلهي باق دوما .

http://kotob.has.it

ولعله ليس من دواعي بحثنا هذا تقزيم أو تحطيم أو مجرد انتقاد الكتابات اليهودية والمسيحية وغيرها عبر نقدنا لطريقة تدوينها وحفظها وبالتالي مصداقية العقيدة المحتواة بين جنباتها . . . فكل دين وكل عقيدة تحمل في طياتها بذور الخير والصدق ومكارم الأخلاق والاستقامة وكل الصفات ؛ كأحد مسالك الفرد أو الجماعة المنضوية تحت هذا اللواء وذلك قصد تحقيق العدالة والانسجام وهو مانلمسه فيما هو مجموع لدينا في جوهره وروحه .

فكل مذهب ديني مهما كان لابد وأنه يحمل تباشير أولية عن فكر ما ربما يؤدي إلى الخلاص والسعادة في الدارين ولكن يد التشويه لبعض التعاليم مع غموضها عملا بعوامل الزمن وبعد الفترة قد أدت إلى الكثير من المغالطات خاصة المنطقية منها أو العلمية أو المستحيلة عقلا مع وجود تجدد الرسالات وتصحيحها . وربما يستطيع القارئ أن يقنع - لمن شاء - إن الكتابات اليهودية والمسيحية قد طالتها يد التحريف والتشويه والتصحيح والترميم والتصحيف والحذف والبتر والإضافة من أياد بشرية وعلى مدى تاريخ هاتين الرسالتين ولم يبق وفيا تماما ككتاب سماوي إلهي باق صادق كما نزل إلا كتاب المسلمين «القرآن» والذي سلم وعبر مسيرة التاريخ من أي تلاعب وذلك وفيا لصحف محمد رسول الإسلام نقلا عن الوحي الإلهي وإلى يومنا هذا مع إقرار من قرأ هذا الكتاب بعقل صاف ورؤية بنواحي إعجازه المستمرة وعلى جميع الأصعدة خاصة العلمية اليوم .

وسنورد لهذه الفكرة وكما أسلفنا في التوطئة كتابا يصدر في وقته بإذن الله العلي . . .

والنتيجة الحقة والدراسة العلمية النقدية الموضوعية الفاحصة لجمل البلاغات الإلهية في الكتب السماوية - وإذا مانحينا جانبا العدائية الواضحة أو منطق الدعوة والتبشير - فسنصل على الإقرار بما أسلفنا وذلك بالحجة والدراسة والبرهان ، وأرجو من قارئي الصبر والتريث قبل إصدار حكمه . والله حق وصدق ونور واستبصار وتعقل ومن جهل الشيء عاداه .

وسلام

الرباط
28/04/2000

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

مدخل

الكتاب المقدس بعهده القديم :

الكتب والتوراة
عند اليهود

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المدخل ويشمل المباحث التالية :

1- تقسيمات العهد القديم والتعريف بالكتاب المقدس
2 - متفرقات لاعتماد اليهود والمسيحيين للكتب المقدسة ومذاهبهم الغالبة
3 - مخطوطات التوراة ونصوصها المختلفة
4- لمحة تاريخية في تاريخ الكتاب المقدس اليهودي
5 - كتب العبرانيين المقدسة الأخرى

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

***1 تقسيمات العهد القديم والتعريف بالكتاب المقدس:**

إن العهد القديم من الكتاب المقدس هو مايعتمده من يهود من نص قدسي ذي مكانة دينية خاصة ورئيسية ككتاب .

أما تقسيم العهد القديم ، فينقسم إلى الأجزاء التالية :

1 - التوراة : أوكتب موسى الخمسة pentateuque وهي تبدأ بسفر تكوين ، ثم الخروج ، ثم اللاويين ، ثم العدد ، ثم التثنية ، (تثنية الإشتراع) .

2- الأسفار النبوية ، تنسب لمجموعة من المتنبئين الذين ظهروا منذ القرن الثامن ق .م إلى الثاني ق .م . وتنقسم هذه الأسفار إلى قسمين هما :

أ- أسفار الأنبياء المتقدمين ، وتشمل أسفار اليشوع ، والقضاة ، وصموئيل الأول ، وصموئيل الثاني ، والملوك الأول والثاني .

ب- أسفار الأنبياء المتأخرين ، وتشكل سفر أشعيا ، وسفر أرميا ، وسفر حزقيال ، وهوشع ، ويوئيل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونان (يونس) ، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ، وصفنيا ، وحجي ، وزكريا ، وملاخي .

3 - الكتابات أو أسفار الشعر والحكمة : وتشمل المزامير (الزبور) ، والأمثال (أمثال سليمان) وأيوب ، وتسمى هذه أحيانا «الكتب العظيمة» كما تشمل المجلات الخمس وهي : نشيد الإنشاد ، وراعوث ، ومراثي أرميا ، والجامعة ، وأستير ، وتشمل مايسمى الكتب وهي : دانيال ، وعزرا ، ونحميا ، وأخبار الأيام الأول والثاني .

ومجموع هذه الأسفار (39) سفرا وهي الأسفار المعتمدة لدى الكنيسة البروتستانتية وبعضها يصل بها إلى 46 كما عند الكاثوليك . وقد سمي الكتاب بأكمله بالتوراة من باب إفراد الجزء على الكل وهو أكثرها شهرة أي كتاب النبي موسى كما أنه أقدمها تاريخيا . ويقسم السفر عادة إلى (إصحاحات) ويسمى الإصحاح أحيانا (فصل) .

وطريقة الكتابة للرجوع إلى هذه الأسفار والإصحاحات والآيات تكتب عادة هكذا :

التكوين 2 : 3-8 أي سفر التكوين ، الإصحاح الثاني ، الآيات من 3 إلى 8 .

" وكل هذه الكتب عدلت وبدلت مرارا ، وأضيف إليها ، وأسقط منها ، ولم تتخذ شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد الميلاد على مايذهب إليه الأستاذ محمد علي البار نقلا عن نشرة لليسوعيين . فبالإضافة إلى أسفار التوراة الخمسة المعترف بها من الجميع اختلفت الفرق اليهودية والمسيحية اختلافا شديدا فيما هو معترف به ، وما هو غير معترف به . وظلت الكنيسة الشرقية حتى يومنا هذا تختلف حول مفهوم الأسفار القانونية عن الكنيسة الغربية . فصلاة «منسي» وكتب عزرا الثاني والثالث والرابع ، لايحظى بأي اعتراف في الكنيسة الغربية (كاثوليكية أو بروتستانتية) لكنها تحظى باعتراف لدى بعض الكنائس الشرقية .

وإذا نظرنا إلى الكتاب المقدس لدى اليهود ، نجد أيضا اختلافا كبيرا بين الفرق

http://kotob.has.it

اليهودية فهناك من يؤمن بالأسفار الخمسة ويرفض ماعداها . وهناك من يضيف إليها سفر يشوع . . وهناك من يؤمن بالأسفار الأخرى الموجودة بالعهد القديم . وعدد الأسفار التي يؤمنون بها ثلاث وعشرون أوأربعة وعشرون سفرا .

وعمل الكتاب اليهودي المقدس هو من أقدم كتب الديانات التوحيدية السماوية الثلاث . ويعتقد المؤمنون أن مؤلف هذا الكم هو الله نفسه وبطريقة ألهمها لأنبيائه وتبليغا مباشرا عنه رغم أن هذه الكتب في الواقع قد تمت كتابتها بأقلام بشر ربما ألهمهم "الروح القدس" على مايقوله المعلقون من الأحبار والكهنة والربانيين والكنسيين .

ويعتقد اليهود خاصة والمسيحيون عامة أن كتبهم كانت تدون بأيدي معاصري الرسالة النبوية كناية عن كلام إلهي أومباشرة بعد نسخها على أيدي الكتبة والتلاميذ وفية للأصول . وهو ماتحويه الأسفار التوراتية على مايقولونه ؛ هذا إن لم نقل بأن ذلك قد تم بأيدي الأنبياء أنفسهم أو بأيدي أناس مشهود لهم بالورع والتقوى وخاصة فيما يتعلق بمعاصري رسالة عيسى المسيح ، وهذا هو المذهب الذي ظل سائدا طويلا وحتى القرن الثامن عشر الميلادي .

وعليه فالكثير من الناس مازال مؤمنا أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وجميع أسفاره وإصحاحاته كان وفيا للتبليغ الإلهي وتعبيرا عن عين الحدث ، نقل بأمانة وصدق بأقلام الأنبياء والرسل دون كذب أو رياء أو مغالطة . وقد ساد هذا الاعتقاد طويلا وإلى حدود القرن الثامن عشر الميلادي تاريخ ميلاد النقد الحقيقي لتاريخ كتابة التوراة والإنجيل . وهو جانب مماسنعرضه في هذه الدراسة حول المسيرة الطويلة التي خضع لها إثبات ورواية النصوص المقدسة ، وعلى مدى مرحلة تاريخية طويلة ولقرون عديدة بعد أن خضع لعدد كبير من الترميمات . وما المذاهب التالية اليهودية منها أو المسيحية إلا صدى لهذه المسيرة الطويلة عبر التاريخ .

2 - مقارنة اعتماد أصحاب اليهودية والمسيحية للكتاب المقدس،

أما حول اليهود مقارنة بالمذاهب المسيحية ، فالمخالفات أشد وضوحا :

فإنه يرفض العبرانيون قدسية بعض الكتب من العهد القديم والتي يعتمدها المسيحيون في الكتاب المقدس السابق على الأناجيل . وهم متفقون على 24 سفر فقط بما فيها جميع الكتب النبوية والشعر والحكمة والتاريخ والأمثال . . .

أما المسيحيون فقد درجوا على إدماج كتاب اليهود ضمن كتابهم المقدس الذي يقسمونه إلى جزء سابق على تبليغ يسوع المسيح وهو العهد القديم وجزء لاحق وفيه رسالة المسيح عليه السلام وهو العهد الجديد . وتصل الأسفار كاملة اليهودية منها إلى 34 سفر بما فيها طوبيا ويهوديت وباروخ والمكابيين وأستر اليونانية وتتمة سفر دانيال وغيرها وهي مايرفضه اليهود ويعتبروه منحولا ، ولكن المسيحيين يعتمدونها .

. . . والكتاب المقدس أكثر اكتمالا عند الكاثوليك والأرثوذكس بخلاف البروتستانت

http://kotob.has.it

الذين يسقطون الأسفار التي لايعترف بها اليهود من العهد القديم ويضيفون إليها جميع الكتب والرسائل المسيحية الأخرى .

فمحتوى الكتاب المقدس وعدد أسفاره ولغاته تختلف بين اليهود أنفسهم وبينهم وبين المسيحيين وأخيرا بين المسيحيين أنفسهم فيما بينهم .

فالطوائف وخاصة المسيحية تعتمد أصولا مترجمة عنها متباينة يونانية أو آرامية أو عبرية أو لاتينية أو سبعينية سواء جزئيا أم في مجموع كتابها ؛ مما خلق نوعا من الجدل والشقاق حول الأصول والتأويل وبالتالي مشكل العقيدة واللاهوت والمقصود من العبارات والألفاظ ودلالاتها خاصة مع تعدد الترجمات إلى لغات مختلفة . وربما أدى إلى افتراقات كبرى وجدل ولاهوت يفترق كليا ليكون مثار شقاق ونزاع عقائدي ثار طويلا عبر التاريخ . وحسب محمد علي البار :

" . . .فقد انقسم اليهود كغيرهم من أصحاب الملل إلى فرق ومذاهب مختلفة ، وأشهر الفرق اليهودية عبر التاريخ والتي ربما كان افتراقها هو خلافها حول النصوص :

1 - الفريسيون والكتبة وهم يعترفون بكل كتب التوراة العبرانية .

2 - السامريون ولهم كتاب خاص ضمن مجموع الكتاب المقدس كما رأينا وهو أسفار موسى الخمسة فقط .

3 - الصادوقيون (الصدقيون) وتشير إليهم مخطوطات قمران بأهل صادوق ،

4- الأسنيون (الأسينيون) ومخطوطات البحر الميت (مغارة قمران) وهم الأخيار الأطهار .

5 - الابيونيون (الفقراء إلى الله) ولهم نسخة خاصة ومذهبهم مخالف للعبرانيين .

6- القناؤون أو السفاكون أو الجليليون أو الهيروديون (المتعصبون) .

7 - المنذرون

8 - النشيم

9 - القرائون . . .»

ومن خلال التعداد الذي ذكرناه ، وكتوضيح على أصول الافتراق المذهبي وكما رأينا ، فهناك تواجد لعدة فرق يهودية ، ولكن على وجه العموم فإنه ينقسم اليهود إلى عبرانيين وهم الأغلبية ، وسامريين وهم أقلية . وهم يتبادلون العداء وذلك منذ انشقاقهم حول التوراة المكتوبة بعد النفي البابلي عام 586 ق . م .

ثم اختلف العبرانيون قبل المسيح إلى فريسيين وصدوقيين وأخيار . وبعد ذلك ازدادت الفرق إلى فرقتين ربانية وقرائية إضافة إلى الأسينيين وغير ذلك .

والذي يهمنا عن الأمر هو أن التوراة بمعناها الضيق أي أسفار موسى الخمسة الأولى هي الكتاب الوحيد دون سواه والذي يعترف به السامريون وذلك بخلاف بقية العبرانيين الذين يقرون أيضا بأخبار كبار الأنبياء وقصصهم وكتب الشعر والحكمة والمراثي وغيرها والتي

http://kotob.has.it

يرفضها جميع السامريين . وبذلك فتكون أسفار موسى الخمسة فقط هي الكتاب الوحيد الذي يجمع عليه كل اليهود باختلاف طوائفهم . والتوراة العبرانية مكتوبة بالخط الأشوري المتطور والمربع القديم . والسامريون أقلية يهودية لاتعمل بالتلمود كما أنها أشد تطبيقا للنصوص والشعائر من بقية اليهود وهم يقدسون مناطق مختلفة عن إخوانهم من معابد ومدن وجبال (1) .

خلاصة:

وكخلاصة يمكن القول أنه : يقسم العهد القديم عدة تقسيمات تختلف حسب الكنائس المختلفة . فاليهود يعترفون ب 24 سفرا ، وبعض الفرق مثل السامريين والصدوقيين لايعترفون إلا بالأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام (رغم أن سفر التثنية يذكر وفاة موسى وأين دفن . .إلخ) .

ويطلق على هذه الأسفار الخمسة اسم التوراة ، والناموس ، والشريعة .

وكلمة التوراة تعني الشريعة المكتوبة . وقد يطلق لفظ التوراة على العهد القديم بأكمله من باب إطلاق الجزء على الكل كما رأينا .

3 - مخطوطات التوراة ونصوصها المختلفة

وحول مخطوطات التوراة المكتوبة والتي ربما تم الأخذ عنها وبعضها مفقود تماما ؛ فإنه ومما يذهب إليه (إدمون جاكوب) «على مايذكره بوكاي في نقده للكتابات السماوية على ضوء العلم الحديث» فإنه في البداية لم يكن هناك نص واحد فقط للتوراة بل لقد كان هناك تعدد في النصوص : ففي القرن الثالث قبل الميلاد تقريبا تواجدت على الأقل 3 مدونات للنص العبري للتوراة وهي : النص المحقق (الماسوري) والنص الذي استخدم في الترجمة إلى اليونانية والنص المعروف بالسامري أوأسفار موسى الخمسة .

ثم بعد ذلك وفي القرن الأول قبل الميلاد ، تواجد اتجاه لتدوين نص واحد وهو الأمر الذي لم يتم إلا في القرن الميلادي الأول .

هذا وإن أقدم نص عبري للتوراة يرجع تاريخه إلى القرن التاسع بعد الميلاد إذا استثنينا مخطوطات قمران المكتشفة عام 1948 والتي ترجع أصولها إلى ماقبل الميلاد بقليل وهي جزئية ومكتوبة بالعبرية والآرامية ولبعض الأسفار والكتب فقط .

فعملية التدوين وعلى مانرى قد استمرت لمراحل وقرون .

. . . أما النصوص اليونانية التي يستخدمها عموما المسيحيون فهي ويشكل أساسي مخطوطة الفاتيكان ومخطوطة سيناء . وكلاهما يرجع الأقدم منها إلى القرن الرابع بعد الميلاد وهما محفوظتين حتى اليوم . وقد قام جيروم بترجمة واعتماد مايسمى بالفولجات

---

1) - مأخوذ عن (كتاب التوراة السامرية لأبي اسحق الصوري - ت : محمد السقا حجازي + الترجمة العربية + (مقدمة المحقق) - القاهرة / مصر (دون تاريخ) .

http://kotob.has.it

Vulgate حوالي القرن الميلادي الرابع أو الخامس وهي التي يعتمدها الكاثوليك حتى اليوم . أما فيما يخص توراة القديس إيروينموس اللاتينية فيحتمل أنها تكون قد استندت إلى وثائق عبرية تعود للسنوات الأولى من القرن الخامس للميلاد .

أما التوراة السبعينية ، فقد تمت كتابتها وفي وقت مبكر من بدء المسيحية . وقد قام 76 حبرا يهوديا بترجمة نص التوراة العبرية إلى اليونانية وذلك في مدينة الإسكندرية بطريقة غريبة : . . . وهي الاحتفاظ بالتراكيب اللغوية العبرية في شكل الجملة مع بعض المحتويات والاختصاصات من حيث إيراد الفعل في بداية ورأس الجملة متبوعا بالفاعل مخالفين بذلك أصول اليونانية وقواعدها آنذاك . كما قد تمت المحافظة على أسماء الأعلام والكثير من الألفاظ ذات الدلالات المادية والمعنوية وإبقاءها عبرية وكما هي أصلا لتبقى في سياق النص اليوناني . وهذه العبارات تحولت فيما بعد إلى أسماء أعلام لورودها عبرية وذلك أصلا وفقدت بذلك مدلولاتها اللفظية أو معناها . وهذه الترجمة كان لها مدلول وقدسية التوراة العبرانية ، نفسها . ويعتبر اليهود أن كتبتها الأحبار أنهم كانوا ملهمين من اللّه فلهم حق التعديل والزيادات أوالبتر . . . وهذه الطبعة تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد وهي معروفة بالنسخة السبعينية وهي غريبة الأسلوب وعنها أخذت بعض الفرق المسيحية اللاحقة كأصل لكتاباتها المقدسة . وبعد ضياع نصوص التوراة الأصلية بغزوات نبوخذ نصر والسبي البابلي لم يبق إلا النص السبعيني والذي ترجم إلى العبرية مرة ثانية .

وهناك أيضا نسخ سامرية ويونانية حرفية أو بالمعنى فقط ، ولاتينية إلى جانب ترجمات أخرى مختلفة عن بعضها البعض أو حتى عن أصولها العبرية أو السامرية . . .

والاختلافات بينة بين التوراة العبرانية والسامرية رغم كتابتهما بلهجة واحدة تقريبا . كما أن التوراة السبعينية تختلف عن التوراة اليونانية وهما مكتوبتان بنفس اللغة . وسيؤدي ذلك إلى افتراقات بينة في تفسير وتأويل المفاهيم العقائدية واللاهوتية وكما حصل فعلا من شقاق فيما بعد بين الفرق .

ويلاحظ أن لجماعة يهود الإسكندرية مؤلفات صادرة تحت أسماء مستعارة مثل : حكمة سليمان وسفر المكابيين الأول والثاني وسفر باروخ .

وعود على بدء :

« . . وكما يعرف الكتاب اليهودي وفق عدة نصوص أصولها مختلفة وفق المكتشفات والتاريخ إذ تطلق عبارة النص المسوري على صيغة النص الرسمية التي قررت نهائيا الدين اليهودي حوالي القرن العاشر بعد المسيح (أي بعد عصر موسى ب 2300 عام) حين ازدهر في طبرية أشهر المسورين ، وكانوا ينتمون إلى عائلة بن أشير . وأقدم مخطوط مسوري بين أيدينا نسخ فيما بين 720 - 750 بعد المسيح ، وهو لايحتوي إلا على التوراة . وأقدم مخطوط كامل ، وهو مخطوط حلب قد نسخ في السنوات الأولى من القرن العاشر بعد المسيح . أما نسخ الكتاب المقدس العبري الحالية فهي منقولة عن النشرة التي صدرت في

http://kotob.has.it

البندقية في السنة 1524 (بعد المسيح) على يد يعقوب بن حاييم إضافة إلى نص قمران وهو جزئي ولعله أقدمها وأصدقها جميعا . وكما أن هناك النص المسورين ، هناك النص الذي استخدم أساسا للترجمة السبعينية اليونانية . وهكذا يتضح أن هناك أربعة نصوص للتوراة يختلف بعضها عن الآخر اختلافا كبيرا أو طفيفا ، وهي : 1- النص المسوري ، 2- نصوص مغارة قمران ، 3- النص السامري ، 4 - النص الذي استخدم جزئيا في الترجمات اليونانية» . (1) .

وتذكر النشرة الرهبانية اليسوعية أن النص المسوري عانى من التشويه ، ولهذا فإن كثيرا من علماء اللاهوت قاموا بمحاولة تنقيح هذا النص في الفترة مما بين 1750و1950 بعد ميلاد المسيح . . (أي بعد عصر موسى ب 3200 عام على الأقل وغير بعيد عن يومنا هذا) . وتتحدث هذه الدراسة عن تشويه النصوص وأنه قد يكون بسبب الناسخ ونتيجة لأخطاء وقد يكون ذلك متعمدا . «وقد يدخل الناسخ في النص الذي ينقله تعليقا هامشيا مايلبث أن يصبح جزءا أصليا من النص . والجدير بالذكر أن بعض النساخ أقدموا على إدخال تصحيحات لاهوتية وعلى تحسين بعض التعابير التي كانت معرضة لتفسير عقائدي خطير» .*

فقد كان من حق النساخ أن يضيفوا أو يحذفوا من نصوص التوراة مايتراءى لهم أنه المصلحة وأنه الأوفق . . هذا وإذا تركنا جانبا الأخطاء في الكتابة ، ونسيان أسطر ، وتبديل كلمة مكان كلمة دون قصد أو تعمدا ، مع كثرة حدوثه .

وكخلاصة نقول : هذا وإن أقدم نص جزئي موجود للتوراة هو النص القمراني مخطوطات البحر الميت المكتوب باللغتين العبرية والآرامية وهو من نتاج أسينيين آمنوا بالمسيح عليه السلام فيما بعد ، ومخطوطاتهم اكتشفت عام 1948 وقد ترجمت . وهو أصح وأصدق الأصول للتوراة إضافة إلى بردية الوصايا العشر ومخطوطات ناقصة ترجع إلى القرن الخامس الميلادي مثل مخطوطات نجع حمادي أو كنيسة القاهرة أو القرن التاسع الميلادي العبرية .

4 - لمحة تاريخية في تاريخ الكتاب المقدس اليهودي:

وحسب رأي الدومينيكاني المسيحي ساندروز حول أصول اليهود وفق مذاهبهم المختلفة وتاريخهم ، فإن العبرانيين اليوم أصبحوا فقط أسلافا لمملكة يهوذا على مايذهبون إليه وذلك بعد انقراض مملكة إسرائيل .

أما اليهود السامريين ، فهم أقلية معارضة لا تذكر وهم بقايا الممالك المنقرضة ويقدسون جرزيم وشكيم أي نابلس وجبالها .

وإذا ما عدنا إلى كتاب اليهود المقدس عند مجموعهم والذي بين أيدينا اليوم ، وقمنا

*(1) - موريس بوكاي : الكتابات المقدسة في ضوء العلم الحديث - 1976 -seghers
Paris- FRANCE Pp:10 et suivantes...

http://kotob.has.it

بإلقاء نظرة سريعة لوجدنا أنه من المحتمل أن مايرويه العهد القديم عن موسى عليه السلام والآباء الأولين لايتفق مع الواقع التاريخي إلا بشكل تقريبي سواء حول مجرى الأحداث أو تاريخ الظهور : "ولكن الرواة كانوا يعرفوا حتى في مراحل التراث الشفهي كيف يضفون الأناقة والخيال على كتاباتهم وذلك بهدف الربط بين أحداث وتعاليم شديدة التنوع . . ."(على مايراه ساندوز مما يرويه موريس بوكاي في الصفحات من 21 إلى 26 من نقده للكتب السماوية . .) «وقد نجحوا في تقديم ذلك في شكل حكاية لما حدث في أصل العالم والإنسان ." ولو أن الأصل ربما كان موحى به قطعا للأنبياء على ما أعتقده شخصيا وذلك في تاريخ تواجدهم .

ولم تستخدم الكتابة لنقل التراث إلا في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد بعد ماكانت التعاليم تتناقل بتواتر شفهي وإن كان الكثير من التصوير الميثولوجي والأسطوري قد اختلط برواية الأحداث . فالكتابة هنا لم تكن مطلقا وفية للتاريخ أو مؤرخة لعين الحدث وكما وقع حينها بشكل من الأشكال .

ولقد كتبت أسفار العهد القديم على مدى يربو على تسعة قرون وبلغات وبلهجات مختلفة ومتباينة واعتمادا على التراث المفقود جزءيا وشفهيا .

وقد صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار بسبب أحداث وقعت أو لضرورات تبشيرية وتعليمية في عصور متباعدة .

ولقد سمحت المخطوطات المختلفة للمتخصصين بأن ينتهوا إلى إعداد " نصوص متوسطة" وهي شيء أشبه بحلول وسط تحاول التوفيق استنادا إلى مختلف النسخ المختلفة : أي العبرية واليونانية واللاتينية والسريانية والآرامية وحتى العربية وجميعها جزئية وغير مكتملة . وكان من قبيل الاختلافات حول هذه الكتب المقدسة وأصولها أو نسخها المعتمدة أن مختلف الكنائس المسيحية فيما بعد افترقت افتراقا بينا حول قبول أو عدم اعتماد نفس الأسفار تحديدا أو حول رأي هذه الكنائس في الترجمة المعتمدة للنصوص حتى في نفس اللغة على مايذهب إليه المحققون بعد دراسة نقدية واستشهادات مختلفة . ويرى علماء الدين أنه حتى المترجمين فقد كان لهم حق الإضافة والحذف ومن لغة إلى أخرى .

وهكذا يبدو جليا أن هناك تحولات كبرى قد أصابت نص العهد القديم الأول وذلك عبر عملية النقل أو الترجمة أو الانتقالات المختلفة وماشابهها من ترميم وتصحيح جاءت على أكثر من مدى يزيد عن 2000 عام !

ويذهب اللاهوتيون إ لى أنه اشترك في صياغة الكتب المقدسة مئات الكتاب الذين كانوا ملهمين من الله!!!

ولكن ذلك لايوقعنا في مطب النفي الكلي للوحي الإلهي عن هذا النص : فقد ثبت ومن مصادر أخرى غير الكتابات اليهودية - ومنها ماهو معاصر للنبي موسى كما في الحوليات الفرعونية أو التاريخ اليوناني- الروماني لأنبياء بني إسرائيل من معاصريهم -

http://kotobhas.it

تواجد هؤلاء الأنبياء الكبار . كما تواترت الأخبار من أكثر من مصادر عن معجزاتهم المختلفة وفي ذلك دليل على كونهم رسلا ومبعوثين إلهيين . . رغم الكثير من المغالطات والأراء المستحيلة والمتناقضة عقلا لبعض التفاصيل التي وردت في العهد القديم بأسفاره جميعا . وهذا ليس من أخطاء قدسيته بل هو جراء التجويد والتحوير والتبديل والطمس والبتر الذي شابه وعلى مدى أحقاب وقرون إضافة إلى ترميماته وتصحيحاته والتنقيحات المختلفة حتى لو كانت قد تمت بحسن نية وبهدف بث روح إيمانية ما . وكله مما يعارض البحث التاريخي والنقد العلمي . فالله تعالى لاتحوي كتبه المقدسة إلا على الصحة وخلاف ذلك فهو من يد وعمل الإنسان وهذه أيضا شهادة الرهبانية اليسوعية في نشرتها التوضيحية للكتاب المقدس بعهديه : القديم والجديد .

5 - أما كتب العبرانين اليهودية الأخرى المقدسة،

وهي الكتب التي لايعترف بها السامريون وينزعون عنها هالة القداسة .

وتشمل هذه الكتب :

أ - الكتب التاريخية :

تتناول الكتب التاريخية تاريخ الشعب اليهودي منذ دخوله أرض فلسطين حوالي نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحتى النفي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد . ولكن اليهودية الأرثوذ - وكسية تثبتها في تاريخ مدون كتبليغ موصى به ووفي محفوظ نقلا عن صاحب كل كتاب من هذه الكتب وذلك نصا وإملاء من النبي المقصود وليس كتدوين لاحق عليه بعد مدة قد تطول من الزمان .

وتحتوي هذه المؤلفات أخطاء متعددة : فالحدث الواحد له روايات مزدوجة وحتى ثلاثية مما يجعل التاريخ مختلطا بالأساطير من حيث تكييف التاريخ والحدث مع الضروريات اللاهوتية إذ أن الكتاب اللاحقين كانوا يعدلون من منطلقات لاهوتية مع ما يحمله هذا الأمر من تجاسر وتصرف شديد في النص المقدس والتبليغ وحتى صدق الحدث التاريخي . فهناك تغيير لأسماء الأعلام واختراع لشخصيات وأحداث مع حكايات أخلاقية النزعة مليئة بالأخطاء التاريخية . وربما تمت عملية التصرف هذه بنية دينية طيبة ولكنها جعلت من النصوص بعيدة كل البعد عن أصولها مما يجعلها مستحيلة أن تصدر تبليغا مباشرا عن وحي إلهي .

* الاستشهادات بين قوسين وردت في كتاب : موريس بوكاي - الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث - الطبعتين الفرنسية لعام 1976 عن دار SEGHER بفرنسا وعن الترجمة العربية للمؤلف . كما قد ورد بعضه عند : محمد علي البار في دراسته للتوراة والعهد القديم من الكتاب المقدس ط : 1990 الصادرة بسوريا متفرقا .

http://kotob.has.it

والشواهد النقدية التاريخية تثبت ذلك مع عملية إعادة النسخ المتكررة والإضافات اللاحقة . (1) .

ب - الكتب النبوية :

وتغطي هذه المجموعة الفترة الممتدة من القرن الثامن ق . م وحتى القرن الثاني ق . م . ومثالها رؤيا النبي دانيال المكتوبة باللغات العبرية والآرامية واليونانية والتي ربما ترجع إلى القرن الثاني ق . م ، وذلك في عصر المكابيين . وربما أراد كاتب هذه الرؤيا - والمتأخر عن النبي دانيال بقرون - إقناع مواطنيه بقرب ميعاد الخلاص وذلك بهدف تغذية الإيمان بفرج قريب . وهو كتاب محشو بالتدخلات .

وهذه الكتب جميعها ليست بأقلام الأنبياء أو حتى تلامذتهم المباشرين بل لقد حررت عن بعد عهدة عنهم وهي روايات لاحقة لما بلغ أولئك على مايبدو .

ج - كتب الشعر والحكمة :

وتحتل مزامير داود المقام الأول لهذه المجموعات مع كتب حكمة سليمان والأناشيد ومنها نشيد الإنشاد . . .وهي مما نسخ بعد هذين النبيين بردح طويل .

وسؤالنا هو ، كيف استطاع هذا المجموع المتنافر لمضمونه والذي يتكون من أسفار كتبت على مدى قرون وأتت من مصادر شديدة التنوع ثم تجمعت عبر ذلك داخل مؤلف واحد . . .كيف استطاع كل هذا الجمع الهائل أن يكون كلا لاينفصم وأن يصبح كتاب الوحي اليهودي بغالبيتهم وحتى المسيحيين . بل كيف أخذت هذه الأسفار القداسة التي أضحت لها بمعنى عدم التعرض لها أو المساس وهي - جميعها - كتب لم تبلغ قط وحيا عن اللّه وإنما تم نسجها وصياغتها ونسخها بأيدي الكتبة والكهنة والسفرة وذلك بعد تحويرات شديدة فيها . وأي قارئ ناقد لها يلحظ ذلك بوضوح (2) .

وفي القرن السابع قبل الميلاد ، ومع بدايات النبي أرميا فإن هذا السفر الخاص به لم يتخذ شكله النهائي إلا بعد ذلك العصر بقرن من الزمان .

ولعله ، وعند مقارنة التوراة السامرية بشقيقتها العبرية فالأسفار الخمسة الأولى شديدة التشابه مع اختلافات في الصياغات قد تؤدي إلى اختلافات بينة في الاجتهاد والدلالات . وإنما كانت طريقة الجمع حتى لدى السامريين لاتختلف عما حدث عند البقية وهم يعترفون بذلك ويعزون التحوير إلى عزرا وذلك بتبديله في النصوص في فترة المنفى بعد عام 586 ق . م . وعزرا هو الذي أصبح وريثا روحيا للنبي حزقيال - وهو من الأنبياء الكبار في بني إسرائيل - وحتى عام 538 ق . م أي في المنفى حيث تواجد

1- راجع : موريس بوكاي - الكتابات السماوية المقدسة والعلم الحديث - ترجمة : خالد حسن - بيروت-

(2) - موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء العلم الحديث - ط دار المعارف بمصر - ترجمة المؤلف - ب . ت فمن ص17 إلى ص 181» (عرض وتلخيص واختصار) .

http://kotob.has.it

حزقيال . ومنذ حدود العام 598 ق .م فقد قام الكتبة بتدوين رواية ثالثة لسفر التكوين وهو أول الأسفار قاطبة وأسمها الرواية الكهنوتية وهي اختصت بالجزء الخاص بالخلق وحتى موت النبي يعقوب - وأصبحت التوراة مزيجا غريبا من التراكيب والفقرات .

أما أسفار الحكمة لسليمان وسفر المكابيين الأول والثاني فقد كتبوا قبل المسيح بقرن من الزمان علما بأن سليمان الحكيم قد تواجد في القرن التاسع ق . م تحديدا .

وكتب العهد القديم - أي كتب اليهودية اليوم - لم تكتسب شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد ميلاد المسيح على مذهب الكثيرين وقد دونت وأكملت وروجت الأسفار مرات عديدة فيما بين القرن العاشر ق . م والقرن الأول قبل الميلاد . . .

وهكذا ، فالوحي يختلط بكل هذا الخضم من الكتابات وتعديلها وعلى فواصل زمنية متباعدة . ولكننا اليوم لانملك وللأسف إلا هذه النصوص بتعديلاتها برمتها وذلك على يد أناس عالجوا النصوص على سجيتهم وحسب الظروف .

ويكتفي هؤلاء الكتاب بالإشارة إلى أن تفاصيل قد أضيفت في النصوص ليس إلا .

هذا ، وإن العبرانيين يثبتون الكتب لسليمان وأناشيد وأشعار ومزامير داود في أسفارهم المقدسة . ولكنهم يعتبرونها مجرد ملكين ويطلين مؤسسين لمملكتي يهوذا وإسرائيل ، ومنها كانت سلالات الحكام اليهود والملوك .

وهذا التقدس غير موجود مطلقا عند طوائف أخرى كالسامريين مثلا وذلك لمثل هذه الكتب ، بل يرون شخصية المشيخا المخلص للشعب اليهودي في نسل النبي يوسف لامن ذرية ملكية أي من داود .

. . . والتوراة كيفما شاء المرء أن يأخذ منها محشوة بالأخطاء العلمية والتاريخية الفيلوجوية والأنطروبولوجة . . . مما يتناقض تماما مع كونها قد كتبت بأيدي سفرة أو رسل بلاغا مباشرا عن وحي ألهي ؛ . . إذ أنه من غير المعقول أو المنطقي أن يعلم اللّه عباده الخطأ خاصة في مجموعة كتب تكتسي طابع القداسة وحتى اللامساس .

فبذلك نستنتج أن هذه الكتب - وكما رأينا - لم تدون مباشرة عن وحي إلهي صادق - وهو مذهب اليهود اليوم - بل مالدينا لايعدو كونه تحويرا لبلاغ تنزل يوما وجرت عملية واسعة من التلاعب به على مدى تاريخ يطول (1) .

---

(1) - راجع أيضا : محمد علي البار - المدخل لدراسة العهد القديم - دار القلم - دمشق - ط1 - 1990 .
إضافة إلى كتاب الدكتور موريس بوكاي المشار إليه سابقا والكتاب المقدس بنشرته اليسوعية خاصة والكتاب المقدس للطبعة الكاثوليكية .

http://kotob.has.it

الباب الأول :

دراسة في المناهج النقدية للكتاب المقدس :
الكتب والتوراة عند اليهود

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الجزء الأول
في المنهاج النقدي للأساليب اللغوية
ومحتوي التوراة ومصادرها:

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

- حول نظرية تعدد المصادر جنبا إلى جنب ودلائل ذلك .
- النقد الداخلي للنصوص

- حول الأخذ عن نسخ ومخطوطات متباينة تاريخيا وعملية المزج بينهما .

- متفرقات مختلفة وجداول توضيحية . . . (عن البحث حول محتوى وكتب العهد القديم من الكتاب المقدس : سفري التكوين والخروج) .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

1-حول نظرية تعدد المصادر والنسخ:

كاختصارات واستشهادات مما ورد في الكتب المطبوعة اليوم ككتاب الأستاذ محمد علي البار : "التوراة والمدخل لدراستها" أو كتاب الدكتور موريس بوكاي "الكتابات السماوية في ضوء العلم الحديث" فيما أورده البعض أنه :

تذكر دائرة المعارف البريطانية : أن العهد القديم ، كتاب يمثل تراث الشعب الإسرائيلي ، وتراث شعوب أخرى كثيرة . ونذكر أن أسفار موسى الخمسة المعروفة باسم التوراة ، لم يكتبها عليه السلام ، وإنما كتبت بعد وفاته بقرون طويلة ، وأول ماكتب من التوراة هو عندما تكونت مملكة داود ، عندما ظهر الكتبة (حوالي سنة ألف ق .م) وعلى هذا التاريخ ترجع المدونات التي تشمل بعض الأناشيد ، ونبوءات يعقوب وموسى والوصايا العشر .

وفي القرن العاشر قبل الميلاد في أيام سليمان (961-922) أوفي القرن التاسع ق . م . تم تحرير النص اليهوي .وتسميته تلك تعود إلى إطلاق مصطلح يهوه على الله .

وقد أضيفت الرواية الألهمية إلى النص اليهوي في القرن الثامن ق . م الميلاد .

وقد سميت هذه الرواية بالنص الإلهيمي لأن اللّه يذكر فيها باسم (الوهيم) . ثم أضيف فيما بعد ذلك نص آخر وهو النص الكهنوتي . وقد سمي كذلك لأنه صدر عن كهنة المعبد وبالذات الهيكل (الذي بناه سليمان في فترة سابقة) في مدينة أورشليم (القدس) .

وأول ذكر للتوراة يرد ، عندما قام ملك منطقة يهوذا ، والذي يسمى جوشيا (يكتب أيضا يوشياهو) بتجديد بناء الهيكل سنة 622 ق . م ، حيث عثر على نسخة من التوراة ولم يتم الاعتراف بالتوراة كشريعة إلا أثناء السبي في بابل في القرنين السادس والخامس ق . م .

وهكذا نجد أن أقدم الأسفار للعهد القديم وهي أسفار موسى الخمسة (بنتاتوس) (Pentateuque) ، والتي يطلق عليه اسم التوراة ، قد كتبت بعد وفاة موسى بعشرة قرون . وأول تدوين لها بدأ في القرن العاشر والتاسع ق . م عندما تم ذلك على يد الكتبة في مملكة داود وسليمان .

وتختلف النصوص فيما بينها اختلافا شاسعا ولم يتم توحيد هذه النصوص المختلفة للأسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى عليه السلام إلا في فترة متأخرة جدا ، وذلك في القرن الأول بعد الميلاد ، أي بعد عهد موسى بحوالي ألف وخمسمائة عام . وتقول دائرة المعارف البريطانية : إن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة على يد أناس ذوي ثقافات مختلفة ومتباينة . ثم إن النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافا بينا وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار . ويرجع النص اليوناني إلى القرن الرابع بعد الميلاد (أي حوالي 350م) وحسب بوكاي ومحمد البار : «إن مايرويه العهد القديم عن موسى ، والأنبياء الأولين (إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط) لايتفق إلا بشكل تقريبي مع المجرى التاريخي للأحداث . ولكن الرواة كانوا يعرفون كيف يضفون الأناقة والخيال على

http://kotob.has.it

مروياتهم ، بحيث يربط بين أحداث شديدة التنوع ، وقد نجحوا في تقديم هذه الأحداث في شكل حكاية لما حدث في أصل العالم والإنسان .» .

ماهو الكتاب المقدس؟تكفي نظرة نلقيها على الفهرس لنرى : أنه «مكتبة» بل مجموعة كتب مختلفة جدا . . ذلك أنها تمتد على أكثر من عشرة قرون ، وتنسب إلى عشرات المؤلفين المختلفين . بعضها وضع بالعبرية مع بعض المقاطع بالأرامية ؛ وبعضها الآخر باليونانية ، وهي تنتمي إلى أشد الفنون الأدبية اختلافا كالرواية التاريخية ومجموعة قوانين والصلاة والقصيدة الشعرية والقصة» .

. . .» وهكذا فأسفار الكتاب المقدس هي عمل لمؤلفين ومحررين وقد ظل عدد كبير منهم مجهولا لكنهم - على كل حال - لم يكونوا منفردين لأن الشعب كان يساندهم» .

وإن عمل التوراة ونسيجها هو من نتاج أناس وأدباء وعلماء دين . . . . معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة . وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات ، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أوقليلة الأهمية . لا بل أحداث الأسفار ماهي أحيانا إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة .

ويواصل الباحثون - من علماء اللاهوت ، من الرهبانية اليسوعية - كلامهم في مدخل الكتاب المقدس المنقول من الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس ، قائلين :

«والكتاب المقدس موسوم في العمق بثقافة إسرائيل : وهو يعبر عن نظرية للعالم لا بفلسفة منظمة بل بعبادات ومؤسسات وبردود فعل عفوية عند الأفراد والشعب الكلي» .

«إن لحضارة إسرائيل نقاطا مشتركة كثيرة مع حضارة سائر شعوب الشرق القديم ، ومع ذلك فالشرق القديم لايشرح كل شيء في كتاب مقدس لأن لتاريخ إسرائيل الخاص طابعا فريدا قد كلف لغة هذه الأسفار (1) .

وقد انتبه الأب ديفو على وجوه تشابه بين قصة جلجامش والطوفان في الملحمة البابلية وبين قطة الطوفان في التوراة وقد برر ذلك بقوله : «إذا كانت التوراة تحدثت عن ذكريات سيل واحد مخرب أو أكثر من واحد وقع بوادي دجلة والفرات ، وأنه إذا كانت التوراة قد ضخمت أبعاد كارثة عالمية ، فإن ذلك لايهم لأن جوهر المسألة هو أن الكاتب الديني قد حمل هذه الذكرى بتعاليم أزلية عن عدل ورحمة الله ، وعن خبث الإنسان والخلاص الممنوح للعادل» .

وتقول دائرة المعارف البريطانية : «إن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة وبأيدي مختلفة لذوي ثقافات مختلفة متباينة . ثم إن النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافا بينا ، وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار» .

ويتفق الجميع على أن الكتابة استمرت قرونا طويلة ، وإن عملية التنقيح والإضافة

(1) عرض وتلخيص لمجموعة هذه المقتطفات عن كتاب : مدخل لدراسة التوراة . . . لمحمد علي البار - ط1 - 1990 دار القلم - دمشق .

http://kotob.has.it

والحذف استمرت أكثر من ألف عام . . وهو الأمر الذي يجعل النقاش حول تحريف التوراة قد عفا عليه الزمن ، وأصبح يؤكده علماء اليهود والنصارى أكثر مما يؤكده علماء الإسلام (1) .

2 - النقد الداخلي للنصوص:

وكي نقتصر على أقدم الأسفار تنزيلا بالنقد نرى بأنه : هكذا يتبارى الباحثون في إثبات أن التوراة أو الأسفار الخمسة لموسى لم يكتبها موسى ، وأنها كتبت بعده قرون ، وأن الذين قاموا بكتابتها فئات مختلفة من الأحبار والكتاب في عهود مختلفة ، وأزمنة متباينة ، وثقافات غير منسجمة . وهذا ربما يصح على الكتاب بأكمله أي مجمل العهد القديم من الكتاب المقدس ؛

وحول نظرية تعدد التواريخ والنسخ والمراجع والمصادر التي تم الاعتماد عليها في إثبات نصوص التوراة ، فقد أورد الأستاذ محمد علي البار وكذلك موريس بوكاي معلومات قيمة في كتاب «المدخل لدراسة التوراة» موضحا أنه بحلول عام 1854 كان علماء الكتاب المقدس والعهد القديم بصورة خاصة يرجعون الأسفار الخمسة المعروفة باسم التوراة (الناموس ، الشريعة أو أسفار موسى الخمسة) إلى أربعة مصادر رئيسية هي :

أ - النص اليهوي :

ويتحدث هذا النص عن بدء الخليقة واصل العالم وينتهي بموت يعقوب . قد كتب هذا النص في القرن التاسع قبل الميلاد في مملكة يهوذا .

ب - النص الالهيمي :

ويسمى أحيانا النص السامري لأنه كتب في مملكة الشمال (إسرائيل) وعاصمتها السامرة . وقد كتب هذا النص في القرن الثامن قبل الميلاد (في حدود 770ق .م)

وقد أدمج النصان في حدود سنة 650 ق . م (2) .

ج - سفر التثنية (تثنية الاشتراع) :

وهو سفر يكرر فيه الشرائع والقوانين . وقد كتب في مملكة يهوذا في حدود سنة 650 ق . م .

د - النص الكهنوتي :

وهو يتألف من فصول كتبها الكهنة في القرن السادس والخامس قبل الميلاد ، ويرجع بصورة عامة إلى زمن عزرا (3) .

بينما يرى موريس بوكاي وفيما أورده حول نظرية تعدد المصادر أنه ومما يؤكد هذا النقد

---

(1) عن موريس بوكاي - الكتابات المقدسة ط - 1 - دار المعارف بمصر .

(2) محمد علي البار : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم - دار القلم بدمشق - ط1 - 1990 .

(3) موريس بوكاي: الكتابات السماوية المقدسة في ضوء العلم الحديث / الترجمة العربية لطبعة 1976 .. القاهرة وبيروت .. دار المعارف- .

http://kotob.has.it

وجود نصين جنبا إلى جنب في سفر التكوين - وهو السفر الأول من التوراة - إذ يحتوي كل من هذين النصين على خاصية مختلفة في تسمية الرب : إذ يسميه أحدهما بيهوه ويسميه الثاني بإلوهيم . إذا فسفر التكوين يحتوي على نصين متلاصقين جنبا إلى جنب وذلك خلال مرحلة زمنية طويلة من التدوين إلى حين الوصول إلى النص النهائي للتحرير . وقد كانت هناك أربعة مصادر مقبولة وتسمى بالأسماء التالية : الوثيقة اليهوية والوثيقة الألوهمية وسفر التثنية والنص الكهنوتي وذلك في كتاب موسى وحده . وقد أفلح الباحثون في إعطاء هذه الوثائق أعمارا :

1 - تقع الوثيقة اليهوية في القرن التاسع قبل الميلاد (وقد حررت في مملكة الجنوب) .

2 - أما الوثيقة الألوهمية فهي أقرب تاريخيا بقليل (وقد حررت بمملكة إسرائيل) .

3 - وأما سفر التثنية فينتمي إلي القرن الثامن قبل الميلاد . وهناك بحاثة آخرون ، يرون أنه ينتمي إلى القرن السابع قبل الميلاد .

4 - وأما النص الكهنوتي فينتمي إلى عصر النفي أو مابعد المنفى ، أي القرن السادس قبل الميلاد .

ويضيف بوكاي قائلا : «ص 28 و29 : من مرجع سابق« . . .»بوكاي-م

« بهذا إذن يمتد تحرير نص أسفار موسى الخمسة على ثلاثة قرون بأقل تقدير . . وفي 1941 استطاع . لودز A.Lods أن يميز في الوثيقة اليهوية ثلاث مصادر وفي الوثيقة الإلهيمية أربعة ، وفي سفر التثنية ستة وفي النص الكهنوتي تسعة ، وهذا "دون حساب الإضافات الموزعة بين ثمانية محررين» . ومنذ فترة أكثر قربا وصل التفكير إلى "أن كثيرا من نواميس أو قوانين أسفار موسى الخمسة كان لها مايوازيها خارج التوراة وفي فترة تسبق بكثير التاريخ المنسوب إلى هذه الوثائق" ؛ وإن عددا من روايات أسفار موسى الخمسة يفترض وجود مصدر آخر أكثر قدما ، وذلك يدفع على الاهتمام بمشكلة " تشكل التراث" . إن المشكلة تبدو عندئذ على درجة من التعقد بحيث إن الأمر يختلط على الكل . . .»

« . . .وبهذا يتضح أن تكون كتاب أسفار موسى الخمسة كان قد تم من أقوال موروثة مختلفة تم جمعها بشكل يقل أو يزيد حذقا بأيدي محررين وضعوا تارة ما جمعوا جنبا إلى جنب وطوروا وغيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة ، تاركين للعين أمورا معقولة وأخرى متنافرة من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعي عن المصادر . ويعطي كتاب أسفار موسى الخمسة ، على مستوى نقد النصوص ، أكثر الأمثلة وضوحا عن التعديلات التي قام بها بشر في فترات مختلفة من تاريخ الشعب اليهودي ، كما يعطي أمثلة جلية عن تعديلات التراث الشفهي والنصوص التي تلقتها الأجيال السابقة . . .»ويقول البعض أن التوراة قد أتلفت بأسفارها المكتوبة عند النفي البابلي ثم أعيدت صياغتها لاحقا ، وهو قول اليهود السامريين»

http://kotob.has.it

3- جداول توضيحية:

a - تفصيل توزيع النص اليهوي والنص الكهنوتي في الإصحاحات من 1 إلى 11 من سفر التكوين مع ملحق إضافي للعدد واللاويين :

يشير الرقم الأول إلى الإصحاح .

يشير الرقم الثاني الموضوع بين قوسين إلى رقم الآيات ، وتنقسم هذه أحيانا إلى جزئين يشار إليهما بالحرفين أ أو ب

يشير حرف الياء إلى النص اليهوي :

ويشير حرف الكاف إلى النص الكهنوتي .

مثال : يعني السطر الأول من الجدول مايلي : (ك) إصحاح 1 - آية1 - إصحاح 2 آية 4 - أ .

« . . . مايمتد من الإصحاح الأول ، الآية الأولى إلى الإصحاح الثاني الآية 4 أ من النص الحالي المنشور في الكتب المقدسة وهو النص الكهنوتي» .

http://kotob.has.it

من الإصحاح	الآية	إلى الإصحاح	الآية	المصدر
1	1	2	(14)	ك
2	(4 ب)	4	(26)	ي
5	(1)	5	(32)	ك
6	(1)	6	(8)	ي
6	(9)	6	(22)	ك
7	(1)	7	(5)	ي
7	(6)		()	
7	(7)	7	(10)	ي (معدل)
7	(11)			ك
7	(12)			ي
7	(13)	7	(16)	ك
7	(16 ب)	7	(17)	ي
7	(18)	7	(21)	ك
7	(22)	7	(23)	ي
7	(24)	8	(12)	ك
8	(2ب)			ي
8	(3)	8	(5)	ك
8	(6)	8	(12)	ي
8	(13)			ك
8	(13 ب)			ي
8	(14)	8	(19)	ك
8	(20)	8	(22)	ي
9	(1)	9	(17)	ك
9	(18)	9	(27)	ي
9	(28)	10	(7)	ك
10	(8)	10	(19)	ي
10	(20)	10	(23)	ك
10	(24)	10	(30)	ي
10	(31)	10	(32)	ك
11	(1)	11	(9)	ي
11	(10)	11	(32)	ك

وأي تصوير أوضح من هذا يمكن أن نعطيه لتعديل الناس في كتبهم وعلى مدى التاريخ؟
«جدول مأخوذ عن م . بوكاي - مرجع سابق ص : 31 و32 و33 . (1)

(1) راجع الكتابات المقدسة في ضوء العلم الحديث - ترجمة عربية للمؤلف دار المعارف بمصر ط ١ - إ . ق : 1983 - جمهورية مصر العربية - كما توجد طبعة أحدث بترجمة الشيخ المرحوم حسن خالد -مفتي لبنان سابقا- .

http://kotob.has.it

-خلفه : «جدول مأخوذ عن م . بوكاي - مرجع سابق - ص 31 و32 و33» (1)

ط - ملحق إضافي مع اللاويين والعدد :

. . . جدول تعدد المصادر حول بقية أسفار موسى الخمسة التي أفردها زلمان شازار وفق الجدول التالي حول نفس الموضوع (2) :

اليهوي	الإلوهيمي	الكهنوتي
سفر التكوين	إصحاح : آية	إصحاح : آية
إصحاح - آية		31-1:1
إصحاح 4:2 ب-25		4-1:2
3		
4		
29:5		32-30,28-1:5
8-1:6		22-9:6
23,22,16,12,10-7,5-1:7 ب17		24,21-18 ، 17 ، 16,13,11,6:7
22-20,12-6:8		19-13,5-1:8
27-18:9		29-28,17-1:9
30-24-21,19-8:10		32-31,23-22,20,7-1:10
30-28,9-1:11		32-31,27-10:11
20-6,4-1:12		4:12 ب-5
18-13,11-7,5-1:13		11,6:13 ب-12
		14
	15	
14-4,2ب-1:16		16-15,3 ، 1:16
18		
38-30,28-1:19		29:19
	20	
33,12-1:21	34,32-6:21	2: 21 ب-5
24-20,18-15:22	19,14-1:22	
		23
24		
34-27,26-21,18ب-11,6-1:25		11-7:25 ، 26,20,19,17-12 ب
33-1:26		35-34:26

(1) راجع الكتابات المقدسة في ضوء العلم الحديث - ترجمة عربية للمؤلف دار المعارف بمصر ط 1 - إ . ق : 1983 - جمهورية مصر العربية - كما توجد طبعة أحدث بترجمة الشيخ المرحوم حسن خالد -مفتي لبنان سابقا- .

(2) عن تاريخ نقد العهد القديم . . . تأليف : زلمان شازار : ت أحمد هويدي / - مصر 2000 من ص : 134 إلى ص : 138 .

http://kotob.has.it

,17,15,14,10-5,14-2,1:27 .45-35,32-29,27-24,20,B8118	18,16,13-11ب4ب1:27 .34-33,28,23-21,19	
19,16-13,10:28	22-20,18,12,11:28	9-1:28
35-31,4-2:29	23-15,1:29	28,24/:29ب29
43-24,21ب30,16-9,7,5ب3:30	23,122,120-17,8,6,13-1:30	22:30ب
53-51,48,46,27,25,3,1:31	-28,26,24-19,17-4,2:31 53,50,49,47,45ب	18:31
33-25,23,1 14-4:32	.24,22ب14,3-1:32	
17-ب11,10-1:33	34-20-ب18,11:33	1 18:33
22,21,19:35	20,18-16,8-1:35	29-23,15-9:35
	39-31:36	43-40,30-1:36
35 -31, 27-23,21-19,17-ب14 1 1311:37	,22,181ب14 13,10ب2:37 .36,30-28	2-1:37 1
38		
,23-ب7,5-1:39	17,6:39	
40:1ب, 3ب, 5ب	.23-6,15,4,13-11:40	

ملاحظة حول الملحق الإضافي :

الرقم الأول يرمز على الإصحاح ويتبعه نقتطين هكذا (:) للدلالة على الآية . أما العبارات (أ ، ب . . .) فترمز إلى مقاطع من كل آية» (أما الإشارة (-) فتشير إلى حد كل مقطع قيد النقد)

اليهودي	الإنجيلي	الكهنوتي
	57-47,45-1:31	46:41
38,28,27:42	37,29,26-1:42	
34-24,123-15,114-1:43	14:43ب23 ب	
44		
28014,13ب4,11:45	27-15,12-5,14:1ب:45	
34-28,11:46	1:46 ب-15	5:46ب-27
31-29,127,13ب6,4-1:47	12:27	27,11-7,16,5:47ب28
	22-8,2,1:48	7-3:48
27-ب1:49		33-28,11:49
14,11-1:50	26-15:50	13-12:50
سفر الخروج	سفر الخروج	سفر الخروج
22ب20,10-8,9:1	21 ,1 20-15,12-11:1	14,17,7,5-1:1
123-10:2	10-1:2	25- ب23:2
20-16,8,7,5,1 4-1:3	22,21,15-9,6ب4:3	
	4	
5		
1:6		30-2:6
29-25,18-14:7	20:7ب24,121	23-ب21,120-19,13-1:7

http://kotob.has.it

15-11,3-1:8ب		25-16,11-4:8
12-8:9	35-9:20	19-13,7-1:9
	27-10:20	29,28,19-1:10
10-9:11	3-1:11	8,4:11
40,37,28,20-1:12 51-43,41	39-37,36-31:12ب	42,30,29,27-21:12
20,2-1:13	19-17:13	22-21:13
4,2-1:14ب 8ب,9ب,10ب 15	19-17,18-6,14-3:14ا 20ب,28-22,26,23- 29	21,ا20,19ب-14-11,10,5:14 31-30,27,25,24
	27-22:15	
16,13-6,3-1:16ا-18ب		35,21ب,18ا-16ب-13ب 5,4:16
17:1ا	16-1:17ب	
19-1:18ا	27-13:18	12-1:18
	19-10:19	23-20,25-20,9 ب 2:19
	18-12,24	32,11-1:24
30-25		
31-1:17	18:31	
		32
	23-15,17,11-3:33ب	14,12,13-1:33
35-29:34	28-1:34	
40-35		

ملاحظة

«شرح لبعض المفردات التقنية :

المشنا : الشريعة التلمودية ،

الماسورا : النص الرسمي المعتمد للتوراة

البرايتا : مجموع شرائع تلمودية .

فولجاتا : النسخة المتداولة للتوراة

دراش : التفسير

جداول مأخوذة عن ز . شازار - تاريخ العهد القديم - من ص 134-138
مصر - مترجم - ط 1 -2000

http://kotob.has.it

سفر اللاويين		اللاويين 1-27
سفر العدد	العدد	سفر العدد
		9-1
	36-29:10	
	12-11	
	17:13ب-20,22-24، 33-32,31-27ب	17-1:13،26,25,21 ا32
	33-30,25,8,4-3:14، 45-39	29-26,10,7-5,2,1:14، 38-34
		15
	15-12,7-1:16، 34-23	35,22-16,11-8:16
		19-17
14-11:20		29-22,13-1:20
31-21:21	35-32,9-1:21	10–11:21
	22:24	
	5-1:25	19-6:25
		31-26
	-34,30,27,15-1:32 42	33-19,18-16:32
		36-33

* نقلا عن زلمان . شازار - مرجع سابق
ديوكاي م . (مرجع سابق)

http://kotob.has.it

الجزء الثاني :
المنظور النقدي العلماني
الأركيولوجي
المبحث الأول من الجزء الثاني :
القبول المشروط بقدسية التوراة،
وعلم الرقيمات

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الباب I- دراسة من ناحية المناهج النقدية :

- جزء 2 - المنظور النقدي العلماني الأركيولوجي :

مبحث a - اعتمادا على علم الآثار والتقنيات والرقيمات :

- نظرية القبول المشروط بقدسية الأسفار

- نظرية نفي هالة التقديس عن التوراة .

مبحث b - اعتمادا على الدراسة التاريخية المقارنة في الجوار :

- نظرية الرفض الكلي واعتبار التوراة جزء من التاريخ الأسطوري .

- جزء 3 - اعتماد على المعطيات الآنفة كلها :

خلاصة في المحاولات التوفيقية ورأينا الشخصي : (التوراة جزء من تراث تاريخي معقد وهي كتاب مقدس جرى العبث به)

- شواهد وإثباتات .

خلاصات عامة

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المنظور النقدي العلماني الأركيولوجي

1 - بناء على نظرية الرقيمات : نفي القدسية عن التوراة واعتبارها مستقاة من مصادر سابقة عليها من المنطقة . «جان بوتيرو»

2 - القبول المشروط : بناء على علم التنقيبات وفك الرموز واللغات القديمة واعتبار أن التوراة جزئيا قد استفادت من التراث الذي أحاط بأقوام كثر «الأب سهيل قاشا كمثال» .

المنظور النقدي العلماني الأركيولوجي: بناء على نظرية الرقيمات البابلية.

إن مفهوم الرقيمات البابلية أو الاستناد إلى مكتشفات التنقيبات الأثرية في بلاد مابين النهرين وحوض الفرات وغيرها هو نظرية وعلم ربما وضع هيكلا وشكلا دراسيا تم الاستنتاج منه عند بعض العلماء والآباء الكنسيين أو حتى الأحبار ورجال الآثار والدارسين إلى أن أصول التوراة المروية في الكتاب المقدس لها مايشابهها روحا وأسلوبا أو حتى محتوى وذلك سواء في بعض المقاطع أو في استقاء جملة من القوانين والتشريعات أو في القصص وذلك على مدى تاريخ طويل وضمن محتوى قد يكون هاما من مادة التوراة الحالية .

فالتوراة وفق هذا الأسلوب الرئيسي هي ليست بنتاج مقدس فرض نفسه دفعة واحدة كنص إلهي موحى به للأنبياء بل لقد قطعت عملية التدوين مرحلة طويلة من الصياغة والتبديل وربما الاستعارة من الجوار وربما بأسلوب كثيف وعلى مدى تاريخ طويل .

فمصادر التوراة - - وفق مفهوم الرقيمات - لها مايوازيها في الحضارات البابلية والأشورية والأكادية وغيرها والتي ربما كانت قصصها وعبادتها منشرة في المنطقة ومعروفة وهي سابقة على تدوين التوراة والتي قد تكون هذه الأخيرة قد أخذت عنها ثم طورت المفاهيم وطوعت القصص وأضافت أو حذفت بعد عملية الاستفادة من الحضارات في المنطقة لتفرد بعض النظريات حول تاريخ العبرانيين وبعض القصص وهو الشيء الذي ربما كان مفقودا حينها أو أنه مجرد تراث شفاهي مشتت .

فالحضارات السابقة في مناطق تواجد مختلفة من بلاد الشام والرافدين كانت سباقة في اعتماد أصول دينية وعقائدية وسير لأبطال وخوارق مازالت موجودة وباللغات القديمة وهي تشابه إلى حد شبه متطابق ماورد في التوراة فيما بعد .

ويذهب أصحاب نظرية الرقيمات والتنقيبات الأثرية من العلمانيين إلى نفي الألوهية أو صفة القداسة عن الكتاب المقدس اليهودي ، بل يعتبرونه برمته مأخوذا ولو جزئيا عما يشابهه - وهو محفوظ اليوم - من كتابات مسمارية للألواح الحجرية ومفاهيم متواجدة .

كما وينسبون إلى كون كتبة التوراة أن مصادرهم هي فقط المفاهيم السائدة في المنطقة ، إذ أنهم يرون أن لا إبداع البتة في التوراة وهو مجرد نتاج بشري بالاستعارة مما سبقه .

http://kotob.has.it

كما أن هناك فريقا آخر يعتمد رأيا مفاده أن التوراة ليست مجرد أساطير مأخوذة عن حضارات جاورها بني إسرائيل بالمخالطة أو بالعيش بل إنهم يقبلون بشكل جزئي كون التوراة كتابا ذي قدسية محدودة فيما يحتويه وإن كان الكثير من محتواه قد تم أخذه بتأثر من الحضارات المجاورة بعد تهذيبها وتشذيبها . وماهذا التشابه إلا لكون أبطال الكتب أشخاصا عرفتهم المنطقة بمجملها وأن قصصهم كان متواجدا وسائدا في المنطقة .

فالتوراة ليست بإبداع بالمعنى الفوق طبيعي بل هي نتاج بشري مر بمراحل طويلة من الأخذ والرد وشابه الكثير جدا من المغالطات وإن كان جوهر دعوته تبليغ عن رسالة إلهية دعت للتوحيد المطلق وبدأت مع موسى النبي .

فأصحاب نظرية الرقيمات بين مذهبين :

1 - إما نفي القدسية المطلق عن مجمل التوراة والاعتقاد بأخذها عن أساطير سابقة .

2 - أو الاعترف بقدسية مشروطة وجزئية للتوراة مع الإقرار بأخذها عن غيرها في بعض مما حوته الأسفار من أخبار وقصص وتؤيلها وذلك عبر عملية إعادة صياغاتها المتكررة (وسنعرض للمفهومين في هذا المبحث) .

a - القبول المشروط بقدسية التوراة : جان بوتيرو كمثال

البحث النقدي استنادا إلى علم الآثار والرقيمات

- جان بوتيرو

1 -إن من سنعرض لأرائه كمثال على نموذج للقبول المشروط بقدسية بعض محتويات أسفار التوراة مع التحفظ على بعضها الأخر وذلك من خلال دراسته للرقيمات والتنقيبات الأثرية في بلاد الرافدين حول الكتابات المسمارية للحضارات السومرية والبابلية والأكادية هوجان بوتيرو الكاهن ورجل الدين المسيحي سابقا والذي اتخذ مساره مجرى علمانيا صرفا بعد إعلانه لأرائه وانفصل نهائيا عن الكنيسة لينصرف إلى فك الرموز ودراسة اللغات واللهجات السامية القديمة .

وقد نشر أوائل كتبه من خلال حوار أجرته إيلين مونسا كريه معه ونشر الكتاب بالعربية بترجمة روز مخلوف وعن دار كنعان بدمشق (الطبعة الأولى لعام 2000) . وعنوان الكتاب الصادر بترجمته بالعربية هو "بابل والكتاب المقدس" . . .وهو يلخص المنحى العلماني الصرف الممثل للاتجاه النقدي اعتمادا على نتائج التنقيب وعلم الآثار .

. . . . ومن خلال آرائه الواردة نلتمس أنه كان وراء الكتاب المقدس تاريخ طويل وغني تصادق عليه عشرات الآلاف من النصوص التي كتبت بالمسمارية :

- فاكتشاف قصة الطوفان- على مايذهب إليه بوتيرو - قد نشرها جورج سميث عام 1872 وكانت كتابتها سابقة على تاريخ وضع القصة المماثلة التوراتية مما يجعل أنه لم يعد الكتاب المقدس منذ حينها يقرأ ككتاب فوق طبيعي وبمثابة أقدم تاريخ في العالم . إذ يبدو أن كوزموغرافيا الكتابات البابلية هي نفسها تقريبا كوزموغرافيا الكتاب المقدس .

http://kotob.has.it

- أماعن أصل الإنسان ، فقد شكل موضوع قصيدة تقارب الألف بيت ندعوها بالحكيم الخارق ألفت عام 1970 ق . م وفيها تبدو حبكة الإصحاحات الأولى من سفر التكوين وذلك من حيث خلق الإنسان الأول نائبا عن الآلهة ومن طين ثم إفناؤه عن طريق الطوفان وهي القصة الكاملة المعروفة في الكتاب المقدس من حيث بناء سفينة ثم إعادة وجود البشر إلى المدة القصوى التي تبلغ 120 سنة مع تزايد وفيات الأطفال وعقم النساء . وبهذه الطريقة كان سكان مابين النهرين القدماء يرون أصولهم ومعنى حياتهم .

ولقد كانت البشائر والنذائر تدون تماما مع الأحداث الجسام في رقيمات وذلك منذ الألف الثالثة قبل الميلاد في دولة سومر ، كما كانت العرافة تمارس من قبل الكهنة لاستنباط رغبة الآلهة عبر رؤى وأحلام . وقد مورست هذه الشعائر منذ القدم ولدينا - على مايقوله بوتيرو - تقويمات دقيقة منذ أقدم عصور الإنسانية . فالديانة الإسرائيلية ليست سابقة قط وغير قابلة للفهم إلا إذا تصورنا أنها تأسست أولا على يد موسى وليس على يد أحد قبله . . . إذ أنه ستلتزم إسرائيل من الآن فصاعدا بعدم الاهتمام إلا "بيهوه" وحده ولم يعد للآلهة الأخرى أهمية بالنسبة لليهود الذين لن يكون لهم إله سوى اللّه الباقي مدشنين بذلك الأحادية الحصرية .

فعمل موسى الديني هو بدايات الديانة الإسرائيلية . ولكن الإسرائيليون أخلوا بعد ذلك بالوعود والميثاق واستسلموا للآلهة الكنعانية والعبادة الشهوانية وبدأت تنشأ لهم تناقضات صارخة بين الأغنياء والفقراء ، هذا في حين تطالبهم الوصايا العشر بالأخوة والمساواة . ولم يتوان عدد منهم من خواص الملهمين بتذكيرهم بواجبهم وفروضهم الدينية أمام ضلالهم ، وقد دعي أبرزهم من المصلحين بالأنبياء .

وبذلك فإن بوتيرو يعيد نشأة التوحيد إلى موسى وحده وليس قبلا بحال كما أنه يعتبره المؤسس الفعلي ولاينكر دعواه في شعبه وقومه .

ويستأنف الكاتب ليعلق حول أصول اللهجات في المنطقة ليعتبر أن الأكادية هي أقدم لغة معروفة (القرن 27 ق . م) وهي لغة بلاد مابين النهرين . وابتداء من الألف الثالثة ظهرت اللغة الكنعانية التي توزعت على عدة لهجات متقاربة كان منها العبرية والفينقية والأوغاريتية . وكان الإسرائيليون أثناء ترحالهم يتكلمون لهجة لانعرفها غير مكتوبة ثم أخذوا عن الكنعانيين لهجتهم بعد غزوهم لفلسطين .

وقد عرفت الآرامية بعد ألف عام من ذلك . وأن الكتاب المقدس بمجموعه مكتوب بالعبرية مع مقاطع أكثر حداثة مكتوبة بالآرامية . وبين المحتوى الأصلي الذي اختفى منذ زمن طويل والذي يعود للنصوص الكاملة أو المنتحلة للكتاب المقدس منذ نهاية القرن العشرين ق . م وبين النص الكلاسيكي الذي ثبت حول بداية تاريخنا ، سال ماء كثير ووضع عدد من النسخ المتلاحقة تمت خلاله كل التحريفات التي يمكن أن نتخيلها في الترجمات للمخطوطات باليد بحيث أنه من أجل الحصول على نص له بعض الحظ بأن

http://kotob.has.it

يكون قريبا من الأصل الضائع ولو قليلا فلابد من القيام - لامناص - من دراسة كاملة تقوم على نقد النص . . . . وقد اقتبس الكتاب المقدس من أدبيات سبقته فهو ليس بكتاب كتبه الله شخصيا أو أملاه بإلهام منه كما أنه ليس بذلك الكتاب الفوق طبيعي والفريد أو أقدم الكتب جميعا . «وربما كان الأخذ عن الكتابات المجاورة بسبب طول اللبث فيها كما حصل لاحقا في فترة السبي البابلي مثلا » .

وحول العقيدة اليهودية وتطورها ، فيرى بوتيرو أن الانتقال من عبادة متعددة الآلهة والأساطير التي نسجت حولها إلى عقيدة إفراد التوحيد الخالص بإله واحد ومطلق فإنه عمل خارق لابد أنه قد تم نتيجة أحداث جسيمة ووحي ملهمين عبر العودة إلى تبليغ إلهي كان معروفا سابقا منذ القدم ولكنه شابه التشويش واستعيض عنه برؤى أسطورية . فالله كان منبع وأصل وصانع كل شيء بما فيه الشرائع ولو بشكل رمزي .

ويعرض المؤلف لبعض التفاصيل والقصص المتشابهة في الرقيمات فيرى أنه حول أسطورة جلجماش وملحمته فإنها تبين الصلات الثقافية الموجودة في حضارة الرافدين ومواضيع معينة من الكتاب المقدس عبر أسطورة الحكيم الخارق المكتوبة في الثلث الثاني من الألفية الثانية ق . م أي حوالي عام 2700 ق . م .

وهي أسطورة قائمة على أحداث حقيقية أدت أولا إلى ولادة حكايات باللغة السومرية . ومع النهضة التي عرف بها عقد حمو رابي ، فقد ظهر في بابل دون شك كاتب كبير لجمع هذه المواد عن طريق إضافة ملامح من أفكاره أو اقتباسا من الفولكلور الشفوي وعن طريق إعادة بناء مغامرة جلجامش على طريقته مضيفا معتقدات معاصريه في التعامل مع الموت كفرض شامل على البشر . . .وقد بني هذا الكاتب ملحمته بالأكادية ولم يحفظ منها إلا أقل من النصف حتى اليوم وهي ألف بيت .

كما قد تم العثور على أجزاء من ملحمة جلجامش نفسها في سوريا وفلسطين وآسيا الصغرى حيث تبناها الحثيون والذين ترجموها إلى لغتهم وكذلك الحوريين في شمال بلاد ما بين النهرين الذين ألفوا منها نوعا من الموجز أو الملخص ولدينا نموذج وقطع محفوظة منه .

أما مدى تأثر الكتاب المقدس بهذه الملحمة فإننا نقرأ حرفيا نصا في أواخر سفر الجامعة المكتوب في الألف الثانية أو قبل ذلك من ماقبل الميلاد ، ومؤلف هذا السفر مثله مثل مؤلفي الكتب الأخرى الساميين لايعرف نهاية أخرى للحياة إلا الموت ونزول الطيف إلى الجحيم في مملكة الموت المدعوة بالعبرية "بالشيؤول" ليقضي فيها حياة وهنة وحزينة ومظلمة تماما كما في ملحمة جلجامش (سفر الجامعة 9 .5= 10) .

ويتساءل بوتيرو أخيرا : " أليس التوازي اللصيق بين القسم الرئيسي الوارد في التوراة ونصح الحورية لجلجامش كما في السومرية والأكادية متماثلين عند مراجعة النصوص» . فهناك احتمال أن يكون مؤلف سفر الجامعة قد عثر على ترجمة آرامية محتملة للنص البابلي ، فالمؤلفات البابلية تسمح لنا بالافتراض لهذا الانتشار كما أن رواية جلجامش

http://kotob.has.it

تتقاطع خطوة بخطوة وبالضبط مع الرواية الواردة في الكتاب المقدس بما فيها جميع التفاصيل . ولعل أصول هذه الملحمة نفسها هو مؤلف بابلي آخر يعود زمنه للعصر نفسه وهو قصيدة الحكيم الخارق التي روت قصة خلق الإنسان . وهي النموذج التي اقتدت به الإصحاحات الأولى من سفر التكوين التوراتي والذي لايفهم تماما دون ما استناد إلى هذا المثال البابلي . . . فمؤلفي وكتبة الكتاب المقدس لم ينقلوا النصوص والمعطيات البابلية كليا وآليا بل لقد فهموها وأعادوا التفكير فيها لتكييفها مع الخطوط الدينية الخاصة لإسرائيل والأحادية الحصرية والروحانية والأخلاقية .

أما حول مشكلة الشر الواردة في سفر أيوب ، فقد بقيت لنا أربعة أو خمسة أعمال شاعرية مبنية على هذا الموضوع من منتصف الألف الثانية إلى المنعطف الفاصل بين الألفية الثانية والأولى وهذه الأعمال تحمل سمات مشتركة لشخص يغرق فجأة في التعاسة ويشتكي لربه لكي يدافع ويحامي عنه أمام الآلهة الآخرين . فها هو هذا المعذب يعترف لربه أنه استحق عذابا لكنه وجد عقابه أقسى مما يجب وغير متناسب مع حياته الشريفة . وغالبية هذه الأعمال شبه مونولوجات يرد ذكر الإله فيها بعض الأحيان وهي تحمل المسلمات الأساسية للتدين الرافدي وهو مفهوم علو الآلهة وتفردها وتساميها عن فهمنا لمقاصدها وأفعالها . ورغم ذلك فإن المعذب سيدرك الآلهة بعد أن عاقبت بقسوة فهو ينتظر أن تبرئ موقفها منه .

وهكذا عندما طرحت مشكلة العذاب والشر الفرديين في إسرائيل كما في بابل لم يتم ذلك بصورة استقلالية تماما .

فمؤلف سفر أيوب قد انطلق من حكاية شعبية ربما ظنها قصة حقيقية حافظ على نصها النثري في مقدمة وخاتمة سفره . . . وإن الشيطان يلفت نظر الرب إلى أن أيوب قد فاز بكل شيء بفضل عدله وفضيلته ولابد من اختباره . . وهكذا يتخلى "يهوه" عن أيوب للشيطان ليفقره ويهلك أبناءه ثم يمرض مرضا قاسيا وتنصحه امرأته أن يلعن "يهوه" قبل أن يموت فرفض أيوب . . . (هنا صحح النص العبري فحلت محله بارك محل لعن الأصلية وفي النسخ الحالية . . .) .

وفي نهاية هذا السفر هناك احتمال أن يكون خطاب شخصية ثالثة لاندري من أين ظهرت في الإصحاحات 32 - 37 قد أضيفت لاحقا في طبعة تقية للكتاب .

وقد كانت عبادة الإله الواحد قد تجذرت منذ زمن طويل في إسرائيل عندما كتب سفر أيوب عام 450 ق . م . . . وكأننا نستطيع القول بأن لدى مؤلف سفر أيوب مصادر رافدية يحتمل أن اقتبس منهم فكرة الحوار نفسها لمناقشة مشكلة الابتلاء في ديانة قائمة على كمال الله وبالتالي عدالته المطلقة وعدم ظلمة لعباده . . .*

1) ولعل أيوب امتحن كإنسان حقيقي ولكن كاتب السفر لا يخلو من اعتماده على مصادر سابقة عليه عند استقائه لمعلوماته وتحريره لفقراته

http://kotob.has.it

وحول تبعية ديانة الكتاب المقدس لديانة بلاد مابين النهرين فإنه يفترض العثور على سمات مشتركة للديانتين وقد تم العثور على ذلك بالفعل : من حيث العدد المحدود للشخصيات الفوق طبيعية في مواضيع العاطفة والخيال والسلوك الديني وهذا إرث سومري مخفف جدا بعد أن قدس الأكاديون تعالي الآلهة . فهناك ثوابت تنم عن ثوابت دينية مشتركة في الجانب البابلي والإسرائيلي . . . فالديانة الرافدية هي وجه من أوجه الحضارة المحلية متجهة نحو العالم الفوق طبيعي انتقلت بواسطة التربية منذ ماقبل التاريخ وتعدلت مع القرون حسب الأفضليات والتغيرات دون كتب مقدسة ولاسلطات دينية تخلق لها أرثوذوكسية ما . وهكذا بقيت الديانة الرافدية دوما متعددة الآلهة وتشبيهية بشكل أساسي فالآلهة رغم تعاليها وتساميها فهي تشبه البشر . وهكذا ورث الرافديين ميتولوجيا بحتة سومرية كاملة أخذوها على عاتقهم وطورها . . . وفي مواجهة ذلك بدأت إسرائيل بإهمال تعدد الآلهة لتعبد "يهوه" وحده متجاوزة تعدد الآلهة البابلي بأحادية حصرية فإله إسرائيل ليس قابلا للتمثيل ولا للتخيل مطلقا لذلك وجب إهمال أكبر قدر ممكن من الميثولوجيا المشتركة .

"ومع مرور الزمن استسلمت إسرائيل - متأثرة بذلك بالكنعانيين وإطار الحياة الجديد نتيجة الحلول محلهم - لرغبة في طقوس فخمة ومعبد ديني مقدس مع بذخ بديع في الطقوس كما كان حال الجيران بما فيهم البابليون رغم الدعوات المتكررة للتجرد من ذلك والعودة إلى حياة التقشف المنشودة حيث اعتبرت هذه المظاهر شكلا من أشكال الردة .

ومن المؤكد أن مابين النهرين هم أول من وصل قبل موسى بألفي عام إلى حضارة رفيعة على الصعيد الديني كما على جميع الأصناف الأخرى . فهذه الدول هي وحدها منبع كل التطورات والمؤسسات والمفاهيم التي انغرست رويدا رويدا في كل مكان في الشرق الأدنى . . . وهو مذهب ولب نقاش جان بوتيرو ونتائجه .

أما حول أصل الكتاب المقدس الذي هو الأدب الديني لشعب إسرائيل فقد ألف من مجموعة كتب متباينة كتبت بين عام 1600 ق .م وقرن أو قرنين قبل تاريخنا .

أما المؤلف لهذه الكتب فهو ذهن كون لنفسه قصته وتصوره الخاص لما فوق الطبيعي وللسلوك الذي عليه أتباعه في نظره ثم فرض تصوره على ماحوله عن طريقة الكتابة واعتبارا من لحظة معينة كتبت هذا النتاج الديني إثر مناسبات عديدة وبطرق شتى نظمت ورتبت ونقحت وأعيد تنسيقها . أما جميع القصص التي تسيق أصول إسرائيل في شخص إبراهيم فهي جزء من ميثولوجيا إذا ماقورنت بموازيتها الرافدية مبللة بالفولكلور والخرافة التي يصعب معها استخلاص شيء متماسك على الصعيد التاريخي . فأجداد إسرائيل ساميون رحل اشتركوا في تدين شبيه بالساميين القدماء الآخرين الذين تواجدوا بالشرق الأدنى آنذاك ممن تدين بآلهة متعددة مشبهين خلعوا صفات إنسانية على اللّه . وغير بعيد عن ما أوردناه ، وببعض التفصيل نعرض لوجهة متقاربة للأب سهيل قاشا وهو رجل دين

http://kotob.has.it

مسيحي وقد قام بمقارنة كتب اليهود مع غيرها .

b – الأب قاشا كمثال حول الهامش المشترك للمادة الأسطورية بالتوراة .

ومما يقوله الأب سهيل قاشا في كتابه "أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية" . . . في طبعة 1998 (وهي الطبعة الأولى عن دار نشر بيسان ببيروت) :

" عن الوصايا العشر التي يكاد العلماء يجمعون على أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية فإنها لم تكن بكاملها وعلى هيئتها الحالية كالتي جاء بها موسى .

ويظهر المشرع الأول للأسفار الخمسة في التوراة ومثله النبي موسى وهو يتكلم بلسان (يهوه) . ومن الغريب أن لهذه الأسفار مايقابلها في قوانين حمورابي التي كانت قد سبقتها بأكثر من قرنين ."

وهناك تشابه بين (قصة الخليقة) (إيلوما – أيليش) البابلية ، وبين قصة خلق العالم ، كما وردت في سفر التكوين في أكثر من حدث ، والتشابه نفسه نلاحظه في قصة (خلق الإنسان) السومرية وتطابقها مع الأحداث التي ترويها التوراة عن أصل الخليقة .

ولكن كتبة اليهود كعادتهم نسبوا هذه القصة إلى مدوناتهم ولم يذكروا مصدر الاقتباس 1 .

وهناك أسفار أخرى ذات تشابه مع المدونات السومرية والبابلية والأكادية والآشورية 2 .

وإن شريعة حمو رابي كما يبدو من موادها هي عبارة عن جمع منقح لمواد الشرائع التي سبقتها 3 .

أما الشريعة الموسوية ، فتتألف من الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس (العهد القديم) التي تكون مجموعة موحدة كان اليهود يسمونها "الشريعة" أو"الناموس" أو "التوراة" .

وقد جرت العادة منذ أيام الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية ، أن يسمى كل سفر حسب محتواه .

وإطلاق اسم (أسفار موسى الخمسة) على التوراة لايشير فقط إلى الإهتمام بموسى بل إلى نسبتها إليه واعتباره مؤلفها . وهذه هي عقيدة اليهود منذ عهد فيلون الإسكندري (القرن الأول قبل الميلاد والأول الميلادي) ويوسيفوس اليهودي اللذين عاصرا المسيح ، وأعلنا أن موسى هو مؤلف التوراة ، خلافا لما هو الرأي اليوم .

أما بالنسبة للتوراة أو الأسفار الخمسة ، فقد حشرت وأقحمت فيها وأكثرها مواد مقتبسة من الشعوب المجاورة ، وخاصة من شريعة الملك حمو رابي 4 .

1- وهو ليس باقتباس على مانرى بل هو وحدة وتشابه في التبليغ وفي المنطقة برمتها .

2- والملاحظة أعلاه تصدق هنا أيضا كما يذهب الأب قاشا .

3 – والشريعة اليهودية جمع وتنقيح وتصحيح لما سبقها أيضا .

4 – ولعله تشابه فقط وبسبب المجاورة .

http://kotob.has.it

فمجموعة من الأسفار ، نشأت وتطورت في عصور بعيدة ، وهي المجموعة كما نثبتها اليوم سواء في الأصل العبري حيث نجد الشريعة أو في التراجم حيث أضيفت إليها أسفار غير شرعية ، خير مرآة للحياة العقلية اليهودية في العصور البعيدة . . .

ولذا فهي قابلة للتحرير والتعديل أو التعديل أو النسخ والإلغاء على مر الأيام بسبب التطور الفكري .

وقد كتب الأب فوستي الدومنيكي إلى الكردينال سوهار يقول : "سبق للجنة الكتابية فاعترفت في شأن تأليف التوراة في قرار 27 حزيران 1906 م بجواز التأكيد بأن موسى ، قد استعمل وثائق مدونة أو تقاليد شفوية لإنشاء كتابه" . وكذلك بقبول تبديلات وإضافات عقبت موسى . فلا أحد اليوم ينكر وجود هذه المصادر أو يرفض تقدما تدريجيا في الشرائع الموسوية سببته ظروف اجتماعية ودينية لاحقة تقدما يلاحظ في الروايات التاريخية أيضا .

ولابد من الاعتراف بأن المتشابه بين شريعة موسى وقانون حمو رابي لابد أن يكون معظمه مقتبسا من أقدمها أي أن المتشابه الوارد في الأسفار الخمسة (التوراة) يكون مقتبسا من قانون حمو رابي التي سبقت شريعة التوراة بأكثر من خمسمائة عام ، بغض النظر عن التاريخ الذي دونت فيه (التوراة) في وقت لاحق بعدة قرون 5 .

وكانت توجد لوحات حجرية شبيهة بالتي يذكرها سفر الخروج في بلاد مابين النهرين منذ القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد وأبرز مثال لذلك هو قانون حمو رابي ، وإن طابع الحضارة المتجولة في العهد الذي نحن فيه يدفعنا إلى الإقرار بأن الطريقة نفسها كان يتبعها البدو الميالون إلى الحياة الحضرية ، حتى أولئك العائشون على حدود مصر6 . . .

فإن أبحاث علماء النقد الحديث أثبتت أن هذه الشرائع لم تكتب ولم تذع كلها معا في وقت واحد بترتيبها الحالي وأنها قبل أن تجمع في الأسفار (سفر التكوين ، سفر الخروج ، سفر الأحبار ، سفر العدد ، وسفر تثنية الإشتراع) كما هي مرصوفة الآن إنما كانت مبعثرة في مجموعات مختلفة ، أو قوانين خصوصية .

- بعض الأسفار كأمثلة :

ولدينا من الدلائل مايشير إلى أن مدوني التوراة كانوا مطلعين على الحكمة العراقية القديمة التي منها اقتبسوا النصوص الحكمية التعليمية والتي أتت متشابهة في أكثر من سفر . وأن اليهود قد سباهم الأشوريون والكلدانيون إذ جلبهم نبوخذ نصر إلى بابل ، كما وسباهم قبله سنحاريت واسرحدون الأشوريين فأدخلوا الكثير من النصوص العراقية القديمة في نصوص الأسفار التوراتية بعد تحويرها وتوظيفها بما يتناسب وآراءهم الدينية7 .

---

5 - ولكن موسى هو مؤسس أول دين توحيدي على الإطلاق وهو وكتابه موحى له .

6 - وكله من باب عملية تكميل شريعة للأخرى . . . عدا الإضافات البشرية اللاحقة .

7 - . . . ومن المعلوم أن التوراة إنما صيغت في فترة السبي ومابعده على يد عزرا الكاهن .

http://kotob.has.it

ومن الأسفار : - سفر المزامير

. . . فإن داود لم يكتب جميع المزامير ، أو ربما لم يكتب شيئا منها على رأي بعض المدققين . فقد كتبت عن لسانه ونسبت إليه .

ويؤيد علماء العهد القديم أن المزامير الأخيرة كتب بعضها حوالي القرن الرابع قبل الميلاد ، والبعض الآخر في عهد المكابيين ، والبعض الآخر حوالي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد .

و - سفر الأمثال

ولقد وردت في هذا السفر نصوص غزيرة جدا تتفق وحكمة أحيقار الأشوري أو بالأحرى الحكمة العراقية القديمة 8 .

و - سفر الجامعة

كتب نص هذا السفر الأصلي بالعبرية ، وقد وجد علماء العهد القديم نصوصا كثيرة بين فصوله لايمكن أن يكون سليمان بن داود كاتبها ، ويرتقي عهد هذه النصوص إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد ، أو إلى العهد اليوناني . (200 - 204 ق.م) .

و - سفر يشوع بن سيراخ

كتب النص الأصلي لأثر ابن سيراخ في الفترة الواقعة بين 190 سنة و170 سنة قبل الميلاد . ولم يعتبر من الأسفار القانونية في مجموعة الأسفار العبرية المقدسة كما أن بعض الكنائس المسيحية تعتبره من الأسفار المنحولة (ابو كريفا) .

. . . وإن كاتب هذا السفر مطلع تمام الإطلاع على حكمة أحقيار الأشوري المتمثلة فيها الحكمة العراقية القديمة .

و - سفر طوبيا

منذ أن أعلن الأستاذ جورج هوفمان العلاقة بين سفر طوبيا وحكمة أحقيار سنة 1880م ، والعلماء المعنيون ماضون في دراسة هذه العلاقة ، دراسة دقيقة .

إن سفر طوبيا أيضا لم تعتبره الأجيال اليهودية المتأخرة من الأسفار القانونية ، والأغلب لأنه كتب بالأرامية ، وعليه يعتبر لديهم "احميا" إلا أن مجمع قرطاجنة سنة 357م اعتبره قانونيا فاعترفت به الكنائس الشرقية واعتبرته الكنيسة الغربية من جملة الأسفار المنحولة (أبوكريفا) ولم يثبت في معظم طبعاتها . . .

وآن سفر طوبيا حسب مخطوطة سيناء والفاتيكان والنص اليوناني هو قصة أحيقار بشكلها اليهودي ، يحاول الكاتب أن يجعل أحيقار ابن أخ طوبيا - واسم أخيه عنئيل - فهو يهودي لا أشوري ، وهذا مرفوض . 9

8 - ولعلها من الاستعارات اللاحقة بسبب الإقامة .

9 - ولعله من باب ضرب الأمثال والاستشهاد بشخصيات تاريخية مع إحداث تغيير في الأعلام .

http://kotob.has.it

أما مغزى القصة الخلقي فيكاد يكون واحدا وإن اختلفت الألفاظ . . .

إن التوراة ليست كتابا واحدا بل هي سلسلة من الكتب ، كتبها عدد من الكتاب في أزمان متباينة وأنها لاتقتصر على موضوع واحد أيضا ، ومادامت كتابا دينيا قبل كل شيء فهي تتناول أبحاثا في التاريخ ، وقصة خلق العالم ، وشعرا وفلسفة وأساليب أخرى من الكتابة .

أما الكهنة الأشوريون فأخذوا الرقم البابلية وأعادوا نسخها ووضعوا اسم إلههم أشور بدلا من مردوخ .10

ولقد انتقلت هذه القصة خارج حدود مابين النهرين إلى فلسطين ، ولكن اليهود برغم ضعفهم لم يفكروا أبدا في قبول إله أجنبي ليرمزوا به إلى بدء الخليقة وسواء أراد الكهنة أم أبوا فأن عامة الشعب تمجد في أشعارها الدينية الإله يهوه على إنه قاتل لوياثان أو التنين .

وقد كانت تلك الشخصية هي شخصية القديس جرجيس (سان جورج) أو كوركيس قاتل التنين .

أما قصة الطوفان فقد انبعثت من الأدب البابلي والأدب الأشوري وإنها تشبه حقا قصة الطوفان البابلية والأشورية . إذ نجد الفلك المطلي بالقير ، وهو نفسه الذي ورد ذكره في التوراة ، كذلك ورد ذكر رجل معين مع أسرته حذرته الآلهة بقرب حدوث فيضان وانهمار مطر غزير يغرق الأرض ويميت الناس ، ثم ترسو السفينة على جبل ويرسل هذا الرجل ثلاثة طيور ثم يخرج المنقذ من السفينة ويقدم القرابين .

وإن أوجه الشبه بين القصتين أمر يدعو إلى الدهشة ويجعل كل شخص يوافق على أن القصتين أصلهما واحدا 11

وشيء واحد خدمت به الآداب البابلية التوراة : هو إنها جعلت التوراة أكثر فهما ، ويجب أن نذكر أن العهد القديم في الواقع هو كل ماعندنا من اللغة العبرية القديمة ومن هنا فإن كثيرا من الكلمات قد فقد أو ورد مرة أو مرتين ولم يمكن فهمه من سياق الجملة ومضمونها .

وإن الكلمات نفسها والتعابير التي لم تكن مفهومة في العبرية ، هي غالبا ما تكون واضحة كل الوضوح في النصوص البابلية (12) .

والكاهن الذي لايريد أن يتضمن الكتاب موضوعات أو تفسيرات لاتتفق مع رأيه الخاص سواء فيما يتعلق باللّه كانت أم فيما هو جدير بما احتواه تاريخ مؤسسي الجنس اليهودي هو عزرا .

---

10 – وبذلك نرى أن قصة الحضارة الدينية قد مرت بأحقاب ولدى جميع الشعوب واحدا عن الآخر .

11– وهذا لايقدح قط في رواية التوراة وسماتها لأنها وبالنسبة لوقت تبليغها فقد جاءت مذكرة لموجودات وقصص سابقة في المنطقة .

12 – وماذلك إلا لانعدام حركات التنقيط أو الشكل وتشابه الأحرف في العبرية المقدسة وقتها .

http://kotob.has.it

B أما حول قصص الخلق، فنجد في سفر التكوين قصتين للخلق:

الأولى: الإصحاح 1 - 2 : 2 - 4 من جمع الكهنة في القرن الخامس قبل الميلاد وهي ترتكز بشكل رئيسي على الإينوما إيليش البابلية مع مفاهيم سومرية، وتسلسل عملية الخلق في ستة أيام يتبع تسلسل الإنوما إيليش منتهيا بخلق الإنسان، يتبع ذلك راحة في اليوم السابع - السبت.

الثانية: الإصحاح 2 : 4 - 25 وهي قصة فلسطينية المسرح مع تشابه بالقصة البابلية. خلق آدم من الطين (أدما) أو الأديم 13.

النص العبري ينسب الخلق ل "ايلوهيم" Elohim أي الآلهة في البدأ خلقت الآلهة السماء والأرض" أي أننا نجد في النص العبري نفس تعدد الآلهة في النصوص السومرية والبابلية 14.

على أن القراءة المتأنية لنص التكوين التوراني تظهر لنا تناقضا واضحا في أحداثه، ففي البدء خلق الرب السموات والأرض، ثم نجده يخلقها مرة ثانية بفصل المياه عن بعضها. ومرة نجده يخلق البشر دفعة واحدة" ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الرب وقال لهم أثمروا وأكثروا وأملأوا الأرض" في المرة الأخرى يخلق الرب الإنسان بدءا من زوجين أوليين مقتفيا بذلك أثر الأساطير البابلية والسومرية. وفي هذا فإن هذا النص ونصوصا أخرى كثيرة في التوراة قد كتبت بعد التوفيق بين روايتين توراتيتين دعا علماء التوراة الرواية الأولى بالرواية اليهوية والثانية بالرواية الألوهيمية.

... وقد جرى المزج بين الروايتين بعد العودة من الأسر البابلي عام 528 ق، م عندما قام كهنة اليهود بصياغة موحدة لأسفار التوراة.

'هذا وأن السبي قد قدم لليهود فرصة للإطلاع على آداب وديانة وأساطير ثقافة وادي الرافدين.

"أما حواء فهناك معتقدان أساسيان يبرزان بخصوصها في التوراة. أولهما أن اسم حواء في العبرية يعني "تحيي (إي التي تعطي الحياة)". وثانيهما إنها خلقت من ضلع آدم. ونحن لانشك في أن هاتين الصفتين لحواء في التوراة قد جاءتا نتيجة لتأثير واضح بأسطورة انكي وننخرساك التي تدور حول جنة دلمون. فنحن نقرأ في هذه الأسطورة أن الضلع (يلفظ في السومرية ti) كان أحد أعضاء الإله انكي الثمانية التي أصابها الوجع بسبب أكله النباتات ولذلك فقد كان لزاما لشفائه أن تخلق ننخرساك إلهة خاصة بهذا المرض سمتها الأسطورة Nin-ti. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن للفظ السومري ti نفسه معنى آخر مهم وهو (يحيي) ويكتب بالعلامة السابقة نفسها أيضا.

13 - وهاتين القصتين كما أسلفنا مرارا عن تراث الإنسان من التبليغ النبوي في الشعوب البائدة.

14 - وهو مانرفضه تماما لأن اليهودية دين توحيدي صرف وما ذلك إلا لتشابه في معاني الألفاظ ربما

http://kotob.has.it

ولذلك فإن التعبير السومري حيثما يرد يمكن أن يعني "سيدة الضلع" أو "السيدة التي تحيي" . أن هذا المعنى المزدوج لاسم الآلهة السومرية التي خلقت في "جنة دلمون" قد نقله العبرانيون من الأسطورة السومرية (Nin-ti) وتصورها في الوقت نفسه إنها من ضلع آدم لأنها كانت موكولة بشفاء ضلعه (في السومرية Nin-ti أيضا) .

. . . وتعد أسطورة الطوفان البابلية ، أو بالأحرى السومرية أقدم أساطير الطوفان المدونة في الأدب . ذلك إننا نعلم إنه على الرغم من قدم الرواية البابلية ، فأنها لا تزال مستمدة من أسلافهم السومريين الذين استمد منهم سكان بابل ، فيما يبدو ، العناصر الأساسية لحضارتهم 15 .

ويجمع نقاد العهد القديم على أن أسطورة الطوفان العبرية كما هي مدونة في سفر التكوين تجمع بين قصتين متميزتين في أصلهما ومتناقضتين تناقضا جزئيا . وقد مزج المؤلف بين القصتين لكي يكون منهما قصة واحدة متجانسة من ناحية الشكل ، بحيث لايفوت القارئ ما فيهما من تكرار وتناقض حتى وإن كان القارئ غير مدقق في قراءته .

وفي كلتيهما صورة الحادثة المثيرة ، حادثة إرسال الحمامة ، ثم الغراب .

ففي كل من الروايتين : الكهنوتية والبابلية أصدرت الآلهة تعليمات محددة إلى البطل لبناء السفينة ، وبناء على هذه التعليمات ، بنيت السفينتان في كل من الروايتين من عدة طوابق وقسم كل طابق إلى عدة حجرات كما إنها طليت في كل منهما بالقار أو القطران ، ورست كل منهما على جبل واستقبل البطلان بركة الآلهة عند خروجهما .

أن الرواية البابلية لايمكن أن تكون مستمدة من الرواية العبرية حيث أن الرواية البابلية أقدم من الرواية العبرية بما يقرب من أحد عشر أو اثني عشر قرنا .

ومن المحتمل كل الاحتمالات أن كتاب هذا المصدر قد تعرفوا على التراث البابلي ، أما عن طريق الروايات الشفوية أو المدونة ، وذلك في أثناء أسرهم أو وربما بعد عودتهم إلى فلسطين 16 .

وبناء على وجهة النظر هذه فإن بعض التفصيلات التي تختلف فيها الرواية الكنهوتية عن الرواية اليهوية ، تتفق فيها مع الرواية البابلية ، ربما نقلها الكتاب الكهنوتيون مباشرة عن المصادر البابلية 17 .

إن القصص المروية التي كتبها اليهود ، ليست بتاريخ ، ولكن فيها نفحة تاريخية ، وطيلة عشرين قرنا الماضية ، تمكن اليهود من تكريس الكثير من المفاهيم المخطوءة القائمة على

15- وماهي بمستمدة بل هي استمرار لهم وربما تبليغا عنهم .

16 - وربما جاء تدوين التوراة بوحي عام مسترجعا ماسبقه من قصص وليس أنه قد نسج على أساطير . . . وهذا رأي العلمانيين فقط .

17 - وربما استند الكتبة إلى مصادرهم ومخطوطاتهم إضافة إلى مصادر أخرى محلية كالبابلي وغيرها .

http://kotob.has.it

التحريف والانتساب والتزوير للحوادث والشخصيات التاريخية من أجل أن يجعلوا لهم امتدادا تاريخيا مرتبطا بحضارات العالم القديم ، وعلى الأخص الحضارتين العراقية والمصرية العريقتين . . . .

. . . حيث أن تاريخ اليهود القديم الذي تضمنته التوراة قام على وضعه كتاب عاشوا في بابل بعد وقوع حوادثه بمئات السنين واستندوا في رواياتهم على قصص مروية تناقلتها أجيال من أسلاف اليهود الذين كانوا قد تزاوجوا مع سكان بابل الأصليين وفقد الكثير من أصولهم العرقية .

ومن قصة الطوفان في التوراة نرى أن شكلها النهائي قد جاء من مصدرين يهوي وكهنوتي والاثنان يعتمدان إلى حد بعيد على الأصل البابلي وخاصة النص الكهنوتي .

ولقد حوت أسفار التوراة طائفة من الأخبار عن بلاد ما بين النهرين وتاريخها نتيجة التأثيرات الحضارية التي خلفتها حضارة وادي الرافدين في العبرانيين الذين اقتبسوا منها أشياء كثيرة في حقل الأساطير والقصص والمعارف فضمنوها في توراتهم منذ بدء الخليقة 18 على حد ما أوردته التوراة .

وبالمقارنة البسيطة نجد الخليقة في العقائد الإسرائيلية والتي أفاض فيها سفر التكوين تشابه إلى حد كبير قصة الخليقة فيما تركه لنا البابليون من ميراث عن معتقداتهم .

إنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى . . .19

. . . وكانوا يرتاحون في يوم السبت لمصالحة الآلهة بعدم القيام بأي عمل ، وقد عثر لدى الحفريات على تقويم خاص بالأعياد والأيام المختصة لتقديم القرابين وعليه إشارة إلى اليوم السابع والرابع عشر والواحد والعشرين والثامن والعشرين على أنها لا يأكل فيها "راعي الشعوب العظمى" لحما مشويا ولايبدل ثوبه ولايقدم قربانا ولايركب الملك عربته ولاتنطق الكاهنة أو الساحر بتنبؤ وحتى الطبيب لايضع يده على مريض .

إنها الأيام التي لايقوم فيها أحد بأي عمل ، لذلك لايمكن الشك بأننا ندين براحة يوم السبت أو يوم الأحد في النهاية لهذا الشعب . . .20

---

١٨ - ولايمنع ذلك كون نسيج التوراة ذي أصول لقصص حقيقي وليس معنى ذلك أن ماحواه مجرد أساطير .

19 - لعل بعض النصوص أكثر توضيحا واكتمالا من غيرها من المدونات . . . سواء أكانت سابقة أم جزئية . . .

20 - . . . ونحن نرى أنه لما فقدت المخطوطات الأولى والنصوص الأصلية المؤرخة لفصول التوراة ، وأراد الكهنة وكتبه السجلات إعادة صياغتها سواء في زمن الممالك أو في عهد السبي البابلي ، فقد تم الاستعانة بالمدونات المشابهة والمنتشرة في المنطقة كمصادر إضافية في عملية الكتابة . . . وهذا العمل الذي أدى إلى الحشو والمغالطات الخطيرة وعمليات الإقحام وإلصاق المقاطع بعضها بعضا مما أضعف وشوه من التوراة فيما بعد . والروايات مشهورة في الصياغة من النصوص المقدسة إلى عزرا الكاهن في بابل بعد فقدان النصوص الأصلية وذلك استنادا إلى مخطوطات جزئية قام الكهنة بعملية تنقيح وإضافات ونسخ وتحوير كبير فيها لتأخذ شكلها النهائي . . . وربما هذا سبب تعدد المصادر وتشابهها حسب المناطق .

http://kotob.has.it

وهكذا نجد أن التوراة بما فيها الأسفار الخمسة الأولى ليست معاصرة لفترة الأنبياء على الإطلاق أو بأيديهم بحال :

- بل هي مزيج وخليط غير متجانس لمصادر عديدة كتبت على فترات متباعدة ولنفس الحدث في بعض الأحيان . . . فهناك المصادر القديمة والمصادر الأحدث عهدا . . . ثم تم تجميع هذا الفتات وإدماجه في عصور لاحقة وإثبات تاريخه . . . ولم يستقر الكتاب اليهودي إلا في عصر متأخر وربما في مرحلة السبي البابلي وفترة ما بعد الممالك . . . وحتى فيما بعد .

. . . وهناك الكثير من الشك حول تاريخ ومجرى الأحداث في العديد من الأسفار المثبتة في العهد القديم وصحة نسبتها لمؤلفها . وربما كان ذلك يتم استنادا إلى وثائق سابقة ولاحقة قام الكتبة بإدماجها مع العديد من التعديلات التي تستجيب للمتطلبات اللاهوتية .

- كما أن العديد من المفكرين والباحثين يخامرهم الشك في الأحداث المروية والتي ربما أقحمت في سفرها والتي إنما تعبر عن ماجرى في عصور لاحقة تم تجميعها وتنسيقها ونسخها . . . وإلى هذا الرأي يذهب فولفها وزن واستروك وسبينوزا وغيرهم من المعاصرين . . .

فالتوراة إذا أخذت روحها ، فهي ذات دلالات إلهية ولكن أسلوبها وتفاصيلها لاندري أي منها هو الصحيح . . . وهنا يمكن الجزم أنها تراكمات لصياغات مختلفة وفق مصادر متباينة وعلى فترات متباعدة لم يعد أيا منها وفيا لرسالة النبي موسى أوغيره في نصوصها .

. . . هذا ولا يستبعد بعض الباحثين كون عدد من الروايات الواردة في التوراة بعد إثبات قدسيتها قد تأثرت بالأجواء المحيطة ببني إسرائيل وبالحضارات المجاورة السائدة منها أو البائدة حينها . . ولديهم أدلتهم على ذلك . . . وإن كان ذلك قد تم نسجه ضمن نسيج غريب هو شكل الكتاب المتعدد المصادر وعلى مدى قرون متباعدة بحيث لم تعد بشكل وفية لرسالة النبي موسى وإن كان في جوهرها مايزال يظهر روح التعاليم اليهودية . . . ولكن كيف يمكن الإيمان بكتاب كهذا؟؟؟ كل ذلك إضافة إلى طقوس وتعاليم وتشريعات أقحمها الكهنة والربيين ودونها الكتبة واستجابت لتطلعات شعب ما وعلى فترات متباينة ثم ما لبثت أن أقحمت في الكتاب المقدس .

. . . ولم يستقر العهد القديم عند اليهود بأسفاره إلـ 24 إلا في وقت متأخر جدا . . . ولعل أي من الأنبياء الكبار لم يثبت الاحتفاظ بكتاباته كاملة وفية لزمن تواجده . . . بل هي شذرات وبقايا أعيدت صياغتها مع الكثير من التحريفات . . . وعلى فترات مختلفة وبأيد متعددة مع التصحيحات وأخطاء النسخ . . . على حد رأي الأب سهيل قاشا الذي عرضنا لأفكاره هنا ، ملخصة" .

http://kotob.has.it

٣- ملحق للاطلاع

- حول سيغموند فرويد ودعواه :

أما فيما يتعلق ببعض الكتابات العلمانية الصرفة حول الدين اليهودي ، فهناك مؤلف سيغموند فرويد الطبيب النمساوي وواضع أصول علم التحليل النفسي حول هذا الموضوع وأشهرها كتابه " الإنسان موسى ، والتوحيد " . . . وهو مما لن نناقشه إذ أن فرويد يقزم الدين وينكر الشرائع والوحي الإلهي ، فوجهة نظره علمانية صرفة وهو يرجع كل شهود ديني إلى تفسيرات وأصول مادية وغريزية وغير ذلك . وفحوى دعواه وباختصار أن موسى تربى في كنف الفرعون وكان لسانه مصريا ثم انقلب على فرعون وقاد شتاتا من الناس ، ويشكك فرويد حتى في أصول موسى أو في اليهودية ليبرر ثقل لسان موسى بكون سببه لأن كلامه مصري وليس بعبري . وهو مجرد قائد وقد وضع شرائع وقواعد وأسس وتنظيمات . . . الخ . . . وهو وكما نرى كلام لانتفق معه ولسنا في حاجة لمعالجته أو الرد عليه . . . حيث أن فرويد يقارن مع الأديان المصرية ودين أخناتون وغير ذلك في الدعوات السابقة ليبرر نشوء الدين اليهودي . ويرى أخذ اليهودية عن خليط لأديان تواجدت في مصر ، وينكر الوحي الإلهي كليا أو بنوة موسى ويرى في ذلك كله دعوة إصلاحية ليس أكثر وهجرة لطائفة منبوذة ومقهورة أو جد لها موسى نظاما معينا وفق قواعد ورؤى لاهوتية وضعها لهم!! وأنها ربما كانت وريثة لعقيدة عبادة أتون أو أمون أوغيرها من ألفاظ الالهة المصرية . أي أنها حركة إصلاحية كبرى فقط .

فهو بذلك يطبق منهجه الاستقرائي في التحليل النفسي عبر رد كل الأمور حتى علم الاجتماع وأصول الأديان إلى مبادئ مادية وتفسيرات من الجوار . . . وهو مايعارض أية مناقشة منصفة للموضوع من حيث تقزيم الدين إلى حاجة مستترة لاشعورية تتهاوى أمام التحليل المادي لعلم النفس وكان هذا موقف فرويد من الدين وهو العالم اليهودي .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المبحث الثاني :
نظرية الرفض الكلي لقدسية التوراة واعتبارها مجرد أساطير بناء على نظرية المجاورة
«المبحث الثاني من الجزء الثاني»

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

- نظرية أخذ التوراة عن الأساطير المتواجدة:

يعتمد هذا التيار على دراسة أصول القصص التوراتي . ويرى كنتيجة لتلك المعالجة أن مادة التوراة لها مايشابهها في الأساطير المختلفة من رومانية ويونانية ومخطوطات مفقودة أو جزئية أو من معتقدات وثنية أو عبر ماهو مدون في سومر وأور وبابل وحتى الهند . . . من هنا يعتقد أن كثيرا من المعتقدات الإسرائيلية لها جذور سومرية وبابلية وكنعانية ويونانية وغيرها ؛ بل هي بعينها ربما مأخوذة عن هاته المصادر السابق ذكرها .

- وسنعرض من باب أمثلة على هذا التيار النقدي والذي ينفي القداسة تماما عن أسفار التوراة ، ماكتبه كل من غريفيز وباتاي عن سفر التكوين وهو مترجم للعربية بيد علي الشوك الذي حاول إتمام عملهما عبر دراسة عدد أخر من القصص عدا ما ورد في سفر التكوين . والكتاب المذكور من منشورات دار بابل بالمغرب في طبعته الثانية لعام 1989 وتحت عنوان : الأساطير والمعتقدات القديمة والتوراة" .

- وسنعرض لبعض ماخصناه أو استقيناه من هذا المؤلف مما عالجه كل من باتاي وغريفر مع تعليقات المحقق .

ولقد ذهب آخرون إلى اعتبار مجمل القصص التوراتي هو أخذ عن الأساطير مثل قصة آدم وحواء وخلق العالم وقصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأبناؤه . . . فكل ذلك مما يذكرون أنه لا وجود له بما فيه مايعتبرونه أسطورة من دعوة موسى الذي كان ضابطا مصريا انقلب على الفرعون رمسيس الثاني وخليفته وقد كان موسى على دين أخناتون ولم يأت بجديد بل أحيا عبادة قديمة بعد أن أخرج من مصر مجموعة من المضطهدين المعروفين بالعابرين وهم قبائل متنافرة مختلفة مالبثوا أن تاهوا في صحراء قادش وسيناء إلى أن زحفوا على الأردن وخلال قرون أصبحت هذه القبائل تعرف بالعبرانيين . . . .إلخ . . .إلخ .

. . .ووفق نظرية "الأسطورة المشتركة" فقد عالج المؤلفان المذكوران سفر التكوين وماورد فيه من قصص حول الطوفان وسيرة نوح وأبناؤه مرورا بالخليقة وغواية الشيطان وخلق آدم وهبوطه . . . تعريجا على قصص إبراهيم وأولاده والتضحية ثم يعقوب وأبنائه الإثنا عشر انتهاء بيوسف وملكه واستقرار قومه في مصر كتوطئة لقهر الفرعون خلال مقامهم فيما بعد وهم الذين أصبحوا يعرفون بالعبرانيين على يد موسى . ولعل مقدمة لابد منها حول هذه التسمية لهم عبر تاريخهم .

A- العبريون وأصول اليهود :

فالمعلومات التي وصلتنا عن القرنين الأوليين من تاريخ العبريين مستمدة من التوراة فقط وهي عبارة عن حكايات تندرج في إطار الخرافة يصعب الاعتماد عليها ، كما تقول الموسوعة البريطانية (طبعة 1984) .

أما كلمة (عبري) فليس هناك اتفاق حول أصلها . و (عابر) تفيد معنى العبور ، عبور النهر أو سواه وهي كلمة سامية مشتركة . ويتفق معناها اتفاقا مصطنعا أو عارضا مع قصة

http://kotob.has.it

عبور العبريين نهر الأردن إلى أرض كنعان .

ويرى آخرون أن كلمة (عبري) من خابيرو KHAPIRU . والخابير أو الهابير أو العابيرو قبائل بدوية كانت تجوب المنطقة الشمالية من الجزيرة العربية ، وتعيش في الغالب على النهب والسلب . وهم لايمثلون جماعة عرقية بعينها ؛ إنما الخابيرو تسمية أطلقت على جماعات من الرحل والأجانب والأشقياء المستعدين للانضمام إلى صفوف أي جيش لقاء أجر أو بدافع الحصول على الغنائم . والخابيرو حسب قول بريستيد ، بدو آراميون ساميون يغيرون على المدن والقرى التماسا للمغانم . ويرى آخرون أن (الابيرو) تفيد معنى المغبر أو المغطى بالغبار . وقد تم استعمال هذا الاصطلاح بمعنى دال على الأجنبي أو المهاجر . وقد ورد ذكر الخابير في ألواح ماري على الفرات الأوسط في سوريا . وفي حدود 2000 ق . م ، ذكر لمدينة ناخور ، ولعلها تذكر باسم ناحور أخي إبراهيم على نحو ما جاء في التوراة . كما ورد ذكرهم أيضا في النصوص البابلية وألواح تل العمارنة بمصر (في القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق . م) وغيرها ، وجاء في الموسوعة البريطانية أن الهابيرو وHapiru أو الأبيرو Apiru كانوا قبائل غازية تعيش على السلب ، وهي جماعات غير متجانسة ، ويرى العديد من المؤرخين أنها أصل العبريين ، وأن الإسرائيليين لم يكونوا سوى فخذ منهم .

ويبدو أن «قبيلة إسرائيل» كانت منذ بدايات تشكيلها تتألف من أجناس شتى ، فقد تزاوج العبريون والكوشتيين ، وغيرهم . والعموريين كانوا شقرا طوال الرأس وطوال القامة ، وهم ساميون كان موطنهم شمالي سوريا وإبراهيم موضع تنازع بين الساميين ، وقاسم مشترك بين اليهود والمسيحيين والمسلمين رغم أن هويته لم تتحدد بعد على نحو قاطع في المصادر التاريخية .

ويبدو أن أقدم تسمية لليهود هي «العبريون» وبالعبرية عفريم Ivryyim ثم عرفوا بعد ذلك باسم الاسرائيليين Yesr'eelim ابتداء من دخولهم أرض فلسطين حتى نهاية السبى البابلي في عام 538ق . م . بعد ذلك أصبح مصطلح (يهودي) يطلق على الجميع ، لأن الذين عاشوا بعد السبي (سكان مملكة يهوذا السابقين) كانوا الاسرائليين الوحيدين الذين استرجعوا هويتهم . والذي يولد من أم يهودية يعتبر يهوديا . فإن بعض المفكرين الجادين يذكرون عدم وجود أي أساس علمي لتحديد الهوية اليهودية على أساس Ethnic ، «أي إثني أو عرقي» .

ويفهم من التوراة نفسها أن العبريين عند دخولهم أرض كنعان كان لسانهم آراميا ، لاتعرف خصائصه على وجه التدقيق لقلة المصادر الكتابية التي تعود إلى ذلك الزمن ، لكنهم فيما بعد اقتبسوا الحضارة الكنعانية ومن جملتها اللغة . والعبريون أنفسهم كانوا يسمون لغتهم «شفة كنعان» ، أي لغة كعان ، كما ورد في التوراة (أنيس فريحة) . أما التوراة فقد تم تدوينها في الفترة الواقعة بين (1200 - 200ق .م) وأيام الحكم اليوناني السلوقي والبلطمي .

http://kotob.has.it

وكان الكنعانيون يسمون أنفسهم «شعب إيل» ويعتقد لودز Lods في كتابه (إسرائيل ، ص 64) أن لفظة كنعانيين تعني «سكان المدن» . فبعضهم يرى أن (كنع) أو (خنع) كلمة سامية تفيد معنى الأرض المنخفضة ، وقد سمي الكنعانيون باسمهم هذا لنزولهم الأراضي السهلية ، قبل الشعوب التي كانت تعبد الإلاهة الكبرى تحت أسماء مثل بليلي Blili ، ودانية Danane ، وفينيقيا (الحمراء بلون الدم) ، وقد انتشروا بالهجرة من سوريا ، أو أراض كنعان ، ودلتا النيل . وقد سلكت جماعة منهم ، كانت الكرمة شعارهم الديني ، طريق البر والبحر بمحاذاة الساحل الجنوبي بآسيا الصغري ، ويرد ذكر (كنعان) في مدونات إيبلا السورية التي ترقى إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد بصيغة (كننايم) في سياق الكلام على الإله (دجن) الكنعاني :

. . .«وسيدة ألهة الكنعانيين هو إيل EL كان مقره في جبل صافون (الجبل الأقرع حاليا) . وهو أبو الآلهة جميعا . ويأتي بعده من حيث الأهمية بعل ، وغالبا ماكان يعتبر خصم إيل . وكان بعل إحدث من إيل في الميثولوجيا الفينيقية .»واليهود يكنون الإله بلفظ "إيل" أو إيلي .

ومن ألقاب بعل : راكب السحب ، وصوته الرعد ، وبهاؤه البرق . وسوف نرى أن يهوه ، إله اليهود ، سيسمى راكب السحب أيضا . وفيما بعد لقب باسم «أدوني» ، أي سيدي ومولاي وربي . وهو (أدونيس) عند الإغريق ، وقد تم تأليه (بعل) بعد الانتقال من مرحلة سيادة الأم إلى مرحلة سيادة الأب . ونحن لاننكر تأثر الإسرائيليين بالشعوب الأخرى أما (عناة) التي تسمى عند اليونانيين Antha ، فقد كانت (عناة) تعبد في أورشليم قبل أن يزيحها كهنة يهوة ويدعون أن الصفصافة ، مستنزلة المطر ، هي شجرته المقدسة في عيد الخيمة . وفي رأي البعض أن لفظة (أثينا) ليست سوى (عناة) Antha ملكه السماء السامية ، بقلب الحروف وهو شائع في اللهجات السامية القديمة اشتقاقا .

ب- وكخلاصة على تاريخ العبرين :

فإنه أما حول كلمة هابيرو أو عبري فإننا نجد من الألف الثانية وليس بعد ذلك التاريخ أبدا 250 وثيقة مسمارية ذكر فيها أشخاص تقرأ أسماتهم هابيرو بالأكادية وهي لفظة تحقير تفيد ما معناه لص أو قاطع طريق . فالأمر يتعلق باسم حالة وليس بتسمية ذات أصل جغرافي . فهم جماعة أناس تركوا مسكنهم ومدينتهم وعاشوا دون بيت أو مقر غالبا في جماعات يمارسون قطع الطريق وأحيانا يضعون أنفسهم في خدمة أناس حضريين كمرتزقة أو يستقرون كجمع آخر لأعمال مسالة . وكثيرا ما شكلوا مواضيع مراسلات دبلوماسية دولية في القرن الرابع عشر ق م حيث كانوا يتواجدون في سوريا أو في خدمة مختلف الملوك الصغار وكانوا تحت عهد الفرعون سيد البلاد .

ومن المعروف أن دلالات الكتاب المقدس حول مقدم آل يعقوب« إسرائيل» - مدة ملك يوسف عزيزا لمصر ، كانت حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد في عهد ملوك الهكسوس .

http://kotob.has.it

وقد تناسل سبعون فردا وزوجاتهم من تزاوجهم بمصر والقبائل المجاورة وبقوا هناك مدة أربعة قرون إلى حين استعبادهم لأسباب نجهلها وقهرهم في أعمال السخرة في عهد رمسيس الثاني وابنه فرعون الخروج في القرن الثالث عشر ق.م وفي هذه الفترة خرج موسى وجاء بديانته اليهودية الواضحة المعالم وإفراد الألوهية بإله واحد صمد مع كتاب مقدس وقصص . . . ونرى أن اليهود في ذلك الحين - أتباع موسى - كانوا قد أصبحوا مزيجا من الشعوب والأقوام والعادات . . وليسوا حصرا في نسل بني إسرائيل . . فقد اتبع موسى أمام حججه الدامغة لابد عدد غير قليل وكأي ديانة سماوية ، فلا يعقل أن تكون دعوته في قوم فقط ، بل في أجناس تجمعهم عقيدة .

ولكن ، وبعد انقضاء الأجيال ، أخذت الكتب المقدسة اليهودية صفة العنصرية والدعوة الأثينية مع تركيزها على العرقية بعد أن لم تكن كذلك مطلقا عند تبليغها على يد نبي الله موسى ، وحصرت في بني إسرائيل - يعقوب تحديدا .

ويعقوب هو أبو الأسباط الإثني عشر من أولاده وهو إسرائيل .

2- أصول العبرانيين وتاريخ اليهود

ولفظ العبرانيين كان يطلق على مجموعة من القبائل السامية التي هاجرت من بلاد العرب وبادية الشام وبادية العراق واستقرت في فلسطين أو في مصر .

وهم بطبيعة حياتهم مجموعة من البدو والرحل الذين كانوا يعبرون النهر من أجل الحصول على الماء والكلأ ، أو يغيرون على أطراف المدن لينهبوها ويسلبوا خيراتها ، وهم في ذلك أقرب إلى كلمة الأعراب التي يستخدمها القرآن في وصف البدو من العرب .

ويذكر روجيه (جار ودي) أن العبرانيين كانوا مزيجا مختلطا من عناصر بدوية مختلفة : "ولم يشكل العبريون - خلافا للصورة التوراتية التقليدية- عنصرا قائما بذاته قبل مجيء البدو والرحل إلى أرض كنعان ، وإنما تكونوا من مجموعات ترجع إلى عناصر مختلفة" ، وكانوا جزءا من الهجرات البدوية الكبرى : الأموريين أو الآراميين كما يقول الأب ديفو . . ومن بين هؤلاء البدو الرحل ، استقر البعض في أرض كنعان ، وواصل البعض الآخر سيرهم إلى مصر .

وأخذ هؤلاء البدو الرحل لغتهم من الكنعانيين وتعلموا منهم الكتابة ، واستمدوا منهم عقائدهم إلى حوالي عام 1400 ق.م ، ثم تبعوا على وجه الاحتمال الغزاة الهكسوس إلى مصر بحثا عن مراعي" .

فلما طرد الهكسوس من مصر ، اعتبر من جاءوا معهم وفي حمايتهم وتمتعوا بالمزايا في ظلهم ، اعتبروا خونة ، وفرضت عليهم شروط قاسية ، ولم يشكل هؤلاء عنصرا قائما بذاته ، وإنما كانوا طائفة من المعارضين للفرعون باسم "عابرو" ، (ومن ذلك اشتق اسم العبريين (كما يرى الأب ديفو) ، ثم هربوا من مصر لسوء ما لقوا من معاملة الفراعنة ، ولابد أن "خروج" هؤلاء الرعايا الأجانب الساخطين كان أمرا شائعا وكثير الحدوث ، فلم يجن لهم

http://kotob.has.it

ذكر في الكتابات المصرية لأنه حدث عادي "(لعل الكتاباب المصرية لم تكتشف بعد أو لعلها فقدت) .

ويذكر الأب ديفو بعض الوثائق الهيروغليفية التي تشير إلى أنه قد وجد في مصر فئة من العمال تسمى أبيرو (APIRU) وإنهم كانوا يستخدمون في أعمال البناء وسياسا للخيل والدواب ، ويستخدمون كعمال زراعيين في مواسم الحصاد وقطف العنب . وهؤلاء كانوا دائما من الأجانب وليس لهم عمل واحد ولا وضع واحد ، وكان المصريون ينظرون إليهم باحتقار ، وإن الأكل معهم رجس هؤلاء "العبيرو" لم يكونوا ينتمون إلى عنصر واحد . بل كانوا عناصر متعددة جمعتها البداوة والنزوح إلى مصر . . وبعضهم جيء به إلى مصر بعد انهزامهم في المعارك فكانوا أسرى حرب وعبيد .

وجاءت نشأة الشعب (الإسرائيلي) تطورا معقدا بدأ على الأرجح حوالي سنة 1250 ق .م ، على عهد الفرعون رعمسيس الثاني . فقد استطاعت بعض المجموعات السامية المقيمة في مصر والخاضعة لتسخيرات شاقة أن تهرب بقيادة موسى ، فجمعها موسى حول جبل سينا ، ثم حول واحات قادش ، ولقنها عبادة الرب الذي حررها ، ونظمها تنظيما بدائيا .

وهذا المعنى مخالف تماما لما ورد في أسفار التوراة والعهد القديم ، حيث كان يطلق لفظ عبري للتدليل على إبراهيم ونسله من إسحاق ، وهو من باب التشريف في إفراد نسب أقلية الأشراف . وعندما تحطمت دولة الشمال على يد الآشوريين سنة 722 ق .م بقيت دولة يهوذا ، وانضم لها اليهود الفارون من الآشوريين وبقيت هذه الدويلة حتى عهد نبوخذ نصر (بختنصر) الذي حطمها سنة 578 ق .م . وسبى نبوخذ نصر معظم سكان يهودا إلى مملكته بابل ، وعرف هؤلاء القوم باسم اليهود ثم أصبحت لفظا ثم علما يطلق على الديانة التي جاء بها موسى عليه السلام . وأصبح يطلق على كل من دخل هذا الدين اسم يهودي ولو لم يكن من نسل يعقوب (إسرائيل) .

ويرى البعض في رأي مشابه أنه قد "بدأ التفاعل والاحتكاك والاتصال الوثيق يؤدي إلى تكوين شعب جديد ، ظهر على مسرح الأحداث في حدود سنة 1200 ق . م . . وبدأت بعض قبائله تكون أحلافا فيما بينها ، وتغزو المناطق المجاورة من أرض الأردن وفلسطين . كما أن هذه القبائل بدأت رويدا تصوغ لها دينا متأثرا بديانات الشرق القديم ، وخاصة الديانات المصرية والبابلية والآشورية والكنعانية . . . وجعلت هذه المجموعة لها إلها خاصا ، هو (يهوه) ثم تطورت هذه الديانة مع مرور الأيام . . . وصاغت لها كتبا وأسفارا مختلفة بعد أن مرت بفترة طويلة من تناقلها شفويا والإضافة إليها والتحرير فيها . . ."

. . ." وقد صاغت هذه المجموعة لغتها التي عرفت باسم اللغة العبرية من اللهجات المختلفة ، وتعلمت الكتابة من الكنعانيين" وكان خطها مزيجا من الخطوط القديمة والخط الآشوري المربع . . مرورا بالعبرية التي دونت فيها الكتب المقدسة .

http://kotobhas.it

ونخلص إلى القول أن ذكر بني إسرائيل حصرا هو ليس من سبيل تحديد شعب محدد ومتفرد عرقيا ، بل هو دلالة على ثلة من الناس ومن نسل يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم . وقد كان من بقي منهم حيا ، زعيما شرفه الله على أحد بطون جماعات مصر من اليهود على زمن بني الله موسى فكانوا هم النقباء وربما كان ذلك هو المقصود من تفضيل بني إسرائيل تحديدا .

. . . فنعتهم هو من سبيل إفرادهم تخصيصا بالشرف . . علما بأن موسى وهارون كانا من نسل لاوي على ما ذكرته التوراة في سفر الخروج وفي الإصحاح الأول . . . أما بقية الأتباع من الموحدين فقد كانوا جماعات متعارضة ومختلطة إثنيا وعرقيا وحتى ربما لغويا . وأما قولنا (اليهود) فهو من باب الجماعة الكلية المتبعة لدين التوحيد الذي جاء به موسى وحيا من الله تعالى سواء أكانوا من بين إسرائيل الموحدين أم من غيرهم .

. . . ومن يراجع القرآن الكريم يجد تقوية لمنهجنا من باب نعت إسرائيل بيعقوب وأسباطه تحديدا . . أما اليهودية فكانت دينا على محل الإجمال كأي دين آخر لايحمل معاني التعالي والتفرد .

. . . وما بنو إسرائيل بتفضيلهم على العالمين إلا من حيث جعل النبوة والكتاب في نسل يعقوب (إسرائيل) وليس كدلالة أخرى . . .

ونميل إلى الاعتقاد بكون ذكر بني إسرائيل في الكتب المقدسة السماوية هي من باب نعت الموحدين الحنفاء الأوائل ومن باب التخصيص وفي نقائها الأول تشريفا وليست ذات معنى سلالي أو عرقي واحد . وهي من باب تخصيص آل يعقوب والأسباط تشريفا وليست لتميز الأعراق قط .

● ملاحظة : حول لفظ "أدوني" فإن المدونات العبرية لأسفار التوراة تفرد لفظ "أدوناي" للتعريف بالله ومن باب الإجلال اجتنابا من لفظ الاسم العلم للرب ألا وهو "يهوه" . . . فهم وحتى اليوم يستعملون كلمة «أدوناي» بمعنى سيدي أو مولاي عند كل مخاطبة ومناجاة قدسية (1) لفقدان معرفة أساس النطق باللفظ Y. HWH

B – بعض القصص في الكتب اليهودية وفي الجوار

ومن خلال الدراسة المذكورة ، فإن غريفز وباتاي سيوردان لنا محتوى سفر التكوين من خلال منظار المعالجة النقدية لرؤيتهما للموضوع فهناك مثلاما هو مستمد من أساطير الجوار المشابهة بالمنطقة من قصص .

---

(1) – ونحن نرى أن الأساطير في روحها وجوهرها ليست مجرد خيال بل هو قصص أخذ مادته من تدوينات لأحداث جسام وأبطال حقيقيين ما لبثت أن اختلطت سيرهم بالانبهار والخيال لتنسج روايات متناقضة ويرفض العلم الحديث اليوم سيالها رغم إقرار الكثير من البحاثة بأن بعض القصص الأسطوري له مايوازيه وكان ينظر إليه فيما مضى بمعنى القداسة ، ويستحيل أن يتخيل الإنسان ليجيد ما ينسج من خيالات فالتحوير تدخل قديما أمام عمل الأيادي البشرية وشوه الحقائق لعقائد ربما سادت يوما .

http://kotob.has.it

b- 1 قصة الخليفة في سفر التكوين :

وقد ألفت الرواية الأولى لقصة الخليقة التوارتية في أورشليم بعيد عودة اليهود من المنفى البابلي .

وقد أطلق على اللّه هنا لفظة ايلوهيم . أما الرواية الثانية فربما ترجع إلى أصل أدومي سابق للمنفى وفيها يطلق على اللّه (يهوة) . بيد أن محرر التوراة غيرة إلى (يهوة إيلوهيم) . وقد حار اليهود والمسيحيون في أمر هذا الاختلاف في الروايتين الواردتين في الإصحاح الأول والإصحاح الثاني .

وإن إسم (إيلوهيم) الذي يرد في الإصحاح الأول هو المقابل العبري لاسم سامي قديم لاله واحد على عدد من الآلهة الأخرين : إيلو Ilu عند الأشوريين والبابليين ، وإيل IL أو إيلوم ILUM عند العرب الجنوبيين . ولعله تشابه واستعارات وخلط بسبب المجاورة وتقارب اللغة .

b - 2 - سقوط الشيطان :

على أن هناك في نص بابلي يسبق قصة الشيطان التوراتية اكتشف في تل العمارنة بمصر ، حكاية عن إله يذكرنا تصرفه بموقف إبليس «ولعله من باب وحدة التبليغ الإلهي وتشابهه وأخذه عن بعضه بعضا أي اللاحق عن السابق بهدف ضرب الأمثال والتصحيح . . وهو أمر جائز جدا» (2) والشر الأصلي يقع في أرض يغمرها الضوء ، والدفء ، فلا بد أن يكون موقع هذه الأرض في إفريقيا ، وتنطبق هذه الأوصاف على السهول الخصبة في كينيا .

ويقول جون غري أن فكرة الجنة تعكس انبهار البدوي العبري بوادي الرافدين . ولا يمنع مطلقا الاعتقاد بكون جنة خلق آدم كانت جنة أرضية . . .

وثمة ختم سومري يرقى إلى نحو 3000 ق . م . يصور ملكا يطعم غزالين من أغصان شجرة الحياة . وفي مقبرة أور الملكية (2500 حوالي 2700) عثر على شجرة حياة يشب عليه خروف . وفي ختم آخر ، يسقي الملك أورنامو في أور شجرة الحياة أمام الإله شماش . وفي منحوته عاجية ترقى إلى القرن الثامن أو السابع ق . م تصوير شجرة الحياة .

وأخيرا هناك نقش سومري يصور رجلا وامرأة جالسين على مقعدين وبينهما شجرة تدلت منها ثمرتان ، أو عنقا تمر ، واحد باتجاه الرجل ، والآخر باتجاه المرأة : وقد مد الرجل والمرأة يديهما على الثمر .

(2) استنادا إلى الأبحاث العلمية في نقدها للكتاب مقدس ، نرى بأن كتبة التوراة قد شوهوا في الأصول والنسخ الأولى والتي كانت صادقة تماما تبليغا لأنبياء حقيقيين . . . ولكنه فيما بعد تم وضع تاريخ مشوه وذلك للمنطقة كلها من خلال تفاصيل جزئية وحشو لاشك أن المخطوطات الأولى وقبل فقدها لم تكن تحويه مطلقا ، فدراسة تاريخ المنطقة اعتمادا على التوراة وحدها هو عمل مخالف للعقل والحقيقة إذ أنه قد صيغ ووضع فيما بعد استجابة لحاجيات لاهوتية .

http://kotob.has.it

وعلى رأس الشجرة هناك حية واقفة منتصبة تماما خلف المرأة وكأنها تغريها على أكل الثمر (أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، ص 196) . وقصة السقوط ودور المرأة فيها ، والإنسان هو موقف صريح في انحيازه ضد المرأة بعد أن أفل نجمها في المجتمع الأبوي وهو مايرد تماما في التوراة .

فجوليان فورد يعتبر إقدام حواء ، أو المرأة ، على أكل هذه الثمرة من الشجرة عملا تحمد عليه ، لأنها وضعت حدا لهذا التابو ، ووفرت لقومها هذا الطعام بعد أن شحت مصادر القوت عندما أخذت الأمطار الغزيرة تشح في أواخر العصر الميزوليثي في إفريقيا .

فلقد كان جني الفاكهة وتوفير الطعام النباتي من مهمات المرأة . ولعله من التأويلات الأنطروبوجية .

أما الحية فقد كانت رمزا للمجتمع الزراعي ، وطوطما لدى العديد من الشعوب البدائية ، ورمزا للحياة الجديدة . أما الحمل فعند البعض فإن ساماثيل هو الذي تنكر بهيئة أفعوان ، وأقنع حواء بأكل الثمر من شجرة معرفة الخير والشر ، وأغواها فأنجبت منه قايين وبذلك دنست كل نسلها التالي مع آدم . ولم ترفع هذه اللعنة عنها إلا بعد أن وقف بنو إسرائيل تحت جبل سيناء وتسلموا الشريعة من يد موسى . وما تزال هذه اللعنة سارية على بقية الشعوب حسب التوراة .

في حين يرى آخرون إلى أن عمل الحب الأول بين آدم وحواء تمخض عنه أربعة أطفال على الأقل : قابيل مع شقيقته التوأم ، وهابيل مع شقيقته ، أوربما كل منهما مع شقيقتين .

وكانت عبادة الحية عادة متبعة عند الكنعانيين .وإن هناك نصبا في قصر بيت مرسم يرجع تاريخه إلى 2000 - 1600 ق . م ، وهناك شواهد تدل على أن اليهود عبدوا الأفعى في هيكل سليمان حتى أيام حزقيال (حوالي 720 ق . م . وهو من ملوك يهودا) .

. . . وفي الجيل العاشر تكاثر نسل آدم أضعافا مضاعفة . كما أن الملائكة المعروفين «بأبناء اللّه» الذين كانوا محرومين من النساء من جنسهم ، استطاعوا أن يتخذوا لهم زوجات من بنات البشر الفاتنات» على حد قول التوراة .

. . . وقد يعزى تفسير هذه الأسطورة إلى رعاة برابرة عبريين طوال القامة قدموا إلى فلسطين في أوائل الألف الثاني قبل المسيح ، وتمازجوا بالحضارة الأسيوية . أما «أبناء إيل» فتعني في هذا السياق «الرعاة من عبدة الإله - ثور إيل السامي» أما «بنات آدم» فتعني «بنات الأرض» وبالذات عبدة الإلهات المؤنثة ، بنات المجتمع الكنعاني الزراعي ؛ ولعل في هذا تفسير علماني لوصف أبناء وبنات الملائكة . وكانت تكشف في اليونان عظام تفوق الحجم الطبيعي ، ويتبرك بها في أثينا ويعتقد أن جنسا من البشر العمالقة عاشوا في أوربا في العصر الحجري الحديث . وغالبا ماكان يعثر حتى في بريطانيا على نماذج من هياكلهم العظمية التي يبلغ طولها سبعة أقدام . وينتسب العناقيون الفلسطينيون ، وعناقيو كاريا (من أعمال آسيا الصغرى) إلى هذا الجنس .

http://kotob.has.it

. . . وفي حين كان العمل المضني باليدين العزلاوين ، فقد علم نوح الناس صنعة المحراث ، والمنجل ، والفأس ، والأدوات الأخرى بيد أن البعض ينسب عمل الحدادة هذا إلى أخيه القتيل توبقال قايين ، مما يعزز ذلك أنه كلمة (قايين) تعني (الصانع) .

وقد جاء في كتاب روبرت غريفر (الأساطير الإغريقية) : أن الحديد باللغة الإغريقية كان يقال له خاليبس (Chalybs) . والخاليبيون تسمية أخرى للتبرانيين (Tibernians) ، وهم أول من صهر معدن الحديد ، وفي سفر التكوين (10-2) كانت بلادهم تدعى توبال (وهي هنا تيبار) ، وتوبال هو المعادل للتبريانيين الذين قدموا من أرميا إلى أرض كنعان من قبائل الهكسوس ، وتوبال قايين سبق ذكره أعلاه .

b-3- وفيما يتعلق بنوح وقصته والطوفان وأولاده معه :

فإن كثيرا من المعتقدات الاسرائيلية لها جذور سومرية وبابلية وكنعانية . . .

وقصة الطوفان التوراتية مستعارة حتى في تفاصيلها من قصص الطوفان السومرية والبابلية والظاهر أن هذا التأثر تم في مرحلة سابقة للسبي البابلي لليهود ، فقد عثر في مجدو الفلسطينية على ألواح ملحمة جلجماش التي تروي قصة الطوفان .

وفي (كتاب قصة آدم) رواية مفصلة عن الأجيال الأولى من آدم إلى نوح . أما كتاب (يهوة) فيبدو أنه مجموعة حكايات على ألسنة الحيوانات ، ولابد أن الكتب الأخرى التي ورد ذكرها في التوراة ، مثل (صنائع سليمان) ، و (كتاب الأنساب) ، و(أيام ملوك يهودا ، وملك إسرائيل ، وأبناء لاوي) تحتوي على معلومات ميثولوجية غزيرة ، كما أن أسطورة حام ، وهاديس ضد أبيهم كرونوس ، حيث جرؤ زيفس ، وهو أصغرهم ، على إخصائه ، وتمكن بذلك من احتلال عرش السماء . بيد أن إخصاء حام (أو ابنه كنعان) لنوح حذف من التوراة قبل عبارة «وصحي نوح من سكره ، وأدرك ما فعله به ابنه الصغير» . وقد قضى النص المعدل على حام بأن يبقى هو نسله عبيدا لسام ويافث بسبب جريمة تافهة ، وهي مشاهدة أبيه عاريا . وهناك إلماحات أخرى عن المجتمع الأمومي القديم والزواج الأمومي (حيث يقيم الزوج مع عشيرة الأم : «وسيترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بزوجته» (سفر التكوين2 : 24) وما ذلك إلا استعارات من أصول وحضارات قريبة بهدف تحوير النص الأصلي الأولي .

وحول الطوفان : فهناك أسطورتان تضاهيان طوفان سفر التكوين : الأولى أكدية ، والأخرى يونانية . الأسطورة الأكدية عن الطوفان يرد ذكرها في ملحمة جلجامش ، وكانت معروفة ومتداولة أيضا عند السومريين ، والحوريين ، والحثيين .

وتعني كلمة (نوح) بالعبرية : (راحة ، استراحة) وتقابلها بالأوغاريتية الكنعانية (ن و خ) وتعني (يستريح) أيضا ، . كما أن كلمة (أناخو) الأكدية تعني : يتعب ، يكدح ، يجهد ، يغضب ، يغني ، يئن ، والكلمة موجودة في السريانية أيضا .

ويبدو أن اسم (نوح) مشتق من معنى (الاستراحة) ليتفق مع سياق قصة الطوفان . أو

http://kotob.has.it

بمعنى الحزن .

. . . على أن أقدم أساطير الطوفان جاء في سومر (بلاد الرافدين) . ويدور موضوع الأساطير الأخرى البابلية ، والتوراتية ، واليونانية بأنها تضرب كلها على وتر واحد ، هو معاقبة البشر بالطوفان الشامل لأنهم عاثوا في الأرض فسادا ، وأن قصص الطوفان ليست مقصورة على شعب من الشعوب ، فهي متداولة بين سكان الجزر الشرقية في أوقيانوسيا واليابانيين ، والصينيين ، والبرميين ، والهنود ، والهنود الحمر ، فضلا عن شعوب البحر المتوسط بما فيها أي شعب من الشعوب القديمة ، المحدودة بالرقعة التي يوجد فيها أوسع منها إلى هذا الحد أوذاك . فبالقياس على ساكن جزيرة ، فإن العالم يقتصر على جزيرته فقط أو مجموعة من الجزر المحيطة به . وبالنسبة لسكان واد من الوديان ، لايتجاوز العالم حدود الجبال المحيطة به . وهكذا ، فإن حدوث كارثة موضعية ، سيترك انطباعا عند من تطالهم ، بأن أركان العالم تتهاوى على أبنائه ، لأنهم لايعرفون شيئا عن الأصقاع الأخرى (3) .

b – 4 – إبراهيم وأسرته :

ومن بين العلماء والباحثين العديدين الذين ناقشوا المعلومات التاريخية الواردة في التوراة في ضوء التنقيبات الآثارية ، المنقبة البريطانية كاثلين كينون التي أشارت في كتابها الموسوم بالكتاب المقدس والتنقيبات الحديثة إلى أن .« المحاولات التي تبذل لايجاد صلة تاريخية بين إبراهيم الخليل وحمورابي البابلي – لاتحتاج إلى جهد كبير للبرهنة على أنها عارية عن الصحة ، فليس مما يقبله العقل أن يقارن شيخ رعوي بحاكم إمبراطورية مثل حمورابي . وإن أية محاولة لايجاد هذه الصلة التاريخية ترقى إلى مصاف اللامعقول» . وحول ابراهيم ، ومع أن سفر التكوين (الإصحاح الرابع عشر) ظل موضع شك في معلوماته التاريخية ، فإن القصص ربما دونت أول الأمر بالأكدية أو الكنعانية فورا بعد الحرب التي يأتي على ذكرها . وبعد ذلك بزمن ترجمت إلى العبرية ، ويرجع زمن هذه الحرب إلى القرن العشرين ق .م في رواية ، والقرن السابع عشر ق .م في أخرى . وحسب هذه الترجمة الأخيرة التي وصلتنا ، فإن الغرض من هذا الإصحاح هو تكريس الاستيلاء على أرض كنعان ، وقد غزا كنعان من قادش وإيل – فاران (أو إيلات) على خليج العقبة في الجنوب ، حتى دان في الشمال ، أربعة غزاة ، إلا أن أبرام دحرهم على الفور ، وحسب نظام الإرث

(3) – إن توافق بعض القصص التوراتي حول أسماء اشتقاقية أو استعارات لأقوام أو لعبارات لها مشابهة في تراث مجاور أو محاولة التفسير العلمي والمنطقي لما كان يعتبر مفهوما أو يستحيل الوصول إلى تفسير مقنع حوله فهو من باب التفسير فقط ولايعني ذلك نفي القداسة الكلي عن وحي إلهي : فموضوع الجنة وموطن الإنسان الأول كما جاءت التوراة على تصويره يمكن أخذه مجملا . . . إذ أن الرواية نقلا عن تبليغ إلهي تكون عامة ودون تحديد وتنصيصات مستفيضة . . . فقد وجد مثلا حديثا أن موطن النوع الإنساني الراقي والعاقل كان مناطق دافئة من إفريقية وكانت عبارة عن تجمعات لم تختلط بأنواع بشرية أخرى كما أنها لم تتزاوج بها وقد هاجرت خارج موطنها منذ ماض . فالجنة التي المضيئة المليئة بالأشجار قد يصح نسبتها لإفريقيا كما أن الفردوس هو اشتقاق من حديقة ملكية بالفارسية . . . فالكلام الإلهي يأتي مجملا أما مايحويه من حشو وجزئيات فهو من إضافات اليد البشرية . ويجب على البحث العلمي أن يعزز من الاعتراف بالمقدس لاتقزيمه وهدمه .

http://kotob.has.it

استولى أبرام على كل الأرض التي كانوا يحكمونها .

وفي شريعة حمو رابي ثمة مايذكرنا بالعلاقة المعقدة بين أبرام ، وساراي ، وهناك خلط في التوراة حول سلالة إسماعيل . ففي سفر القضاة (13 :24) تم إدراج أبناء مديان بين سلالة إسماعيل ، في حين يعتبر سفر التكوين (25 :1) مديان أخا شقيق لإسماعيل . ويبدو أن أسماء إسماعيل هي أسماء مناطق وآلهة .

وقد وردت أسماء في سجلات الملك الآشوري تجلات بلاصر (القرن الثامن قبل الميلاد) تطابق تلك الأسماء أعلاه .

وعندما بلغ أرام عامه التاسع والتسعين غير الله اسمه إلى إبراهيم ، الذي يعني «أبا لجمهور من الأمم» وذلك عندما يشار إلى الله بصيغة إيلوهيم . ومع أن غونكل وآخرين يرون أن سبب هذا الارتباط في الصياغة يعود إلى أن هناك أكثر من كاتب اشترك في كتابة هذا الإصحاح ، وتغيير الله لأسم أبرام إلى إبراهيم والاسمان صيغتين مختلفتين للقب الملكي أبامرامو ، الواردين في الألواح المسمارية بين القرن التاسع عشر والقرن السابع عشر ق .م يمكن قراءته على النحو الآتي : الأب العلي»(4) .

. . . أما عن الضحايا الملقاة في الوادي المتأجج وهو وادي جهنم الناري المتقد فيبدو أن بعض هذه الضحايا كانت تقدم كبدائل للملك ؛ ، الذي يمثل الإله- الشمس في المناسبات السنوية عند استبدال التاج . ثم استنكر ميخا وارميا وحزقيال هذه العادة . كما يمكن الافتداء بجلب (خروف) أو حمامتين (سفر الخروج 24 -20 :6 -8) .

ودائما حول وادي جهنم فقد كانت طقوس حرق القرابين في هذا الوادي تمارس في أيام الملك سليمان في القرن العاشرق .م ؛ واستمرت حتى النفي البابلي في القرن السادس ق .م ثم أوحت لليهود والمسيحيين بفكرة الجحيم لعقاب الأشرار .

أما «الكبش في الأجمة» فيبدو أن هذه الصورة مستعارة من أور الكلدانية ، حيث عثر في مقبرة ملكية ترقى إلى أواخر الألف الرابع ق . م على كبشين من الذهب ، أحدهما أبيض والآخر لازوردي ، يقفان على قوائمهما الخلفية ، وقد ربطان بسلسلة فضية إلى شجيرة ذهبية مزهرة وهي صورة تتكرر في الفن السومري . ولها مايشابهها في التوراة حول الذبيح .

أما حول الخصام بين سارة وهاجر الذي عالجته شريعة حمورابي فيبدو أكثر إقناعا من سبب الخصومة بين نيفيلة وإينو ، ويومئ إلى أن مهد هذه القصة بلاد سومر .

---

(4) ولعلنا بإيجادنا تفسيرات تاريخية ولغوية وعملية سندهش أمام هذا الخزان الهائل الذي لاينضب من المعلومات الواردة في الكتب المقدسة . . . ومن الخطأ سلوك مسلك الرفض الكلي للمحتوى الإلهي . . . بل النتيجة المنطقية هي الشك فقط في عدم تطابق المعلومة الحرفي كما في التوراة مع معطيات العلم وذلك لتدخل التحوير في النصوص لا لكونها مختلفة . إذ أنه إذا ما أخذت الأحداث بروحها وعمومياتها فمحتواها له عدة معان وهو من باب التوافق لا التناقض . فالتوراة ليست مجرد أساطير على ما نرى والمقارنة تؤيد رأينا .

http://kotob.has.it

ملاحظة :

وجاء في كتاب (بلادنا فلسطين) أن وادي جهنم يشرف على الوادي المذكور اليوم «بمقبرة باب الرحمة» بجوار سور الحرم الشرقي . . .

ويستأنف الكاتب قائلا : . . .« فتوج الرب إبراهيم بشعر أبيض كالصوف ، مثل شعره هو (أي الرب)" : وهي أول علامة على الكبر عند البشر أنعم الله بها عليهم . وإن عدم سماح إبراهيم بزواج ابنه إسحاق من امرأة كنعانية (سفر التكوين 2 :24) كما يقضي العرف في المجتمع الأمومي بأن يترك الزوج بيته ويسكن مع أهل زوجته ، ولهذا فضل إبراهيم أن يختار له زوجة من بني أقاربه في حران ؛ وذكر لابان كلمة «عشور» عشرة يشير إلى أن رواية سفر التكوين تستند إلى مصدر عبري - مصري ، لان «العشور» وهو الأسبوع المصري المؤلف من عشرة أيام .

وفي خبر آخر ؛ وعندما كانت رفقة ، في فترة حملها ؛ تمر أمام مزار كنعاني ، كان عيسو يكافح من أجل أن يخرج ؛ وعندما كانت تمر أمام منزل أحد الأولياء الصالحين ، كان يعقوب يفعل المثل . ويتردد عيسو في اختيار عالم الجسد . ولعل هؤلاء الأخيين الذين قدموا إلى سوريا ، وورد ذكرهم في الكتاب المقدس تحت اسم الحوريين ، هم الذين نقلوا معهم أسطورة الصراع بين التوأمين التي استعيرت في قصة تقسيم إرث إبراهيم بين إسرائيل (يعقوب) وأدوم «عشور» .

أما تصوير عيسو إنسانا شريرا فهو مدراشي ، ولم يرد في الكتاب المقدس (5) .

ويزعم آخرون أن عيسو أخذ من يعقوب مبلغا كبيرا من المال لأن بكوريته تضمن له إرثا إضافيا من طرف الكنعانيين واستعملت كلمتا «أدم» و «سعير» الواحدة بعد الأخرى ومع هذا فإن أبناء سعير كان المقصود بهم في مواضع أخرى الحوريين :

هؤلاء بنو سعير الحوري ، سكان الأرض . .» (سفر التكوين 36 :20) ، وفي سفر التثنية (12 :2) فأن الحوريين أقاموا في البادية في سعير ، ثم طردهم بنو عيسو واحتلوا أرضهم .

وكانت دولة الحوريين الذين كانت لغتهم غريبة عن السومرية ، والسامية ، والهندية الأوربية ، على مشارف بلاد أكد الشمالية ، وازدهرت حضارتهم في أواخر الألف الثالث ق .م وكانت منازلهم في شمالي سوريا وشرقي الأناضول . ومع أن الحفريات لم تكشف النقاب حتى الآن عن وجود اثر لهم في بلاد أدوم ، فليس هناك داع للشك في شهادة سفر

---

(5) مصطفى مراد الدباغ : بلاد فلسطين ، الجزء الأول ، ص : 502

الموسوعة البريطانية تحت مادة Hell .

× وكتعليق أخير فإن رأينا هو أن الكتب المتلاحقة المقدسة كانت تصحح دعاو سابقة لأنه لم يخل قوم من تبليغ إلهي . . . ولعل مثال القرآن حي اليوم حول تصحيحه للروايات السابقة عليه فيما أورده من إشارات وقصص مع صدق محتواه الكامل والشامل وحتى في أدق عباراته مع العلم المعاصر . . . وما التنقيبات والدراسات المختلفة إلا محاولة لكشف إعجازه اليوم وصدقها .

http://kotob.has.it

التكوين ، إلا إذا كان المقصود بالحوريين «حرزي» أو سكنة الكهوف (راجع سفر أيوب 30 :6 (الذين يعتبرون من بين أبناء قطورة) أما السعيريون فهم قوم مزارعون لاساميون من أبناء العصر البرونزي ، أقاموا في هذه الأرجاء في حدود سنة 2000 ق .م ؛ ويرد اسمهم في ذكر للمرة الأولى في قائمة البردي التي أعدت لسيتي الثاني حوالي 1215 . ق .م . وقد دامت دولة الادوميين الذين استوعبوا السعريين والحوريين ، إلى أن قضى عليهم داود حوالي 994 ق . م .

وملابس عيسو التي أعطتها رفقة ليعقوب ، وهي التي صنعها اللّه لآدم وحواء ، انتقلت الآن عن حق إلى يعقوب ، وقد تعرف إسحاق على رائحتها الفردوسية . وهو مما يرد في التوراة .

وإن التوأمين المتخاصمين ، وأمهما المحتضرة ، ذلك كله جاء تعزيزا لأهمية بركة يعقوب الأخيرة ، التي ستكرس مستقبل إسرائيل ، أكثر من كونها مجرد وعد . وتكمن أهمية هذه المباركة في حق الملكية . وهناك عبارة تدين يعقوب على سرقته مباركة شقيقه ، حذفها أحد المحررين القدامى ، واستبدلها بالعظتين (4 .5) من سفر هوشع ، الإصحاح الثاني عشر اللتين تثنيان على مأثرة صراعه في بيت إيل .

وقد ترسخت هذه الأسطورة - التي تذكرنا في جزئها الأول بأخرى إغريقية من أصل كنعاني - في التراث العبري منذ كان اللجوء وإلى الخديعة والاحتيال يعد مفخرة . وعندما كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجتين وثنيتان . وقد أباح المفسرون المدارشيون لأنفسهم الحرية في رسم أسوأ صيغة لشجرة نسب عيسو من خلال مصاهرته مع قبيلة إسماعيل الباتريباركية .

وأما أن الآباء الاثنى عشر كانوا أتقياء ، فيتضارب على نحو سافر مع سفر التكوين ، فالكل ، باستثناء رأوبين والطفل بنيامين ، تآمروا لاغتيال أخيهم يوسف ، ثم باعوه عبدا وادعوا أن حيوانا من الاوابد افترسه .

والتسلسل القبائلي لمواليد الآباء يأتي في سياق الأقدمية لاتحاد ليئة - راحيل : الذي سمي فيما بعد «إسرائيل» بالمعنى الضيق للكلمة حيث كانت في البداية تشتمل على قبائل راحيل فقط» (6) .

على أن بنيامين لايمكن اعتباره آراميا ، رغم أنه ابن راحيل : فقبيلته كانت متميزة ، اشتهرت بدقة استعمالها المقلاع في الحروب ، وبضرواتها . ومنها كان أول ملك لإسرائيل . كما أن استعمال داود للمقلاع ضد جوليات ، وصلته القوية ببلاد شاؤول ، يشير إلى أنه من سلالة بنيامينية حيث ورد ذكر هؤلاء القوم في القرن الثامن عشر ق . م في وثائق ماري المدينة السورية على الفرات ، كقبيلة متوحشة ومتعطشة للدماء ، التي تذكرنا بمواصفات

(6) فكما أنه لايجب رفض التوراة برمتها ككتاب مقدس كذلك لايجوز الاعتراف بها كلية أو نقد مجمل محتواها لأن كلا المنظورين قاصر ومخاطئ على الأرجح وهو مبدأ الفكر العلمي .

http://kotob.has.it

بنيامين في سفر التكوين (49 : 27) . أما ليئة فهي البقرة الوحشية ، وراحيل هي الأنثى من أولاد الضأن ، وإذا أضفنا إلى (ليئة) و (راحيل) اسم أبيهما (لابان) ، وهي كلمة تفيد معنى اللبن ، اتضحت لنا الجذور الرعوية والبدوية لهذه الأسماء ، وكذلك انتماؤها الآرامي ، فلقد كان الآراميون في تلك الحقبة من الزمن - في أيام الأموريين - قبائل بدوية .

b- 5- عودة يعقوب إلى أرض كنعان .

قام يعقوب وحمل أولاده ونساءه على الجمال ، وعبر الفرات ، نحو أرض كنعان . وتذكرنا قصة يعقوب ولابان ببطلين إغريقيين أسطوريين ، ويبدو أن كلتا الأسطورتين ترجعان إلى مصدر واحد قديم . وبسبب الجرح في فخذ يعقوب ، لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم . (سفر التكوين 32 : 25 - 33) كما يزعم آخرون أن خصم يعقوب كان ميكائيل ، حاميا لإسرائيل وأبنائه حتى يوم الدينونة ، أمير الملائكة .

وإن التضارب الكبير في الروايات المدراشية عن هذه المصارعة بين يعقوب و «الرجل» الذي خاطبه فيما بعد على أنه الرب تشير الدهشة : ذلك أن الله ، الواقع وراء نطاق أي تصور بشري ، في الديانة اليهودية المتأخرة ، لا يمكن أن يحط من قدره بمصارعته مع إنسان ثم يطلب منه أن يتركه وشأنه . فقد ترجع أسطورة مصارعة يعقوب وعرجه إلى ضرب من الرقص الأحجل احتفالا بدخوله أرض كنعان بعد مصارعته مع خصم . وقد كانت عظام الفخذ مقدسة عند الآلهة في اليونان وفلسطين وكانت تعتبر من حصة الملك على مائدة الطعام عند العبريين (سفر صموئيل الأول9 :24) . أما اشتقاق كلمة (إسرائيل) فإن إسرائيل تعني «إيل يجاهد ضد أعدائي» . وهو اسم يعقوب .

أما حول الشريعة ، فإن الحكم على ثامار بالموت حرقا يسبق المرحلة التي دون فيها السفر الذي يقضي في إصحاحه الثاني والعشرين (العظتين 23 .24) على الزوجة أو الامرأة المخطوبة التي تمارس الزنا بالرجم بالحجارة . وأما الحرق ، في شريعة موسى ، فقد خصت به بنات الكهنة الخاطئات ((سفر اللاويين 9 :21) ومع هذا فإن وصمة العار لم تلحق الرجال الذين يضجعون البغايا ، في تاريخ مملكة يهودا المبكر ، مادمن غير تابعات لزوج ، أو أب ، أو بغايا مقدسات ؛ كما لم يكن هناك تمييز واضح بين مومس عادية (القديشة) أي البغي المقدسة وبنت الهوى .

b- 6- ... وعودة إلى يوسف :

فالمقطع الوارد في سفر التكوين عن أن المديانيين هم الذين باعوا يوسف إلى أبناء إسماعيل ، إنما هو محاولة للتوفيق بين روايتين عن بيع يوسف ، إحداهما وثيقة أفرايمية كتبت قبل دمار المملكة الشمالية (721 ق .م) ، والأخرى تعود إلى مملكة يهوذا ، ألفت بعد ذلك . وحسب الرواية الإفرايمية ، فإن إخوة يوسف باعوه إلى الإسماعليين . وفي النص الإفرايمي يشار إلى رأوبين كمدافع عن يوسف ، أما في النص اليهوداني فيذكر يهوذا . بيد أن سفر التكوين عندما أصبحت أورشليم المركز الجديد لإسرائيل ، وبعد أن اتحد رؤابين مع يهوذا ،

http://kotob.has.it

من هنا فكلا الأخوين يظهر بمظهر حسن وذلك على عكس دور قبائل شمعون وجاد ودان المحرومة من الأرض بدعوى التآمر .

وياسف المؤلفان - غريغز وباتاي - لأن الوثائق الدينية السابقة للتوراة لم تصلنا ، لأنها فقدت ، أو أتلفت عمدا . ومن بين هذه الوثائق : (كتاب حروب يهوة) ، و (كتاب يشار) اللذان يرويان بأسلوب ملحمي قصة تيه الإسرائليين في الصحراء واحتلالهم أرض كنعان . وقد ألفا بالعبرية ، بأسلوب شعري قديم ، على نحو مانلمس من الأمثلة التي نجدها في سفر العدد (21 :14) ، وسفر يشوع (10 :13) ، وسفر صمويل الثاني (1 :18) وهناك كتاب ثالث يقال إنه صنف في سبعة أجزاء بأمر من يشوع ، يرد فيه وصف كنعان ومدنها . (أنظر سفر يشوع 18 :9) .

وهكذا نستنتج من هذه النظرية الموغلة في العلمانية الرفض الكلي لمبدأ قدسية التبليغ الإلهي في الكتاب المقدس اليهودي واعتبار قصصه جميعا مجرد سرد أسطوري . . . وكان ذلك من باب إيراد ما شاع من نفوذ لهذه المقولات في الغرب وبالاستعانة بالبحث التاريخي نفسه وعبر مكتشفات علوم التاريخ والأنطروبولوجيا والتنقيبات والآثار للمنطقة شرقي المتوسط سنجد تفسيرات أخرى .

وسنعرض لبعض من هذه الوجهات النظر المختلفة من خلال عناصر ومواد البحث النقدي أو عبر نتائجه . وقد أبدينا البعض من ملاحظاتنا في جملة من الهوامش من هذه العجالة . وهكذا نجد أن التوراة اليوم وبعد الرحلة الطويلة التي قطعتها لم يبق فيها إلا بلاغ إلهي جزئي مشوش ومشوه مما يعرض قدسيتها للخطر أمام الاعتراف بعدم الالتزام بها حرفيا لكونها غير دقيقة . وقد ذهبت الرهبانية المسيحية إلى اعتبار أن التوراة يجب أن نفهم روحها وليس جزئياتها وقصصها إذ أنه قد شاب ذلك التحريف مما عرض إعجاز هذا الكتاب الذي عرف به عند تبليغ الأنبياء له كوحي من اللّه إلى فقدان صدقه وبريقه الأول ، إذ لم يبق لنا منه إلا عموميات وشذرات وسط تراث ضخم من أعمال الكهنة والنساخ والأحبار . . . وهو ماسنعرضه بتفصيل أكبر في حينه . وعلى العلم أن يكون محايدا ولايضع أحكاما واستنتاجات إجمالية حتمية ؛ كما يجب على البحث العلمي ألا يطرح رؤى عامة بنيت على مجرد جزئيات وحشو مشوهين .

ويذكر الباحث ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة) ؛ رأيه في العهد القديم فيقول" «ليس العهد القديم شريعة فحسب ، بل هو فوق ذلك ؛ تاريخ وشعر وفلسفة من الطراز الأول . وإذا ما أنقصنا من قيمة الكتاب لما فيه من أساطير بدائية ، ومن أغلاط تاريخية ، وأقررنا ما فيه من أسفار تاريخية ، لاتبلغ من الدقة أو من القدم ما كان أجدادنا السابقون يفترضونه فيها» . إذ أن الكثير في التوراة له ما يماثله في حضارات أخرى فإن قصة آدم والشجرة ، مأخوذة من ألواح بابل ، حيث كان البابليون يعتقدون بأن الإنسان تمرد على قسمة الموت ، وطمع في خلود دائم ، فبحث عن ثمرة البقاء في السماء . . . وهناك خدعه

http://kotob.has.it

إله ماكر عن بغيته ، فناله بدلا منها ثمرة تشبهها في ظاهرها ، ولكنها في الواقع ثمرة الفناء" . . "وعقيدة المشيخ (المسيا) أو المسيح المنتظر موجودة أيضا في الديانة الفارسية" . . ويبدو - حسب رأيه- أن اليهود استعاروها من البابليين أما قصة خلق العالم كما وردت في سفر التكوين فهي - مستعارة أيضا- من البابليين حيث وردت عندهم قصة الإله مردوك وكيفية خلقه للعالم . . وأما قصة برج بابل التي وردت في سفر التكوين فهي مستعارة من قصة الأبراج الشامخة المذكورة في الأساطير البابلية . .

وينتهي ول ديورانت إلى القول :« بأن نصوص العهد القديم وأسفار موسى الخمسة ترجع في كثير من أصولها إلى تراث الأمم السابقة مثل البابليين والفنيقيين والآشوريين وتأثيرات الفرس وغيرهم من الأمم وسبب ذلك وحدة التبليغ لهذه الأمم وتشابه ما فيها مع التوراة وعندما ظهر عزرا كانت أسفار التوراة قد ضاعت فكتبها من جديد . ويرجع الباحثون النص الكهنوتي إلى زمن عزرا ، وأن الذي قام بكتابة هذا النص هو عزرا والكهنة . وعزرا هو عزير الذي جاء في القرآن .

ويذكر الباحثون أن سفر أخبار الأيام الأول والثاني صنفهما عزيز بمعونة حجي وزكريا ويقول ول ديورانت «والرأي الغالب أن هذه الفصول تكون الجزء الأكبر من سفر الشريعة الذي أذاعه عزرا . ويبدو أن هذه الأجزاء الأربعة (أو النصوص الأربعة التي سبق ذكرها) قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام 300 قبل الميلاد» .

وكانت أساطير الجزيرة (ما بين النهرين دجلة والفرات) هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد . . ولانطعن قط في تبليغ موسى عليه السلام ، لها وحيا من اللّه أيضا وتصحيحا للأساطير المشابهة في المنطقة .

C- رحلة مع محتوى التوراة العبرية والأساطير (ما وراء الأسطورة) .

وكخلاصة لما ذكرناه من دعاو :

وفي كتابهما "الأساطير العبرية" بقلم غريفر ورافائيل باتاي الصادر في بريطانيا عام 1964 عن تعليقات على سفر التكوين ، قام الباحث على الشوك بترجمة وتتميم هذا الكتاب مع تعليقات له عليه وذلك في طبعة ثانية صادرة بالرباط عام 1989 . . . وقد عرضنا لذلك في مقدمته ، ويعرض المترجم إلى كون الكثير من المعتقدات الإسرائيلية قد تأثرت بأجواء سومرية وبابلية وكنعانية من الأقوام الذي خالطهم اليهود على مدى تاريخ يطول أو يقصر . . . ففي أكثر من موضع في التوراة هناك إشارة إلى اصطفاء اللّه لموسى إلها على الآخرين ولعل تعابير كهذه لاتنفي الرسالة الإلهية ووحيها ولكنها مغالطات وحشو ورؤى مخالفة للواقع حملها للعبرانيين مفاهيم الآلهة في التراث السومري والفرعوني والأوغاريتي . . .

فكل قارئ للتوراة والكتب الدينية اليهودية الأخرى يلمس على نحو واضح انذهال

http://kotob.has.it

البدو الرحل العبريين ، بحاضرات البابليين والكنعانيين . .

ويجهل تماما من هو كاتب سفر التكوين مثلا بصوره المتطورة الحالية فهو لم يكن أبدا بيد الرب الإله وإنما قد احتوى على أفكار كلية لابد من تشذيب سياقها لفهم الأصول المقدسة لها قبل التحويل الطويل الذي طرأ على النصوص بأيد بشرية . ولابد أن منطق التوحيد المطلق قد حذف من الروايات لتأخذ شكلها المتطور اللاحق بخلاف تنزيلها الأول .

ويأسف المؤلفان - غريفر وباتاي - لأن الوثائق الدينية اليهودية السابقة على التوراة لم تصلنا لكونها قد فقدت أو أتلفت عمدا . ولئن ساد الاعتقاد بأن التوراة قد كتبت بوحي مقدس ومن ثم فإن أية إشارة ترتدي مفهوم الشرك كانت تحذف .

إلا أن كتب التفاسير الدينية الأخرى ، كان التساهل يطبعها . فالعديد من القصص التي جاءت مبتسرة أو مطموسة سيتاح لها بالظهور في المدراشيم وهي نصوص دينية يعتد بها في الأوساط اليهودية .

والواقع أن فكرة أرض الميعاد تلتقي في الجوهر مع مقولة إفراد اللّه بأمره لإسرائيل وحدها بعبادته وكون بني إسرائيل تبعا لذلك شعب الله المختار . وقد استغل اليهود هذه المزاعم لتبرير احتلالهم لأرض كنعان واستباحتها واستبعاد شعبها . . ونحن لاننفي صفة القدسية عن الكتاب المقدس اليهودي ولكننا سنعرض لما شابه من التحوير والإضافات على مدى قرون عديدة ، وأصول التأثيرات التي دخلت من خلال التعايش الذي عرف الممالك القديمة في منطقة فلسطين وحوض المتوسط الشرقي ودرجة الأخذ والرد بين مختلف التيارات الحضارية وانعكاس ذلك على كتاب التوراة اليهودي .

ولايمنع تواجد كتابات سومرية وآشورية عن قصة الطوفان والنبي نوح لأن ذلك سابق بقرون على تدوينها كما في الأسفار الخمسة المنزلة على موسى بعيدا فيما بعد . فهؤلاء الرجال قصصهم وتبليغهم كان سائدا في التراث السابق لليهودية وفي الأماكن والحضارات المجاورة كما في أسطورة الحكيم الخارق مثلا أو قصة جلجامش .

ولعل ذكر ذلك ضمن رؤى أسطورية لاينفي تواجدهم بل يعضد منهم ومن ذكرى عقائدهم وقد تداولت سيرهم الأمم وكان تدوينها بعد تهذيبها في التوراة اللاحقة حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد على زمن النبي موسى ؛ تلك القصص التي شابها وللأسف فيما بعد الكثير من التحوير والمغالطات وعلى مدى يربو على ألف عام من التدوين والإضافة والبتر . فوجودهم حق لاريب فيه .

وإن لم يكن هؤلاء بآباء للعبريين قط أو أصول تواجدهم كما تنص عليه التوراة . . بل هو من اجتهادات الكهنة المعبدين فيما بعد حول إفراد أصول إسرائيل بأصول البشرية قاطبة .

وقد أصبح مصطلح يهودي بعد السبي البابلي ونهايته عام 538 ق .م يعرف به الجميع

http://kotob.has.it

من أتباع شريعة موسى . ومن المعروف أن الطفل المولود من أم يهودية يعتبر يهوديا .

ويتميز تاريخ العبريين - على حد قول التوراة - بالعودة إلى إبراهيم في حدود عام 1800 ق .م وهجرته من أور السومرية مرورا بولده إسحق ويعقوب ويوسف . . فمقامهم بمصر إلى حين خروج موسى والتيه في صحراء ثم دخول أرض كنعان فحكم القضاة مرورا بالملوك والأنبياء . ولم تصل إسرائيل إلى درجة الدولة إلا في عهد داود وسليمان (963 ق .م) الملكين ، إلى حين تصاهر مملكتي يهودا وإسرائيل وحصول النفي البابلي وغزوات سرجون الأكادي والأشوريين انتهاء بحكم البطالسة فالرومان وإلى حين مجيئ المسيح عليه السلام .

وحوالي العام 70م لم يبق لليهود بقية في فلسطين . . وأصبحت فلسطين مرتعا لأقلية يهودية لا غير بقيت مع تشتت الآخرين منهم في المعمورة بأسرها .

http://kotob.has.it

الجزء الثالث :
استنتاجات حول محاولة توفيقية
لنظريتي المصادر الأسطورية والرقيمات البابلية:

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

1- استنتاجات وتقديم:

وكخلاصة ، نقول أنه ليس من المستبعد أن تأخذ شعوب متقاربة ومتمازجة تاريخا وحضارة عن أصول متقاربة في كتاباتها الدينية وأسمائها المقدسة خاصة في حال فقدان الأصل المشابه .

ولكن يجهل من هو كاتب سفر التكوين مثلا بصورته المتطورة الختامية . . فهو لم يكن أبدا بيد الرب وإنما حوى على أفكار كلية لابد من تشذيبها لفهم الأصل المقدس له قبل تحويره طويلا . ولابد أن منطق التوحيد اللاحق قد هذب من الروايات لتأخذ شكلها النهائي وهذا أمر ثابت تاريخيا وذلك بعد فترة النفي البابلي . ولايمنع ذلك البتة من كون الرسل كانوا أنبياء موحى إليهم من الله . وفق تراث توارثته المنطقة والشعوب ككل .

ولكن الكتاب اليهودي الذي بين أيدينا اليوم يشوبه المغالطة والحشو والإقحام والرؤى الأسطورية متأثرا بذلك بأجواء القوميات التي جاورها والإضافات .

والوحي الإلهي ليس حصرا على قوم دون آخرين ، فقصص الخليقة مثلا منتشرة في منطقة الشرق الأدنى كلها وبصور متقاربة جدا أو عند كل الحضارات . . .

فهي بشكلها الحالي في التوراة مستقاة من مصادر شتى وفق تواريخ متباينة مكتوبة على مراحل مختلفة وبتأثيرات محلية . ولكن التوراة جاءت لحصر هذه الروايات والشخصيات التي ذكرتها رغم استقائها من مصادر محلية إضافية .

وهي تبليغ عما ساد في المنطقة وفق رؤى توحيدية جرى تشويهها على مدى السنين ، فجاءت التوراة بأصولها مصححة لهذه الروايات السابقة وهذا مايفسر هذا التشابه العجيب في المحتوى فيها مع مايشابهها في الجوار ولكنها ربما جاءت لذكر ماجرى بصورة توضيحية لتاريخ سابق .[1]

وحول محتوى سفر التكوين وماحواه من قصص ومصطلحات ، فيبدو أنه لعل اسم بني إسرائيل يرد أيضا دلالة على الأدوميين من (عيسو) شقيق يعقوب بن اسحق . . . ثم سموا باليهود بعد نبوة موسى . وهم الباقون بعد انقراض مملكة إسرائيل بالحملة الأشورية لعام 722 ق م أما الاستراحة في اليوم السابع بعد الخلق ، فهي من الإضافات اللاحقة على النص الأول لهذا السفر ، (التكوين) وهي ميزة لما بعد المنفى .

ولعله من الغريب أن تحفل كل حضارات شرقي المتوسط القديمة بلمحات عامة عن تعاليم واحدة وجدت في الخزفيات والألواح بصورة محورة ومبتورة وإن كانت بقايا لرسالة واحدة وقد تأثرت الكتابات اليهودية التي بقيت بين أيدينا بأخذها عن هذه الأصول نتيجة لاختلاطها بها . فكتاب العهد القديم ليس بأقدم كتاب ديني على الإطلاق .

---

1 - التباس وتلخيص : مع ذكر الفقرات عن : الأساطير بين المعتقدات والتوراة - دار بابل - ترجمة وتأليف : علي الشوك - ط - 1989 - الرباط .

http://kotob.has.it

ولايمنع ذلك أن يكون الله الواحد قد أرسل مبعوثين لكل هذه الأقوام وبرسالة واحدة كما رأينا ومتعددة القصص حسب كل قوم . إذ لايستقيم هذا التشابه المطلق لعبارات المنطقة وعلى مدى سنوات ووفق قصص يطول عن تاريخ تدوينها وفق ما أثبتته التقنيات وعلم الآثار رغم الاختلاط بينهما . ولا بد أن التعاليم السائدة كانت منتشرة وربما كانت واحدة تقريبا وعنها أخذت كل الكتب ثم تطورت بصورة بطيئة نتيجة لصعود أو هبوط كل أمة أو حضارة واحتواء الآخرين لها فيما بعد أو احتوائها لتراثهم وهضمها له متأثرة بذلك بما سبقها وعايشته .

وكمثال ، فكل الديانات قاطبة قد استقت مصادرها من حكاية سقوط الشيطان وازدواجية الخير والشر . . وإن كان ذلك قد تم وفق أساليب وتدوين عقائدي مختلفة .

ولعل وجود نسل من قوم نوح في منطقة تواجده من بقايا أولاده تسمت به قبائل الأقوام للممالك القديمة ليس بمحال : ولكن ذلك ليس أصلا لكل الأنساب قاطبة لأن كارثة الطوفان كانت عقابا لقوم بعينهم وليس لافناء الذرية البشرية كما يعتقد البعض .

أي أن ذلك كان محدودا زمانا ومكانا في حوض المتوسط الشرقي أو قربه ، وهو ليس تحديدا حكرا بقوم دون آخرين .

ولايستبعد أن تكون أسماء الأعلام والأماكن والأقوام حقيقية وعنها كانت أسماء الأعلام والممالك التي استقت منها الألفاظ في التوراة لتبدو شبه حقيقية أو ربما كانت عبارات رائجة حينها ، ولكن لابد أنها كانت سابقة على تدوين التوراة وإعطاء هذه المسميات تسلسلا في النسب لتصب جميعا في بوتقة بني إسرائيل وأصول العبرانيين ، وعنها أخذ الكتبة وحوروا وعدلوا ثم صاغوا فيما بعد . إذ أن هذا الأمر لم يثبت قط وهو مغالط للحقيقة على إطلاقه . وكذلك كشجرة وأنساب آدم ونوح وإبراهيم وأعمارهم وإنما هذه الصياغات اشتقاقية لاحقة قام بها الكتبة في أزمنة مختلفة وما لبثت أن اختلطت بالمغالطات والأساطير والحشو عبر تاريخ التدوين وذلك استنادا إلى تنقيبات المنطقة ومحيطها . فالكتب في صيغتها الأولية كانت خلوة من كل ذلك ، وما الإضافات المغلوطة إلا عبر عملية الأخذ عن المصادر الرديفة .

وفي التوراة نلاحظ هنا تركيز على التميز في خصال إسحق ويعقوب تحديدا دون غيرهما من نسل أبرام وذلك بهدف التمجيد بأسباط إسرائيل ونسل الشعب الذي سيصبح على يد النبي موسى بالشعب اليهودي ، حامل التوراة أو كتاب العهد المقدس فيما بعد . وماذلك إلا لأن نسب موسى يصعد ليعقوب (إسرائيل) .

ولا دلالة تاريخية على أصول آباء النبي إبراهيم أبي التوحيد الإلهي وإن كانت التوراة تجعل من شعبها أصلا حتى للبشرية العاقلة كلها . . وبدءا لتواجد الإنسانية .

وكما أصبحت حضارات ما قبل التاريخ منذ ثرة وأسطورية ، ما لبثت أن اكتسبت الكتابات العبرانية هالة التحوير والإضافات والبتر وبذلك أضحت بقايا لتحريف شديد

http://kotob.has.it

ومداخلات شتى من أيد بشرية وعلى مدى دهور وتاريخ يطول لصياغه الكتاب المقدس .

وكما قلنا في المقدمة فنحن لانتفق تمام الاتفاق مع أصحاب النظرية الأسطورية التي نعالجها حول كون التوراة مجرد أساطير بل رأينا أن ذلك مما أضيف من الجوار للتوحيد الخالص المقدس . والتشابه هو في وحدة التبليغ الإلهي .

2- تحليل من أن الدعوة تواجدت واحدة أصلا

والرأي المنطقي هو أن الأنبياء أو الشخصيات التي ورد ذكرها في كتب سابقة على التوراة ربما قد انتقلت سيرها إلى أمم أخرى وجرى تحويرها ومزجها بالأساطير والمعتقدات الأخرى ، وهو ماشاب جميع البلاغات الإلهية في منطقة الشرق الأوسط أو غيرها من المناطق . ولعل أشخاصا على درجة كبيرة من القدسية لابد أنه قد تواجد مايماثل سيرتهم في مناطق قريبة لأماكن تبليغهم لرسالاتهم . كما أن الأحداث التي ورد ذكرها في أسفار التوراة أو في غيرها من الكتب المقدسة الأخرى قد خضعت لمؤثرات الزمان ومزج الواقع بالخيال مع التحريف والتصحيف والتشويه وإضفاء مظاهر شبه إلهية على شخصيات بشرية تواجدت حتما . وهو ما نلحظه في كتب الشرق القديم أو ماجاورها أو حتى في مناطق المعتقدات النائية المسافات . وتلك الشخصيات لم تكن بحال يهودية بل لقد جاءت للتبليغ في أقوامها وهذا مايفسر انتشار ذكرها في مناطق متباعدة جغرافيا . . وما اشتهر من قصص وعلى تعددها الذي نلحظه فإنه يؤكد أن مصادرها واحدة وهي تبليغ إلهي لأشخاص ذوي شأن وقدسية ما .

وربما كان تدوين التوراة لقصصهم عمل لاحق خاصة بما يتعلق بما قبل النبي موسى من أنبياء وأمور أخرى ، عملت التوراة على حصر هذه الروايات في وحي لاننكره ربما جرى تحويره مع الزمان وأخطاء النسخ والإعادة في الكتابة مع الجهل بقواعد قراءة اللغة التي دون فيها ذلك أولا .

وهكذا يتضح الأمر بأن شخصيات كإبراهيم ونوح ويعقوب ولوط وغيرهم هم حقيقيين ولتراثهم مايماثله في المعتقدات الأخرى السابقة على تدوين التوراة . . والتي ماجاءت هذه الأخيرة إلا مصححة لهذا الخلط العجيب المنتشر في المنطقة على يد الآشوريين والأموريين والحثيين وغيرهم من السكان والذين ربما عرفوا نوعا من قصص عمن ذكرناهم ولكنهم تركوا تدوينات مملوءة بالأخطاء ومزجوها بالأساطير وربما كان هؤلاء مبلغين فيهم .

وما الأديان الكبري التوحيدية - واليهودية أولها- إلا وتأتي على سبيل ذكر ما فسد من باب الإصلاح والإرشاد وليس كما ذهب البعض بأن التوراة قد نسجت بالاعتماد على مصادر سابقة لها . فهؤلاء ينكرون أي وحي أو مصدر إلهي لتنزيل التوراة كما أنهم ينفون القدسية عنها . وهو كلام على ما نرى خاطئ . فالتوراة كتاب سماوي ولكن شابه التحوير والتبديل وكان في جوهره مصححا ومهيمنا على الكتابات أو السير السابقة عليه والتي كانت تسجيلا لوحي إلهي . أما ماذهب إليه الأحبار والكهنة من أن جميع من ذكرنا كانوا

http://kotob.has.it

يهودا أو أصلا للعبرانيين فهو خطأ وجاء إقحامه لاحقا بأيدي الكتبة وغيرهم من النساخ وهو من التشويه للتاريخ بهدف التفرد والتعالي وماهم إلا أنبياء للمنطقة برمتها . . ودليلنا هو مايماثل أسماء الأعلام والأماكن حتى اليوم ومما قبل اليهودية .

وربما جرى خلط فيما بينها وتحويرات جمة بهدف ترسيخ الإيمان . وذلك حول نسج لاهوت مختلق لجمع شتات الشعب بعد المنفى البابلي .

فالإضافات اللاحقة كان الأنبياء بريئين منها وهو عمل يكرس المقدس لخدمة مآرب أخرى ، وجميعه ناتج عن الجهل رغم حسن النية في بعض الأوقات .

ولعل خير مثال هو ما قام القرآن ببلاغه للناس من عملية تصحيح لمعتقدات سابقة أمر ببعضها وألغى البعض الآخر كما أنه قد أخبر باليقين بما يتعلق بقصص الأنبياء السابقين .

3- حول موسى ودعوة التوحيد وما ورد في سفر الخروج أو الأحبار أو التثنية من التوراة

نحن لانستطيع الادعاء من وجهه نظر الأسلوب أو الرواية أن القرآن مثلا قد استند إلى قصص سابق ومدونات سائدة في المنطقة فيما استقاه من محتوى وإن كان هذا الاتجاه هو موجود فعلا عند بعض العلمانيين . وهو عينه ما يذهبون إليه حول التوراة مثلا . فاعتقادنا أن التوراة كتاب أصيل ولكن قد شابه التحوير والتبديل . فقد كانت ولادة الديانة التوحيدية الكبرى الأولى في التاريخ على يد النبي موسى الذي أخرج قومه مع ثلة من نسل يعقوب (إسرائيل) ويوسف وإخوانه من مصر بعد أربعمائة عام من الاستيطان والقهر . واضعا بذلك حدا لكل المقولات التوحيدية العابرة سواء في مصر في عهد الهكسوس واخناتون أو من ملامح إفراد الألوهية والتوحيد عند بعض القبائل السامية الرحالة منذ عهد النبي إبراهيم وأولاده - وهذا واضح من مخطوطات وتدوينات الأحجار السومرية والآشورية والكنعانية والكلدانية حول مصادر دينية وأسطورية مشتركة استقت منها كل هذه الشعوب مادتها الدينية وفق أساليب في العبادة تختلف حينا أو تتماثل حينا أخرى وكانت على عبادات مشوشة وأسطورية وذلك وفق مدى التأثيرات واستمرارها وصعود أو انحطاط الأقوام والحضارات ويظهر ذلك غنيا من التراث الشفهي والمخطوط لبلاد سوريا وفلسطين ومابين الرافدين والذي يحتوي على إرث ثقافي مشترك وسابق ومعروف لما حواه الكتاب المقدس عبر تاريخ تدوينه الطويل عبر مراجعات واستعارات - "أما موسى" فيعتبر بحق أول مؤسس لدين توحيدي عريق حمل لواء عقيدة التوحيد المطلق والمنظم بقوانين وعبادات وطقوس وهو ما أصبح يعرف بالدين اليهودي . . ولو أصبحت آثاره مندرسة فيما بعد إلا النذر اليسير .

وما كلمة إسرائيل إلا كناية عن بقايا آل يعقوب في مصر وربما له دلالات أخرى .

أما ما صيغ من أمور سابقة على خروج موسى من مصر فهو مما لاشك فيه لاحق على نبوته وقد دون بعد إخضاع أساطير المنطقة لتهذيبات تنسجم وفقها مع معطيات عقيدة

http://kotob.has.it

التوحيد المطلق لإله سرمدي خارق وقاهر . وهذا مذهب العلمانيين من النقاد . أو هو ماحدث على الأقل فيما بعد التبليغ الموسوي الأولي للكتاب والأسفار عن طريق النساخ والكتبة في إعادة النظم والنسخ والكتابة .

هذا وإن الكتاب المقدس في مجموعه يستقي معظم مادته هذه من أصول وتبليغ إلهي واقع ولكن قصصه ومادتها لايمنع كونها قد عرفت منذ القدم كتاريخ لهذه الأحداث في أساطير تدونه أقوام كثر في بلدان الشرق الأوسط حيث عاشت هذه الشخصيات الملهمة . وكان تدوين سيرتها مشوبا بالكثير من الخلط والتحريف والمزج بين ممارسات وعقائد وطقوس شتى لهذه الممالك والحضارات . ولكن الكتاب المقدس استقى ممن سبقه إشارات ودلائل قام بإعادة صياغتها وفق مفهوم توحيدي خالص ، ولكنه جاء أصلا لتصحيح المعتقدات السائدة . هذا وإن مكتشفات لفائف البحر الميت وتنقيبات ماري وأور وبلاد مابين الرافدين وإبلا تدفع للفرض بأن أشخاص الكتاب المقدس كانوا أشخاصا حقيقيين وقديمي العهد جدا بالمنطقة ممن اشتهرت سيرهم ودونت في ملاحم استقى منها الكتاب المقدس مادته الخام ، بعد فقد الأصول المخطوطة . فهو ليس بأول كتاب تاريخي مطلقا في التعريف بهؤلاء الأنبياء كما أنه ليس بكتاب تاريخ أو انطروبولوجيا أو علم سلالات البشر لأن مكتشفات العلم الحديث تكشف عكس ذلك . فمادته التاريخية كانت عرضة لإعادة الصياغة المتكررة وفي أسفار متباعدة بما ينسج مع مستلزمات الشعب اليهودي وحاضره آنذاك . ولاينفي ذلك أن جوهر مادته ذات طابع غير بعيد عن الواقع التاريخي وإن كان تدوينها قد تم لاحقا وبصورة موغلة في الحداثة عن موقع الحدث أو تاريخه ووفق أقلام كتبه ونساخ يختلفون حذقا في أسلوب إعادة الصياغة لبقايا تبليغ إلهي . . فنحن لا ننكر منطق القدسية عنه ولكننا نعتقد أن التحوير قد طاله وهو ماسنعرض له من حيث تاريخ كتابته وإثباته واعتماده .

ولابد من الاستمرار في علم الآشوريات والتنقيبات للألواح السومرية في سبيل معرفة أصول بعض القصص الواردة في التوارة وتحديد تاريخها التقريبي استنادا لذلك . ونحن نعلم أن ملحمة جلجامش وأسطورة سيد الخوارق سابقتين على تدوين التوراة الذي لم يبدأ إلا ألف عام أو ينيف قبل الميلاد . وإن مجرد الاستناد إلى تاريخ التوراة وأعمار الأنبياء في محاولة لتحديد الهوية والحقبة أمر محال نظرا للشواهد التاريخية والأثرية ومتعارض معها تماما . . ومغلوط .

وقد كانت أسفار توراة موسى أولا شديدة الاقتضاب ومختصرة . . وقد تعرضت هذه الوثائق للإضافات وإيراد التفاصيل اللاطائل منها إضافة للتحريف والتصحيف جيلا بعد جيل ، وناسخا بعد شارح وعبر مآت السنين وعلى يد الكهنة والكتبة ، لأغراض لاهوتية أو بسبب النسخ والتصحيح أو كليهما معا . ولكن جملة من الأنبياء والمبلغين قد أدوا رسالاتهم في المنطقة نقلا عن وحي إلهي . وقد جاءت التوراة أصلا كبلاغ حقيقي ولكن يد البشرية قد تلاعبت بالمقدس وعلى مدى تاريخ يطول . ولعل المصادر الأخرى قد تعطي

http://kotob.has.it

رؤى يمكن الاستفادة منها في تحقيق شهادات عن أقوام وشخصيات ذكرت في الكتب المقدسة . فمصادر التوراة متعددة ولكن جوهر التبليغ التوحيدي أصيل في اليهودية وإن كان الكثير من القصص والأفكار واللاهوت هي مزج وخيال وتصورات مالبثت أن أصبحت عقيدة . ومايوضحه لنا نقد تاريخ النصوص المعاصر هو دليل وشاهد على عملية التحريف الكبرى التي شابتها تدوينات جميع كتب التوراة وعلى مايزيد عن 1700 عام .والنقد العلمي مادة ثرية للتأكد من صدق أو فحوى بعض المعتقدات والقصص وذلك بحثا عن مصادر إلهية صادقة في التوراة . . . وإن كان هذا قد أضحى اليوم مشتتا ومتناثرا .

فالعلماء وحتى رجال الدين يذهبون للعلمانية أمام غياب الصدق الكامل لفحوى وقصص التوراة وفق المكتشفات المعاصرة . إذ أن التوراة أضحت اليوم بقايا عن رسالة إلهية وإن كان ماشابها من تحوير وتلاعب بشري قد أفقدها الكثير من مناحيها في الإعجاز في التبليغ وهو سمة الرسالات الإلهية . وما المذاهب المختلفة النقدية واستنتاجاتها عند الدراسة الفاحصة والمعمقة للتوراة إلا صدى لهذا الرفض أمام عملية الانفتاح على مادة العلم سواء من ناحية نقد المخطوطات المتواجدة أو الدراسة الأركيولوجية أو عمليات التنقيبات والمقارنات . . . وكله في محاولة لإنقاذ هذا الصرح الذي رأوه يتهاوى . وهكذا نرى مدى الضعف الذي أصبح يكتنف أصول الديانات مع غياب مادة الإعجاز عن كتبها .

ولقد قام المؤرخون وعلماء الآثار والمنقبون بالاستفادة مما ورد في التوراة كمصدر رديف للمعلومات ولو تقريبي وذلك في تحديد بعض الأمكنة جنبا إلى جنب مع فك الرموز للكتابات والحضارات المتواجدة في المنطقة . فالاستفادة من الإرث الثقافي والمدونات القديمة لايمكن فهم محتواها إلا عبر منهج المقارنة وفي اعتبارها مكملة لبعضها البعض . إذ يستحيل البحث إذا لم تتم الاستعانة ببعض الإشارات المشابهة سواء من حيث اللغة أو الأحداث في إثبات تاريخ أو مصداقية لعملية التنقيب الأثري . فالدلائل كثيرة ومتنوعة ومنها الرجوع للمخطوطات المتبقية والكتابات البائدة والحضارات السابقة للمنطقة ، في فهمنا لجمل الأحداث والتاريخ وعادات الجماعات القديمة . وقد أثمرت عملية اعتماد التوراة كأحد المصادر التي قد تأتي الكتابات الأخرى لتؤيدها أو لتفصح عن جوانب غامضة فيها . وكله من مناهج العلوم الحديثة القائمة على المقارنة وعلى الفهم لا على التصديق العفوي أو الرفض الكلي . فلا يجوز مثلا الاستناد إلى الحوليات الفرعونية فقط في تدوين تاريخ مرحلة ما إذا لم تتم الاستعانة ببعض الإشارات المشابهة سواء من حيث اللغة أوالأحداث ومن مصادر أخرى معاصرة أو مساكنة أو مشابهة .

4- حول أخذ الشعوب عن بعضها البعض، وتصحيح التوراة للعادة الأسطورية

فالمصحح لعملية التلاعب بالأصول قصد معرفة الحقيقي منها من المرويات الخيالية هو العلم . أما إذا شئنا أن نعود إلى كتاب مقدس يوضح هذه المعالم بطريقة حاسمة ما يفتأ

http://kotob.has.it

العلم المعاصر يعضده فهو بالرجوع لكتاب المسلمين المقدس الذي جاء مصدقا ومصححا للمرويات التوراتية مع اشتماله العموم والإجمال لا الميل إلى التفاصيل والحشو . فالقرآن هو الكلام الإلهي الوحيد الباقي صادقا وحيا وتبليغا وحتى عبر عمليات نقده في محتواه أو في تاريخ إثباته كتابة وحفظا وتدوينا ونسخا .

ونرى - وهذا رأينا الشخصي - أن ماورد في كتب التوراة من تشابه مع تنقيبات معاصرة هو ليس باقتباس عنها بل هو وحدة وتطابق في التبليغ وفي المنطقة برمتها - الرافدين والشام - وهو منطق التشابه مع المدونات السومرية والبابلية والأكادية وغيرها .

فالشريعة اليهودية جمع وتنقيح وتصحيح لما سبقها والذي سبق وصيغ وفق رؤى أسطورية . وما القوانين الواردة فيها إلا تشابه فقط لعله بسبب المجاورة والعادات المشتركة بين الشعوب . فموسى هو مؤسس أول دين توحيدي على الإطلاق وهووكتابه في صيغته الأولية التي نجهلها ونفتقدها اليوم موحى له حتما . ومن المعلوم أن الحركة النبوية والتبليغ كانت مستمرة وفي أقوام كثر .

وكل شريعة مكملة للأخرى وهو حال التوراة ، عدا الإضافات البشرية اللاحقة . ومن المعلوم أنما التوراة كما هي بين أيدينا اليوم قد فقدت مخطوطاتها أو لحقها الضياع وقد صيغت مجددا في فترة السبي البابلي وما بعده وعلى يد عزرا الكاهن . ولعل التشابه شبه المطلق بين بعض الأسفار اليهودية والحكمة العراقية أو غيرها هو من باب الاستعارات والإضافات اللاحقة بسبب الإقامة والمجاورة .

ولعل ورود تشابه عن قصص في بعض مرويات التوراة هو من سبيل ضرب الأمثال والاستشهاد بشخصيات حقيقية تاريخية مع إحداث تغيير في أسماء الأعلام عند ذكر هذا القصص . فقصة الحضارة الدينية قد مرت بأحقاب ولدى جميع الشعوب وأخذ البعض عن الآخر تبليغا ورسالة . وكما أسلفنا فالتشابه مع ماسبق في قصص التوراة حول الطوفان مثلا أو قصة الخلق فإن هذا لايقدح في رواية التوراة وسماتها لأنها - وبالنسبة لوقت تبليغها - فقد جاءت مستفيدة وهاضمة لغيرها من الرسالات ومذكرة بقصص سابقة في المنطقة بالاستعارة اللفظية حينا وبالإشارة أو القصص حينا آخر . ويمكن الرجوع لفهم أوضح لمعاني الكلمات الواردة بالعبرية المقدسة إلى المصطلحات والنصوص التي كانت سابقة أو معاصرة في المنطقة كالبابلية مثلا . وما ذلك إلا لإنعدام حركات التنقيط أو الشكل وتشابه الأحرف في العبرية وغيرها وقتها وحتى اليوم . وقصة خلق "أدم وحواء" والمعاني الاشتقاقية للأسماء هي من تراث الإنسانية ونقلا عن تبليغ نبوي في الشعوب البائدة - كما نرى - لرسالات شوهت معانيها وحورت ملامحها فاليهودية دين توحيدي صرف جاء مصححا لتعدد الآلهة التي كانت سائدة آنذاك ومن قبل في المحيط . وكما أسلفنا فالقصص الوارد في التوراة فيما سبق التبليغ الموسوي كان مشهورا في المنطقة منذ ماض سحيق وقد صيغ وعدل مرارا ثم أقحم في صلب الكتاب المقدس بشكله الحالي وفق رؤية توحيدية صرفة .

http://kotob.has.it

ووفق قصص هو ليس باستعارات لأساطير رائجة إطلاقا كما يذهب إليه العلمانيون . وربما استند الكتبة عند التدوين اللاحق إلى مصادرهم ومخطوطاتهم الجزئية وربما المتخالفة إضافة إلى مصادر أخرى محلية كالبابلية أو الكنعانية أو غيرها بسبب طول المجاورة وكمصدر احتياطي فقط لإضفاء الأناقة وتبليغ رسالة موحى بها أصلية تماما وليس وفق ماهو محفوظ لدينا اليوم .وربما كان ذلك لضياع الأصول العبرية المحفوظة والمشابهة .

ونحن نرى أنه لما فقدت المخطوطات الأولى والنصوص الأصلية للتوراة والمؤرخة لفصولها وأسفارها ، أورد الكتبة والكهنة ومستخدمي السجلات صياغة جديدوفق إعادة ذلك عبر رؤى جديدة بالاستعانة بالمدونات المشابهة والمنتشرة في المنطقة كمصادر إضافية في عملية التدوين وذلك سواء في زمن الممالك أو في عهد السبي البابلي والعصور اللاحقة . وهذا العمل هو الذي أدى إلى الحشو والإضافات والمغالطات الخطيرة وعمليات الإقحام وإلصاق المقاطع بعضها بعضا مما أضعف وشوه من التوراة فيما بعد ككتاب مقدس . والروايات مشهورة في نسبة صياغة الكثير من النصوص المقدسة إلى عزرا الكاهن في بابل بعد فقدان النصوص الأصلية وذلك استنادا إلى مخطوطات جزئية ومقاطع متناثرة قام الكهنة بعملية تنقيح وإضافات ونسخ وتحوير كبيرة فيها لتأخذ شكلها النهائي . وربما هذا هو سبب تعدد المصادر المأخوذ عنها وتشابهها حسب تراث المناطق ، وإن كان محتوى الكتاب المقدس اليهودي استذكار لرسالة إلهية حقيقية حتما . وكتعقيب نذكر أن موسى كان قد أوتي علما وحكما كما أنه كان مؤمنا موحدا وذلك حتى قبل خطاب الله العلي له في النار المتقدة على مايذكر سفر الخروج المؤرخ لسيرة هذا النبي . وما حادثة قتل عدو موسى وهربه خائفا إلى مدين إلا مثال لما ذكرنا من عمق إيمان هذا النبي بالواحد الأحد حتى قبل تكليفه بالرسالة في بلاط فرعون وثورته على الظلم .

وبذلك نرى تلخيصا أن التوراة المخطوطة كانت ربما على يد موسى النبي أو بإملائه وفق مجموعة أحجار وأسفار وبلاغات مختصرة تقرأ على الجموع . وعند فقدها ، تم استنساخها من الذاكرة والمرويات والتراث الشفهي للمنطقة . ومالبثت عملية النسخ والكتابة أن ازدهرت في الدواوين مع محاولة للإكمال وفقدت معظم أو جميع المخطوطات مرة أخرى في السبي البابلي .

وهناك ، في حوض الرافدين تم الاستناد إلى مايتم العثور عليه مصادفة وذلك في إعادة الصياغة للنصوص وكتابتها مع الأخذ عن الشعوب والحضارات المجاورة في أوجه القصص المتقارب وحتى في معاني الكلمات من لغة لأخرى ، وصحيح أن المصادر ربما كانت أسطورية موغلة في القدم ، ولكن وحدة الرسالات والتبليغ في المنطقة دفعت في الاستفادة منها في إعادة صياغة نسيج مفتت ومتعدد المصادر والتواريخ والأحقاب ومن تراث المنطقة كلها إضافة إلى إفراد اهتمام زائد بقصص اسرائيل والأنبياء التالين . وهو ما آل إليه الكتاب اليهودي لاحقا كله .

http://kotob.has.it

5- خلاصة ختامية للباب الأول

وكخلاصة ختامية استنتاجية يمكن القول أنه يجب الاستمرار في مجال البحث النقدي مهما كان التيار الذي نتبناه والاستنتاجات التي نتوصل إليها في مجال دراسة الكتب المقدسة . . ونحن نرى أن منهاج المقارنة الموضوعية يدعم جوهر العقيدة من حيث تواجد قصص أو روايات متشابهة في التنقيبات الأثرية أو عبر استقرار العلوم . . . وفي حال قصور أوعدم دقة أو وضوح مايرد في التوراة كمثال ، فهو من باب تدخل الأيادي البشرية التي تلاعبت بالوحي الالهي فيما بعد وفي مرحلة التدوين . فكما سنرى في الصفحات المقبلة فأخذ اليهود عن دول الجوار وإعطائه صفة القداسة لاحقا هو عمل استند على موروث شفاهي سابق وتبليغ لأنبياء وسيرهم محفوظة ولكن بلاغاتهم الأولى إما قد ضاعت نسخها الأصلية أو تلفت ولم يبق إلا شذرات لبقايا تبليغ نبوي قام الأحبار والكتبة والنساخ ، واستنادا لما بين أيديهم من وثائق من الاستعانة بالتراث المحيط بهم كمادة غنية ، عملوا على إثراء تراثهم الخاص فيها ، وهذه المادة هي مايسميه علماء الآثار بالرقيمات أو الأساطير أو المتشابهات في المحتوى . ومن هنا وجب التمييز بين ماهو أصيل وماهي المادة الدخيلة على الكتاب المقدس .

فعملية التدوين على ماسنرى استمرت لأكثر من 2000 عام مع ماشابها من بتر وتصحيح واستعارات وتنقيح وإعادة نسخ وإضافات وحذف كل ذلك على مدى تاريخ إثبات النص اليهودي كتابة . . وما نراه ختاما هو كون جوهر التوراة قائم على تبليغ متواتر في صدقه وذلك في جوهره وروحه أما عدا ذلك من تفاصيل وإضافات قد تناقض العقل فكله مما يجب وضعه موضع النقد والمقارنة والتحليل . وتبقى التوراة بقايا لتبليغ إلهي يمكن الاستفادة من الكثير من مشابهاتها وتفاصيلها في سبيل الوصول إلى حقائق المنطقة وبعض المظاهر الأخرى جنبا إلى جنب مع الدراسات العلمية الحديثة . فالكتاب المقدس يبقى مصدرا هاما ولو كان أصبح اليوم ينظر إليه ككتاب تلاعبت به يد البشرية وليس ككتاب في مجمله وتفاصيله صرح مقدس . إذ أن التوراة كتاب مقدس ولكن ليس في مدلولاته الحرفية بل في معانيه الإجمالية فقط . ولعل ذلك يصدق في مناح فقط مع المناهج النقدية : فاللاهوت والإضافات في الشرائع بعضها تم تطويره بما يستجيب لحياة المجتمع متأثرا بذلك بالشعوب المجاورة بالمنطقة إلى غير ذلك من محتويات وإن كانت أصوله الخالصة قد ضاعت تماما في التاريخ وطرأ عليها التعديل ، وربما أن فيها مايستجيب لرؤى تكون في الكثير من جوانبها دخيلة تماما ولم تشرع مطلقا في يوم من الأيام كمفهوم التفرد والتعالي وانتظوقع . . . وغير ذلك من الدواعي التي نسرها الأحبار والكهنة تفسيرا خاطئا ونسجوا حول هذه التفاسير عقائد مختلفة . ونرى أن الناحية التشريعية وحتى المفاهيم الغيبية قد جرى تطويرها وتنقيحها مرارا وعلى مدى عدة أحقاب بما يستجيب لواقع ومستلزمات بني اسرائيل وبعضها قد أسند تدوينه لأحد الأنبياء خطأ أو لآخرين من الكهنة والكتبة وعلى

http://kotob.has.it

تاريخ يربو على مايزيد عن ألف عام .

فالكتاب المقدس اليوم هو مجموعة تراث . . وتاريخ صيغ وفق خط قمنا بتحليله وإعطاء رأينا فيه وللآخرين طبعا رأيهم .

http://kotob.has.it

الباب الثاني :

تطبيقات لمحتوى وتاريخ
كتابة النصوص المقدسة اليهودية

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الجزء الأول من الباب الثاني :
في المحتوى وأساليب الكتابة :
دراسة مقارنة

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

1- من هم الكتبة الحقيقيون لأسفار التوراة ؟

سنعرض لأمثلة نقدية ، ونذكر من التقدم للأستاذ حسن حنفي حيث يعالج ماكتبه باروخ سبينوزا في رسالته في اللاهوت والسياسة في الطبعة العربية حيث يحلل سبينوزا أسفار التوراة سفرا سفرا ، مبينا نصيب كل منها من الصحة التاريخية .

فالأسفار الخمسة pentateuque لم يكتبها موسى ، بالرغم من تأكيد الفريسيين ذلك ، حتى أن ابن عزرا ، وهو العالم الناقد الحر ، لم يجرؤ على الجهار بذلك . وقد كتب الأسفار الخمسة إنسان آخر ، عاش بعد موسى بمدة طويلة ، وذلك لبعض الأسباب التي يذكرها ابن عزرا : (وهو ناقد وعالم يهودي) مثل :

أ- لم يكتب موسى مقدمة سفر التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن .

ب- كان سفر موسى مكتوبا على حائط المعبد الذي لم يتجاوز أثنى عشر حجرا ، أي أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن .

ج- قيل في سفر التثنية : «وقد كتب موسى التوراة» ، ولايمكن أن يقول موسى ذلك إن كان هو كاتبها .

د- في سفر التكوين ، يعلق الكاتب قائلا : «وكان الكنعانيون في هذه الأرض» ، مما يدل على أن الوضع قد تغير وقت تدوين الكاتب لهذا السفر ، أي بعد موت موسى وطرد الكنعانيين ، وبذلك لايكون موسى هو الراوي .

هـ - في سفر التكوين سمى «جبل موريا» جبل الله ، ولم يسم بهذا الإسم إلا بعد بناء المعبد ، وهو ماتم بعد عصر موسى .

و- في سفر التثنية ، وضعت بعض الآيات في قصة أوج ، توحي بأن الرواية كتبت بعد موسى بمدة طويلة ، إذ يروى المؤلف أشياء حدثت منذ زمن بعيد ، وهذه كلها آراء ابن عزرا اليهودي ثم يضيف سبينوزا ملحوظات أخرى حول مغالطات نسبت لموسى وهو بريء منها خاصة في سفر الخروج أو التثنية ، والدليل على كونها دونت لاحقا أن :

أ- كتابة الأسفار بضمير الغائب ، وليس بضمير المتكلم .

ب- مقارنة موت موسى ولحده والحزن عليه بموت الأنبياء التالين له .

ج- تسمية بعض الأماكن بأسماء مختلفة عما كانت عليها في عصر موسى .

د- استمرار الرواية في الزمان حتى بعد موت موسى .

وقد كان موسى يقرأ «سفر العهد» على الشعب . وهو السفر الذي أملاه الله عليه في جلسة قصيرة ، مما يدل على أن ماكتبه أقل بكثير مما لدينا الآن . ثم ترك هذا السفر الأول ، ودون شرحه في سفر «شريعة الله» ، ثم أضاف عليه يشوع شرحا آخر . وقد ضاع هذا السفر الذي يجمع بين سفر موسى وسفر يشوع ، أما السفر الأصلي ، فقد أدخل في الأسفار الخمسة التي لدينا الآن ، ولايمكن التمييز بينهما .

- ولم يكتب يشوع السفر المسمى باسمه ، بل كتبه إنسان آخر ، أراد كتابة سيرته ،

http://kotob.has.it

وإثبات فضله وشهرته ، وتمت الرواية إلى مابعد موته بقرون عدة .

- ولايظن أحد ذو عقل سليم أن القضاة أنفسهم هم الذين كتبوا سفرهم ، لأن مقدمة الإصحاح الحادي والعشرين تدل على أن كاتبا واحدا قد كتبه ، ويعلن هذا الكتاب أنه في زمانه ، لم يكن هناك أي ملك من ملوك بني إسرائيل ، مما يدل على أنه لم يكتب إلا بعد أن استولى الملوك السلطة .

- ولم يكتب صمويل سفره ، لأن الرواية تمتد إلى مابعد موته بقرون عديدة (1) .

- ولم يكتب الملوك أنفسهم سفر الملوك ، بل آخر ، باعتراف الملوك أنفسهم ، من كتب : حكم سليمان ، وأخبار ملوك يهوذا ، وأخبار ملوك إسرائيل ، والتي تروى قصصا قديمة في عصر كاتب السفر وفي الأصل كان سفر صمويل سفرا واحدا كتب باليونانية على ورقتين مختلفتين ، ثم فرضت هذه القسمة على التوراة العبرية في القرن الخامس عشر . وقد أضيف السفران في الطبعة اليونانية إلى سفر الملوك الذي انقسم بدوره إلى مجموعتين ، وأصبح اسم الأسفار الأربعة سفر الملوك ، وقد اتبعت الفولجات Vulgat (الترجمة اللاتينية التي قام بها القديس جيروم في القرن الرابع الميلادي) هذه التسمية واعتبرت سفري صمويل الملوك الأول والثاني ، وسفري الملوك ، سفري الملوك الثالث والرابع Delorme

وقد استمد الكاتب سفري الملوك الثالث والرابع من مصادر عدة أهمها كتاب الأغاني Livre de chants الذي منه استمد الكاتب نشيد سليمان ، وكتاب أعمال سليمان ، وكتاب أخبار ملوك يهوذا ، وكتاب أخبار ملوك إسرائيل ، والتي ألفها كتاب استطاعوا الإطلاع على الأرشيف الملكي .

وقد كتب هذه الأسفار كلها مؤلف واحد ، أراد أن يقص تاريخ العبرانيين منذ نشأتهم حتى تخريب المدينة الأول . ويتضح من تتابع الروايات ، والرابط بينها ، لتحديد غاية معينة له .

والأسفار تتميز بخصائص ثلاث : وحدة الغرض ، وارتباط الروايات ، وتدوينها المتأخر .

ويظن سبينوزا أن كاتبها هو عزرا Esdras ، لأن الروايات كلها تنتهي بموته . ويذكر الكتاب أن عزرا قد أهمل كل جهده في البحث في الشريعة وفي عرضها . ويذكر عزرا في السفر الذي يحمل اسمه نفس الشهادة ، بأنه قد وهب حياته لتقنية الشريعة وعرضها ، وهذا مايفسر لنا سر الإضافات على سفر التثنية كما لاحظ ابن عزر ذلك ، واختلاف صيغة الوصايا العشر في التثنية عنها في الخروج ، وكذلك التغيرات التي طرأت على النص الأصلي . وقد سميت الأسفار بأسماء الأنبياء لأن النبي هو الشخصية الرئيسية التي يدور حولها السفر كله .

---

1) عند علماء النقد المحدثين فإن سفر صمويل مكون من مجموعة من النصوص وقد تم تدوينه على مراحل عدة . ويدل التكرار بين السفرين ، صمويل الأول والثاني ، على وجود روايتين وقد تكونان استمرار للنصين اليهوي والألوهي في الأسفار الخمسة .

http://kotob.has.it

فالأسفار الخمسة تدور حول موسى ، ثم نسبت إليه ، والسفر السادس يدور حول يشوع فنسب إلى يشوع ، والسابع حول القضاة فسمي سفر القضاة ، والثامن حول روث فسمي سفر روث والتاسع والعاشر حول صموئيل فسميا سفر صموئيل الأول والثاني ، والحادي عشر والثاني عشر حول الملوك فسميا الملوك الأول والثاني .

ولم يكن عزرا هو من أعطى هذه الأسفار صيغتها النهائية ، بل اقتصر عمله على جمع الروايات من كتب أخرى ، ونسخها ، ونقلها دون ترتيب أو تحقيق ، مما يفسر نفس الروايات بألفاظ مختلفة في عدد من الأسفار كما تثبت ألفاظ الرواية أنها كانت مكتوبة بعد أن حدثت الوقائع بزمن طويل . هذا الاضطراب الزماني Anachronisme هو الوسيلة التي يتبعها سبينوزا وكل النقاد في التعرف على زمن كتابة التوراة ، والشك في نسبتها إلى مؤلفها المعروف .

ولقد نقل عزرا هذه الروايات في نصه دون تحقيق ، وكثير من الروايات مستقاة من كتب المؤرخين ، وهذا يفسر اختلافاتها فيما بينها .

فمثلا نجد في الأسفار الخمسة خلطا بين الروايات والوصايا بلا ترتيب ، كما نجد الاضطراب الزماني ، وتكرار نفس القصص مع اختلافات جوهرية في الألفاظ مما يؤكد أننا أمام مجموعة من النصوص المجموعة بلا فحص أو ترتيب ، وهذا موجود أيضا في الأسفار السبعة التالية ، لذلك جاءت النصوص منقوصة ومتعارضة ، لأنها مأخوذة من مصادر متعددة ، ولم ينجح الأحبار في محاولاتهم للتوفيق بينها . ولقد جهل العبرانيون الأوائل لغتهم ، ولم يعرفوا كيفية وضع نظام في الرواية ، ولم يكن هناك منهج أو قاعدة تتبع في تفسير الكتاب . وكان كل راو أو كاتب حسب هواه ، ولم تحفظ الأجيال الماضية هذه الأسفار حتى تسربت الأخطاء إليها . فلقد لاحظ النساخ الأوائل صيغا مشكوكا فيها ، وفقرات ساقطة دون أن يحصوها كلها . ولاتوجد أخطاء كثيرة في النصوص التي تحتوي على التعاليم الخلقية ، أو هناك أخطاء كثيرة يدعي المفسرون المتحذلقون أنها أسرار آلهية . فيؤولون النقاط والحروف والعلامات ، حتى المسافات البيضاء التي يتركها النساخ ، وهذا كله ادعاء كاذب ، ويناقض العقل ، فلا توجد أسرار في الكتاب ، كما تدعي القبالة Kab-bale . أما التعليقات الهامشية ، فهي صيغ مشكوك فيها ، أراد الناسخ وضعها في الهامش لقراءات محتملة إذا التبست عليه الحروف- ولم يضعها الأنبياء أو الرواة كما يدعي الغربيون - حتى يختار القراء إحداها ، وقد تكون أخطاء من غير عمد ، لم يشأ الناسخ تركها ، لأنها جزء من الوحي . والحقيقة أن قراءات الهامش تحتوي على بعض الكلمات القديمة التي لم تعد تستعمل أو بعض الكلمات المكشوفة التي تحرج الناسخ من وضعها في النص .

خلاصة القول أن أسفار الكتاب المقدس لم يكتبها مؤلف واحد في عصر واحد لجمهور واحد ، بل كتبها مؤلفون كثيرون في عصور متعاقبة لجماهير مختلفة في المزاج

http://kotob.has.it

والتكوين ، وتمتد التدوين إلى ألفي عام وربما أكثر من ذلك .

فإذا فحصنا باقي أسفار الكتاب سفرا سفرا ، وجدنا أن سفر أخبار الأيام قد كتب بعد موت عزرا بمدة طويلة ، وربما بعد إعادة بناء المعبد ، ولجهل مؤلفه ومقدار سلطته وفدنته ، وعقيدته . بل إننا لنعجب من إدخال هذا السفر في الكتاب المقدس ، واستبعاد سفر الحكمة ، وسفر طوبيا ، وغيرها من الأسفار التي يقال عنها أنها منتحلة .

وقد جمع سفر المزامير ، وقسم إلى خمسة أجزاء بعد بناء المعبد .

كذلك جمعت الأمثال في نفس الوقت ، وقد أراد بعض الأحبار استبعاده مع سفر الجامعة من الكتاب المقدس ، والإبقاء على الأسفار الأخرى التي تنقصنا ، والتي لانعلم عنها شيئا ، فضلا عن أن هناك شكا في نقلها لنا نقلا حرفيا . وهذا يدل على أن التقنين لم يخضع لمناهج النقد التاريخي ، بل لاختيار البشر . فقد اختار الفريسيون وهم حفظة التراث ، ماشاءوا واستبعدوا ماشاءوا ، بناء على مايتفق وعقائدهم . كما رفض الصدوقيون الأسفار التي تتحدث عن حشر الأجساد . لذلك لابد من إثبات سلطة كل كتاب على حدة ، إذ لايكفي إثبات المصدر الإلهي للكتاب ككل حتى تثبت سلطة الأسفار كل على حدة .

وسفر أرميا مجموعة مأخوذة من كتب متعددة ، ويكون خليطا من نصوص بلا ترتيب ، ودون مراعاة للأزمنة . وبعض الإصحاحات مستمد من سفر باروخ ، وذلك يدل على أنه لم يكن هناك فصل حاد بين أسفار الأنبياء ، كما يدل على وجود مصادر أخرى تشمل روايات توضع في هذا السفر أو ذاك . وهو مايفسر تكرار النصوص في الأسفار المختلفة ، كما هو الحال في الأناجيل المتقابلة (متى ، مرقص ، لوقا) .

أما سفر باروخ ، فيقال أن أرميا نفسه هو الذي أملاه عليه . ولايذكر سفر باروخ إلا أجزاء من نبوة باروخ .

وتدل الإصحاحات الأولى من سفر حزقيال على أنه مجرد شذرات ، كما تكشف حروف العطف عن الأجزاء الناقصة ، بل أن أول السفر يدل على استمرار النبوة لا على بدئها .

ويذكر يوسفيوس في تاريخه بعض الوقائع عن حزقيال لايذكر عنها السفر شيئا . ونظرا لتعارضه مع الأسفار الخمسة ، فقد مال بعض الأحبار إلى رفضه . وإخراجه عن مجموعة الأسفار المقننة .

أما سفر هوشع فقد كتب بعد موت هوشع بمدة طويلة ، ولايذكر السفر إلا جزءا ضئيلا من نبوته ، مع أن هوشع قد عاش حوالي أربعة وثمانين عاما على مايذكر الكتاب .

ولم يذكر سفر يونان (يونس) إلا نبوته للنينويين ، مع أن يونان قد تنبأ أيضا للإسرائيليين .

أما سفر أيوب ، فيظن البعض أن موسى هو مؤلفه ، وأن القصة كلها مثل ، وهذا هو رأي موسى بن ميمون وبعض الأحبار . ويظن البعض الآخر أن القصة حقيقية . ويرى ابن عزرا

http://kotob.has.it

أن السفر قد ترجم إلى العبرية من لغة أخرى . ويفترض سبينوزا أن أيوب كان وثنيا ، وكان شقيا في حياته ، ثم أصبح سعيدا في النهاية . وقد أعطت هذه القصة الفرصة للكتاب لمناقشة العناية الإلهية في حوار مع إنسان متأمل لا مع مريض شقي . ومما يؤكد رأي ابن عزرا ، أن هناك تشابها بين سفر أيوب وسفر الوثنيين .

وقد كتب دانيال سفره ابتداء من الإصحاح الثامن . أما الإصحاحات السبعة الأولى فمجهولة المؤلف ، ربما كتبت باللغة الكلدانية ، وهذا لاينفي قدسيتها ، لأن الوحي بالمعنى لا باللفظ عند جماع الكتاب المقدس وأحبارهم .

أما سفر عزرا ، فإنه يأتي مباشرة بعد سفر دانيال ، كحلقة تابعة له ، ويقص تاريخ العبرانيين منذ الأسر الأول . ويوحي السفر بأن كاتبها واحد .

ويرتبط سفر أستير الأول بسفر عزرا ، ويدل على ذلك طريقة الربط بينهما . وهو سفر آخر غير الذي كتبه مردخاي ، وقد فقد هذا السفر الأخير على مايظن ابن عزرا . ومؤلفه هو نفس كاتب أسفار دانيال وعزرا ونحميا المسمى بسفر عزرا الثاني .

وقد أخذ المؤلف معلوماته من سجلات الأحبار والقضاة والأمراء الذين كانوا يحتفظون فيها بأخبارهم ، كما كان يفعل الملوك . وقد ذكرت هذه السجلات في أسفار الملوك . كما ذكرت سجلات الأمراء في سفر نحميا الأول وفي سفر المكابيين الأول . ومن المحتمل أن تكون هذه الأسفار من وضع الصدوقيين ، وهو ما يفسر رفض الفريسيين لها . وتحتوي على بعض الأساطير الموضوعة عن عمد .

وقد تكون الغاية من هذه الأسفار البرهنة على تحقيق نبوة دانيال ، ولكنها مملوءة بالأخطاء التي ترجع الى تسرع النساخ ، وفي التعليقات الهامشية كثير من هذه الأخطاء .

وقد نقلت هذه النسخ من أصول غير صحيحة ، وغير موثوق بها ، كما شاهد ذلك العالم ألجيد سليمان ، وكل محاولة يقوم بها البعض للتوفيق بينها تكشف مزيدا من الأخطاء .

ولم يحدث تقنين لأسفار العهد القديم قبيل عصر المكابيين . وقد اختيرت هذه الأسفار في المعبد الثاني ، وهم الذين وضعوا الأقوال في الصلاة . ويشير الفريسيون أنفسهم إلى اجتماعهم لأخذهم قرار التقنين مع مايتفق مع عقائدهم .

وقد حافظ اليهود على نصوصهم المقدسة كجزء من الحفاظ على تاريخهم الوطني . وكانوا يعتبرون كل القرارات والتنبؤات التي تجري في المعبد من تاريخهم المقدس . ثم ضمت النصوص في مملكة الشمال والنصوص في مملكة الجنوب وكونت مجموعة واحدة من النصوص المقدسة .

ولكن بعد النفي والأسر ظهرت الكتب المقدسة كجزء من المحافظة على تراث اليهود القديم الذي رأى فيه اليهود تحققا لنبؤاته ومعجزاته . ثم ظهرت كتب الأنبياء ثم كتب الحكمة والأناشيد وقننتها الجماعة دون أي فحص تاريخي لصحتها . ثم قامت الجماعة

http://kotob.has.it

اليهودية في الإسكندرية حوالي سنة 130 قبل الميلاد بترجمة هذه النصوص إلى اليونانية دون أن تكون هناك مجموعة واحدة محددة .

فيحدثنا يوسفوس المؤرخ بأن الكتب المقدسة كانت اثنين وعشرين وموضوعة في ثلاث مجموعات من بينها الأسفار الخمسة والمزامير والأمثال والأنبياء ، أما السامريون والصدوقيون فإنهم لم يعترفوا إلا بالأسفار الخمسة لموسى .

وبعد ظهور المسيحية عقد اليهود مجمعا في جامينا حوالي سنة 95/90م من أجل تقنين الأسفار . فلم يعتبر الفريسيون مقدسا إلا الأسفار المكتوبة بالعبرية ، واعتبر اليهود مقدسا بعض الأسفار المكتوبة باليونانية مثل (سفر بن سيراخ وسفر الحكمة) . وكله شذرات مما اجتهد به الفيلسوف سبينوزا- وهو يهودي- في توضيحه عبر كتابه «رسالة في اللاهوت والسياسة» ولخصه الأستاذ حسن حنفي في تقديمه للنسخة العربية . (1)

ملاحظة : عن الصفحات التالية من محتوى وتلخيص المقدمة (-31-32-33-34-35 22-23-24-25-26-27-28-29-30) وهو مأخوذ في مجموعه من فقرات وردت في مقدمة الأستاذ حسن حنفي .

2- قراءة سريعة للتوراة (بنصيها العبري والسامري)

وبذلك نرى أن الكتابات الدينية اليهودية الأكثر قداسة مكتوبة بأيد ناسخة متعددة وذلك عبر أجيال وقرون ، فهي ليست بلاغا مباشرا عن الأنبياء بحال . وهي لاتعدو أن تكون كتابات ذات قيمة روحية وأخلاقية عالية وسامية ولكنها لاتقوم على رسالة أو دعوى إلهية واضحة أو صحيحة بل بقايا لتحريفات وعلى مدى قرون وقرون طويلة . وكما يرى الأحبار والكهنة فهي كتب بالمعنى فقط .

ولعل الكون بكل أثاره الحية وبما فيه الإنسان في خلق مستمر وتجدد وديناميكية مبدعة من إيجاد وخلق وحتى النهاية الحتمية ، ومن آثار ذلك تجدد الرسالات الإلهية في نبض وإبداع خلاق مستمر قصد التنوير وإزالة اللبس والتصحيح إضافة إلى التخفيف والتطور وخاصة فيما يتعلق بالشرائع والأحكام .

ولعلنا لانغفل التناقضات العقلية والعقائدية في المفاهيم الفلسفية لطبيعة الشعب اليهودي وتعاليه لاصطفاء الله له ووعده بأرض الميعاد وغير ذلك من مفاهيم التفرد والتي - وحسب محتواها اللاحق أو الحالي - فهي موضوعة لاحقا على الدعوة التوحيدية . . وما مصدر ذلك إلا غياب التبليغ الإلهي الصادق الكامن وراء اللاهوت الذي قام ونشأ على ركائز محرفة ونصوص مبتورة ومن صنع أياد بشرية بناء لتعاليم لاحقة على الرسالات كما نزلت بنقائها الأول ، وذلك على امتداد أحقاب وأجيال من التشويه- وإن كانت اليهودية لاتزال بقايا لرسالة إلهية . كما أننا لانتكر قط العلاقة الروحية لبني إسرائيل بإلههم .

(1) راجع : باروخ سبينوزا رسالة في اللاهوت والسياسة - الطبعة الرابعة - 1997 عن دار النشر / بيروت .

http://kotob.has.it

فهي رسالة شابها التشويه وطالتها يد التلاعب رغم قداستها .

ولم يكن هناك حاجة للذهاب أبعد من سفر التكوين في إيجاد مقولات لايمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا ، وإن كان الكتاب كله يقع في مغالطات تاريخية وسردية لا حصر لها :

أ- تناقضات في الروايات التوراتية :

وباستقراء روايات العهد القديم من أمور خلق وشجرة أنساب آدم وقدمه على الأرض أو قصة الطوفان الذي أهلك كل الأرض زمن النبي نوح على ما في الرواية التوراتية ، نجد وجود تعارض صارخ وكلي مع العلم الحديث من كون أن تشكل الكون قد تم منذ حوالي ستة آلاف سنة فقط وفي ستة أيام وبتتابع لامنطقي وغير عقلاني في المراحل وفي كونها جغرافية تحديدا . . . وكون أول إنسان على الأرض كان يعود نشؤوه إلى حوالي أربعة آلاف عام مع أعمار وشجرة أنساب الأنبياء . . . .وكله مما يرفضه العلم الحديث : إذ نجد في علم الأنطروبولوجيا المعاصرة أن الإنسان ظهر منذ حوالي 1.2 مليون سنة بينما أول تجمعات عاقلة فتعود إلى 100.000 عام!! ويعود نشوء الكون إلى 15 مليار سنة كما أن كارثة الطوفان وحسب آثار المنطقة كانت محدودة ولم تهلك الحياة على الأرض قاطبة . إضافة إلى تضارب في تواريخ النسخ المعتمدة للعهد القديم فيما بينها وفيما تثبته وذلك في كونها يونانية أو عبرية أو لاتينية أو سامرية . . . وهو من عمل الكتبة والكهان وليس من مدلولات الوحي الإلهي المنزل قط والتأويل الباطني حول مدلول اليوم والسنة وكونها مجازية فقد ورد في القبالة والزوهار لاحقا .

كل ذلك مع أخطاء صارخة تاريخيا عن خروج النبي موسى من مصر وكيفية عبوره للبحر مما يتعارض مع المنطق السليم حول كون عدد العابرين معه آنذاك يتجاوز الخمسمائة ألف مع متاعهم ومواشيهم وحليهم . . سبقتها مخالطات في إيراد رواية النبي يوسف وتفاصيلها وقصة ملك الحكمة سليمان ومايشوب سيرته من خلط مع قصص شيطاني . . . وكله مما يتعارض مع المنطق السليم . إضافة إلى الدهشة التي تدفعها في النفس خصال الأنبياء وعبث الحكماء وفجور الصديقين إلى درجة الفاحشة وذلك مما يرد كثيرا في روايات وأخبار العهد القديم من الكتاب المقدس .

وكل ذلك إنقاص من قيمة الوحي الإلهي وإدعاء عليه لأنه لايصح أن يتعارض مطلقا مع مكتشفات الحاضر المعاصر . فهو تبليغ عن الله وكناية عن كلامه . والله لايعلم إلا الحق والصدق لعباده . ولقد مرت اعتقادات بني إسرائيل خلال تاريخ إثباتها وإعادة ذلك صياغة وكتابة بإله مشبه . هو إله الجنود وجبار وقاصم وخلط مع الآلهة المحلية للديانات المجاورة ردحا إلى حين إفراد التوحيد عبر عملية إصلاحية بإله مطلق سرمدي وذلك قصد العودة إلى الأصول عبر تطور لانزال نعثر على آثار بقاياه في النصوص اليوم عند مقارنتها . وهي أداة الباحثين للعودة بالمصادر إلى الحقبة التاريخية الموافقة لها مع محاولة إعادة تجميع هذه

http://kotob.has.it

الشذرات بعد أن تم فحصها في فسيفساء . وهي حالة التوراة اليوم عبر محاولات الكتبة في التوفيق بين عدة مخطوطات ذات أزمنة متفاوتة وعدة مصادر تم اقتطاع الأجزاء المتعلقة بكل حدث أو رواية دون أخذ الاعتبار عبر التخالف أو التباين بين هذه المصادر والمخطوطات المختلفة وكون بعضها غير مكتمل وبعضها الآخر جزئي وغير ها أكثر حداثة . . بل قام الكتبة بمباركة الكهنة بالقيام بعملية دمج وصياغة وربما تصحيح وإضافات وشروحات هامشية إضافة إلى مطبات أخرى كثيرة جدا كفقدان بعض الألفاظ لمعانيها الأصلية مع توالي الأزمان بسبب غياب التنقيط والحركات ووضع الكتبة للكلمات الافتراضية الأقرب رغم بقاء الأصل - وحتى اليوم - مجهولا وربما على الهوامش لتدمج من جديد . . ولاندري سببا لضياع الجزء الأعظم من مخطوطات التوراة الأصلية ولماذا صيغت أولا روايات لاحقة وعلى فترات مختلفة تاريخيا . . . ثم ما الذي أدى إلى ضياع بقايا أخرى . . وأخيرا لماذا تم اعتبار جميع المصادر على درجة واحدة من القداسة رغم أن البعض منها صاغه الكهنة فقط وهوليس بأمر نبوي أو بناء على مخطوط . ثم تمت عملية تركيبية روعي فيها التتابع والتسلسل الزمني فقط - رغم أن بعض البلاغ النبوي قد يكون مخالفا في مخطوطه الأول تماما- في إلصاق وترقيع من هنا وهناك ومن مصادر مختلفة وعلى ماذهبت إليه نظرية تعدد المصادر التي جاء بها استروك وفلهاوزن وغيرهما .

ولعل الفكر اليهودي وفلسفته في اللاهوت والمأخوذين لاحقا عن هذا العمل العجيب وعن غيره من الكتب والتي لاتعدو أن تكون اجتهادات للأحبار هو مايدفعنا للتساؤل عن حقيقة هذا الفكر وتعاليمه الاصطفائية والتفردية المتعالية بغلو وذلك استنادا إلى متواترات تدخلت - وكما رأينا- فيها أيد بشرية وعلى مدى يربو على تاريخ الشعب اليهودي نفسه . ومن المعلوم أن اليهودية وبشهادة دعاتها هي دعوى محدودة وليست بدين كوني أو عالمي تبشيري .

ونحن نرى أن بعض الروايات قد اختلطت الأحداث فيها سواء عند إثباتها كتابة أو بسبب طبيعة الفكر البشري الميالة للأخذ بالمقدس ومزجه بالأسطورة .

وإن الدراسة الاستقصائية تقودنا للكشف عما وقع من مغالطات فيما يخص نصوص التوراة : فالبحث عن النواة الأصلية والمخطوطات الأولى المعاصرة مثلا للنبي موسى أوألواحه أو من جاء من بعده من أنبياء في تحريرهم لأسفارهم وفق نقائها وصفائها هو أمر مستحيل إذ أن هذه المخطوطات مفقودة تماما .

وحتى الأكثر حداثة منها فأغلبها محرفة أو مدمرة أو مبتورة أو مفقودة خاصة بعد عمليات الإتلاف التي صاحبت مرحلة السبي البابلي ، ولم يعثر على نسخ منها أو جزئيات من التوراة إلا في وقت متأخر جدا وهي لاحقة بزمان طويل على المخطوطات الأصلية ولا ندري مدى وفائها لهذه الأصول . ولكننا لاحظنا أن ازدواجية النصوص والأصول كانت في فترة معبدية سابقة على السبي ويكفي مثال النصين اليهوي والإلهيمي

http://kotob.has.it

في فترة الممالك اليهودية في القرنين التاسع والعاشر ق .م أو أقرب من هذا التاريخ . ولا نواة البتة تعود لبعض التعاليم الموثقة للنبي موسى محفوظة لدينا اليوم .

أما النشاط والتراث الشفوي والذي دون فهو مما لاتحتويه أي من أسفار التوراة المجموعة اليوم إذ لو تواجدت هذه النواة لكانت على الأقل وفية لتبليغ النبي هذا أو ذاك ومعايشة للحدث ، وهو مما ليس لدينا أية وثائق مكتوبة اليوم تؤرخ بوفاه وإلا لخلا المحتوى من هذه المغالطات التاريخية على الأقل وبهذه الدرجة من الكثافة ، رغم هشاشة التراث المنقول شفهيا .

وليس هناك من دليل على كون نوحا هو أصل الجماعات البشرية قاطبة على ما تذهب إليه التوراة . . بل ربما كانت هناك صلة بينه وبين من خلفه من أنبياء من بعده وأصولهم .

ومن المعلوم أن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ، هو جد نبينا الأكرم محمد ، وقد بشرت به التوراة وكذلك الأناجيل ليس بإخبار القرآن فقط وإنما بنصوص هذه الكتب أيضا . . وذلك مدون فيها .

فكل دين كان منطقه واحدا ويقوم على التوحيد والدعوة للإيمان بالله تعالى . . . أما طبيعة أتباعه فهم أقوام ذوو ألسنة وأصول متباينة . . ويصدق هذا طبيعة على أتباع الدين اليهودي . فهم ليسوا بطائفة متفردة أو شعب ، بل هم جماعات ألفتهم وحدة العقيدة وذلك رغم تأثرهم وعلى مدى أيمانهم بالعبادات والتحريفات التي تواجدت والمحيطة بهم عند احتكاكهم بالشعوب الأخرى . والذين تواجدت فيهم يوما دعوة إلهية وإلا ، فالتوحيد دين الله منذ بداية تشكل الإنسان العاقل الذكي وبدايته في التأمل بواقعه ومحيطه .

ومن المعلوم أنه وعند دراسة المدلولات اللفظية والمجاز في الكتب المقدسة فإنه يجوز إطلاق اسم أشراف القوم على شعب أو بطن أو قبيلة بأكملها . . ولايعني ذلك أنهم من نسب واحد بل ربما جمعتهم روابط المصلحة والعيش وضرورات الحياة . . وهذا موجود في لغات المنطقة .

فبنو إسرائيل ليسوا بقوم ذوي أصول إثنية واحدة بل لاتجمعهم إلا العقيدة ، والدين لا الجنس .

وربما الأثرة والتفضيل والاصطفاء من الله تعالى لبني إسرائيل هي في يعقوب تحديدا ابن اسحق مرورا بيوسف النبي . فهم أبناؤه (أي يعقوب) وهم رؤساء القوم فيما بعد ، وفيهم الكهانة . . وما دلالات الكتب المقدسة حول تقطيع بني إسرائيل إلى اثني عشر سبطا إلا في كون أن كل سبط هو من نسل جده الأعلى فالرقم 12 ربما دل على أبناء يعقوب (إسرائيل) وأخوة يوسف عليه السلام وهم من باب التشريف ممن بقي من أنسالهم وقد استلم كل من هؤلاء ال (12) رئاسة إحدى القبائل أو الأمم أو غيرها . . . . وهم النقباء وأصولهم نصعد إلى الـ 12 شقيق من أبناء إسرائيل .

فاليهودية على ماننصب عليه في خلاصتنا ليست بحال استمرارا وعلى مدى آلاف

http://kotob.has.it

السنين لأحفاد يعقوب بن اسحق بن إبراهيم . وهي مصطلح لعقيدة بعد فترة المنفى . بل ربما كان مدلول ماذهبت إليه الكتب المقدسة هو تشريف نسل يعقوب في رياسة بطن أو أمة تدين باليهودية وليس من باب وحدة الدم قط أو العرق أو الاثنية بحال . . والأصول المختلفة .

ب- حول وثيقة التكوين القمرانية :

ولقد ورد في وثيقة التكوين "المنحول" كما أطلق عليها المفسرون وهي من مخطوطات المغارة الأولى لقمران المكتشفة عام 1947 ، وفي بدايات هذه الوثيقة - وهي فريدة في نصها وأسلوبها وطريقة سردها فقد ورد أن والد نوح هو لامك ووالده هو بتوشالم بن أخنوخ .

واخنوخ - حسب المخطوطة نفسها - عارف بالله ومبارك .

ويميل المسلمون على اعتبار أخنوخ هو نبي الله أدريس وهو أول من خط بالكتابة . . وهو أول الأنبياء من بعد هبوط آدم عليه السلام .

أما ما تلا فهو منقطع وضائع وربما تالف لأن هذه الوثيقة لم تحفظ في جرار فكانت عرضة لعوامل الزمن . . . ومنذ حينه أي منذ ألفي سنة .

وفي نفس الوثيقة . . وفي موضع آخر . ورد أن إبراهيم وبعد هجرته من حران ومسكنه بحبرون -الخليل اليوم - وكذلك بعد سرد قصته وزوجته في مقامها بمصر واللعنة التي أصابت الفرعون عند محاولته الدخول بسارة زوجته ، فإن إبراهيم عليه السلام ، يعود إلى جواره غانما سالما ويريه الله أرض ذريته من أحفاده - وهنا النص لايحدد وكما يقول اليهود في كتاباتهم بأن المقصود هم أبناء إسحاق من بني إسرائيل تحديدا - وهي أرض تمتد من نهر النيل غربا والصحراء الكبرى (ولا نعلم مدلولها المقصود) إلى غور الأردن ونهري الفرات ودجلة إلى جبال طوروس (كما ذهب إليه المحقق) فجبل ثور والمتوسط والمحيط الهندي (على حد تفسير المحقق الفرنسي) .

من المعلوم أن جبل ثور هو جبل بين مكة والمدينة . . وقد ذكر بالمخطوط بهذا اللفظ تحديدا . . أما الحدود التي تملكها ذرية إبراهيم من بعده كرمال الصحراء فإنها تطابق تماما أمكنة تواجد جميع الأقوام الحنفيين سواء أكانوا من ذرية إسحاق - وهم قلة - أم من نسل إسماعيل وهم العرب . وللقارئ أن ينظر اليوم إلى الخارطة فقط . . ومعلوم أن إبراهيم ليس بيهودي لأن اليهودية إنما تأسست على يد موسى (عليه السلام) والوثيقة لاتذكر أبدا اسم إسحاق أو أي شيء عنه .

وهذا النص الذي نعالجه لايشابه في دقة محتواه وعدم تناقضه نصا آخر في التوراة اليوم أو في سفر التكوين قبلا . كما أنه يتكلم عن هدية فرعون مصر لإبراهيم (بهاجر) وكان لم يدخل بها بعد حينها (أي إبراهيم) .

ويختم المخطوط ببشارة مقتضبه لإبراهيم بوريث له ربما بكره إسماعيل . . ولنا أن نتأمل مليا في كل هذا ، ونقارنه بما عندنا اليوم . ومن الواضح أن هذه البشارة التي ذكرنا كانت

http://kotob.has.it

قبل أن يرزق الخليل بذرية . . وهي بمثابة تطمين له ولمن سيخلفه . . وهم ليسوا بيهود حصرا ، وإطلاقا . وذكر الأراضي التي حددها النص ليست كما أولها الأحبار فيما بعد استنادا إلى نصوصهم في الأرض الموعودة . . ومعلوم أن ذرية إبراهيم والتي ستتكاثر لتكون أكثر من رمل البحر هي في إسماعيل وإسحق وليس في أحدهما دون الآخر ويكر إبراهيم هو إسماعيل والبشارة قبل ولادة أي من أولاده .

3- حول اللغة العبرية المقدسة والمقروء والمكتوب فيها:

الفصل السابع (لباروخ سبينوزا SPINOZAت)

(ص : 253-254) في اللاهوت والسياسة : ترجمة وتقديم : ذ . حسن حنفي ط : 1997 - دار الطليعة / بيروت

يرى سبينوزا أن :

هناك صياغات ناقصة في النص المقدس وكذلك حول اللغة العبرية التي كتبت بها التوراة أولا ، يقول : «والحقيقة أن هناك قواعد مستنبطة من مبادئ هذه اللغة تسمح بتعويض هذه الأزمنة والصيغ الناقصة بسهولة وعلى مستوى رفيع من البلاغة ، ومع ذلك فإن أقدم الكتاب أهملوها تماما ، فنتج عن ذلك كثير من المتشابهات» .

وبالإضافة إلى هذه الأسباب للاشتباه ، فإن العبرانيين ليست لديهم حروف تعادل الحروف المتحركة ، والثاني أنهم لم يعتدوا أن يقسموا كلامهم المكتوب أو أن يبرزوا المعنى بصورة أقوى ، أي تأكيده بعلامات .

ولاشك أنه كان يمكن التغلب على هذين النقصين بإضافة النقط والحركات (1) ولكننا لانستطيع الوثوق بهاتين الوسيلتين ، لأن الذين وضعوها واستعملوها علماء لغويين في عصر متأخر ، لاتساوي سلطتهم شيئا .

أما القدماء فقد كتبوا دون نقاط (أي دون حروف علة ودون حركات) كما تدل على ذلك شهادات كثيرة . فقد أضيفت النقاط التي لدينا الآن ، وكذلك الحركات . وإنما هي تفسيرات حديثة لايحق لنا التصديق بها ولاتفوق في سلطتها على الشروح الأخرى . فمن يرد تفسير الكتاب دون أحكام مسبقة عليه إذن أن يشكك في النص الذي أكمل على هذا النحو . وإن المرء يصادف من هذه النصوص المتشابهة عددا يبلغ من الكثرة حدا لايوجد معه نهج واحد يسمح بتحديد المعنى الحقيقي لها جميعا .

" . . . فمن ناحية لانستطيع مقابلة النصوص التي تلقى الضوء على نص إلا مصادفة ، نظرا إلى أن أي نبي لم يكتب صراحة ليوضح كلمات نبي آخر أو حواري من فكر نبي أو حواري آخر ، إلا فيما يتعلق بتدبير أمور الحياة النظرية ، أي مايتعلق بالمعجزات أو القصص" . . وكما رأينا ، فواقع اللغة العبرية المقدسة مدعاة أكبر للخطأ والخلط خاصة في

(1) عرالمقصود بالحركات هنا الفتحة والكسرة والضمة

http://kotob.has.it

نصوص التوراة عند محاولة قراءتها اليوم وفق أصولها الأولى .

فكيف تسمح الأيادي البشرية بالتلاعب بتبليغ نبوي وهو الوحي الصادق والبلاغ عن أوامر إلهية ، والذي يتوجب الحفاظ عليه بنوع من القداسة .

وما عملية تطويع وصياغة النصوص استنادا إلى نصوص متفاوتة وربما اعتمادا على اجتهادات ما في أوقات معينة وعبر عمليات ترميم وتعديل وتجميع لعدة روايات تم استقاؤها من نصوص ونواة مختلفة إلا صدى لمفهوم تعدد النصوص والروايات والتي كشف عنها البحث الأصيل لأساليب ومحتوى وصياغة النصوص في التوراة . . وقد كانت عملية الترميم الواسعة بمباركة من الحركة المعبدية اليهودية وقد استغرقت قرونا طويلة من تاريخ الرسالة اليهودية في عملية صياغة وإثبات النصوص كتابة .

*- *حول مصداقية مخطوطات قمران وحقيقتها مقارنة بالتوراة المحفوظة :*

"من الثابت اليوم أن نصوص التوراة المنزلة على موسى كليم الله لم تدون في حينها أو أن معظمها قد فقد ولم يبدأ في النسخ إلا في العهود الملكية ابتداء بداود فسليمان عليهما السلام ومن تبعهما من بعد وذلك عبر وجود الدواوين والمستندات وأدوات النسخ والكتابة والتوثيق . . وهو عمل جزئي تم في بعض منه حوالي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد أي بعد بعثة موسى بحوالي أربعة أو خمسة قرون . . فالنصوص الأصلية لكتابات وحي نبي الله موسى ، ليست إلا جزئية وفيها تعديلات استدعتها تعاليم الأنبياء اللاحقين وإباحاتهم التشريعية وقد كانت ، وحتى عهد المملكة ، تواترا شفهيا . . ولكن ذلك لم يستمر بسقوط مملكتي يهوذا والسامرة وحدوث السبي البابلي حوالي منتصف القرن السادس قبل الميلاد حيث فقدت جميع هذه الوثائق أو أخفيت أو أتلفت أو ضاعت . . ولم يبق سوى شذرات قليلة من مجمل شرائع بني إسرائيل وذلك خلال عهد في المنفى . . وبنوءات للبعض وبشارات . .

ومن المعلوم أن من أعاد صياغة النصوص وأقر نسخها استنادا إلى مخطوطات جزئية وبقايا مما حفظ في الذاكرة هو عزرا الكاهن في وقت متأخر حيث دمجت مقاطع قديمة مع أخرى حديثة أو أبكر عهدا في صياغات سردية مع ما احتمله ذلك من تحويرات هامة وتعديلات في النصوص كشفها العلم المعاصر اليوم ، فالتواريخ التي لاتتلاءم مع الحقبة الزمنية الحقيقية للأحداث والتي وردت في أسفار التوراة حصرا وهي غير دقيقة إطلاقا وكذلك سرد الأحداث في جزئياتها وبعض التعليقات وغير ذلك . . . كله مع اكتشاف كبار اللاهوتيين والعلماء لوجود عدم تجانس في المبادئ بعضها بعضا وثبوت عدم معاصرتها لعهد الذين وجدوا في ذلك العصر وذلك استنادا لعلم الأثريات والتنقيبات والمخطوطات والأدوات . . . فالأمر كان مختلطا في فسيفساء غريبة يصعب فهمها تداخلت فيها أزمنة سابقة ولاحقة مع تشريعات سبقتها لايستقيم وجودها جنبا لجنب في فقرات متتالية لنص واحد وذلك من حيث تاريخه .

http://kotob.has.it

وكل ذلك يدفع للاعتقاد بأنه كان هناك عملية خلط كبيرة بين التعاليم ونسبتها لأصحابها تاريخيا ووضعها في نصوص وهو عمل متناقض وغالط تماما وغير دقيق . وقد استمر ذلك في التوراة المحفوظة العبرانية بعد إعطائها صفة القداسة وعدم المساس . . ويبدو أن الكتابات : كعمرائي إرميا وكتاب ملاخي وأشعياء وزكريا ودانيال وغيرها قد حفظت لنا بشكل أكثر دقة وماهي إلا مجرد تنبؤات وتحذيرات وبشارات ولاتحمل في جوهرها مادة تشريعية عدا كتاب حزقيال نبي المنفى . . ولانعلم مدى وفاء طريقة حفظ كتابه اليوم ومنذ النفي البابلي وبشاراته . . وهو من الأنبياء الكبار عند بني إسرائيل اليوم وواضع رؤية لاهوتية جديدة في الدين اليهودي .

هذا وتعتبر الكتابات التالية للعودة من المنفى والاستيطان بفلسطين مجددا ، أكثر حيوية كما أن أسلوب حفظها أكثر وفاء مما سلف من كتابات سابقة عليها تميزت تلك الكتابات اللاحقة برؤيا لاهوتية وروحانية أكثر تطورا بكثير مما سبق كما أنها تنسجم مع واقع بني إسرائيل بعد النفي . . فربما كانت نسبتها لأصحابها صحيحة في مناحي من النصوص والأحداث . . كما أن أسلوبها اللغوي هو أسلوب راق وأكثر ترابطا في فقراته وربما كان بيد أناس معاصرين للأحداث التي ذكرت فيها . أما كتابات المكابيين فهو من أواخر ماكتب في أسفار التوراة وأقربها عهدا من رسالة المسيح عليه السلام وهي فترة الهيروذيين والحشمونيين قبل الميلاد بحوالي مئة أو مائة وخمسين عاما . . ومعظم اليهود ينكرون قداسة أسفار المكابيين ويعتبرونها كتبا ملحقة وربما منحولة الصفة وإن كان المسيحيون يعتبرونها ذات قداسة كبيرة وجزءا من التوراة بأكملها ككتاب مقدس .

وكعودة إلى مخطوطات قمران ، واستنادا إلى ما ذكرناه سالفا ، وبما أن جماعات قمران هم يهود بالأصل آمنوا برسالة المسيح وظلوا معتقدين لها ، وعلى نقائها الأول ، ولكن تدويناتهم السابقة حول مراحل تاريخية دونتها التوراة اليهودية يحتمل أن يحمل في طياته أخطاء سار عليها جمهور اليهود عند التدوين كما رأينا . .

فمخطوطات قمران وفية تماما وصادقة فيما بلغته من أحداث عايشتها تلك الطائفة والتي يسميها العلماء بالأسينية ، أما ما سبق ذلك من إشارات واستلهامات فأظن شخصيا أنهم كانوا عرضة لنفس المطبات التي سيتعرض لها أي قارئ لأسفار التوراة المجموعة رغم إفرادهم لكتابات اعتبرت منحولة . . وإذا ثبت تواجدهم ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الأول الميلادي فجميع كتاباتهم حقة تماما ويمكننا الجزم بذلك ، وذلك في محاولة تأويل النصوص أو شرح بعض الأسفار والأناشيد والمزامير ويمر ذلك بما يتناسب مع التعاليم الحقة آنذاك وانتهاء برسالة عيسى المسيح عليه السلام والتي صدقت بها تلك الطائفة وتركت لنا مخزونة وفية حتى اليوم كنزا لايقدر بثمن عن تدوين تلك الفترة وماحدث فيها وحتى عما تحمله من بشائر استقبالية لحال الزمان المقبل .

وتلك أقدم وأوفى وأصدق مخطوط أرخ لأواخر اليهودية انتهاء بالرسالة المسيحية التي

http://kotob.has.it

كانت حصرا دعوة إصلاحية في بني إسرائيل ولليهود فقط . ومخطوطات قمران حفظت في جرار في كهوف الجبال قرب مسعدة ولألفي عام دون مساس ووفية تماما .

ومعلوم أن في قمران مخطوطات وشروحات توارتية خاصة بالطائفة جرى اعتبارها جميعا منحولة لاحقا . أما ما سبق من تحليل فهو مايدفعنا إليه الإطلاع على الكتابات ونقدها من قبل كثيرين وكذلك مبادئ المنطق وعدم التناقض مع عدم التحامل . . ولعل كثيرا مما ذكرت قد أورده العلماء وحتى اليهود عبر تاريخ يطول ومنذ سبينوزا وانتهاء باليوم . . وكتابات البحر الميت أقدم مخطوطات للتوراة وفتوة المسيحية قد يمكن الرجوع إليها اليوم قصد المقارنة والبحث والتمحيص ويجب أخذ محتواها بجدية أكبر وذلك لكونها أقدم مخطوط عبري وآرامي على الإطلاق للكتاب المقدس اليهودي وبدايات المسيحية .

4- حول ذكر بني إسرائيل في الكتب المقدسة وإفراد القلة للدلالة على الكثرة ومعنى ذلك، وذلك في مجال التخصيص قصد الإجمال:

وقد أورد القرآن ذكر بني إسرائيل مرارا وذلك دلالة على من أفرد التوحيد بالله عملا بالحنيفية الأولى التي كان عليها إبراهيم عليه السلام . . . كما أنه قد ورد في القرآن أيضا ذكر بعض المحرمات من المأكولات والممارسات على بني إسرائيل . . وهي من باب تخصيص الجزء والمقصود يكون منه الكل إجمالا .

وكما هي عادة القرآن أيضا ، فقد اكتفى بذكر التوراة إشارة إلى كتب اليهود . . علما بأن التوراة ماهي إلا الأسفار الخمسة الأولى من كتابهم المقدس والذي يجمع جميع طوائفهم على الإيمان بقدسيته .

وبالرجوع إلى سفر الخروج ، فقد ورد في الإصحاح الأول منه أن نسل يعقوب ممن دخل مصر بفضل يوسف واستقر ، لم يتجاوزا ال (75) شخصا . وفي حاشية الطبعة اليسوعية إشارة : إلى أن ذكر أولئك بأسمائهم تحديدا ما هو إلا لتحديد نسل نبي الله موسى عليه السلام ونسبه ، فمن كان يدين بعقيدة الآباء التي آمن بها يعقوب واسحق وإبراهيم كانوا كثر . . وهم أقوام درج علماء السلالات البشرية على اعتبارهم جوالين سكنوا في البراري وغيرها . . وإلا فبني إسرائيل (أي بمعنى الحنيفيين لدين الأنبياء من قبلهم) فقد كانوا كثيرين في مصر . . مما يمكن معه تفسير ما ورد في الآية التالية من نفس الإصحاح في سفر الخروج بخوف المصريين من انقلابهم عليهم وتحالفهم مع الأعداء مما أدى إلى استعبادهم وتسخيرهم في أشق الأعمال . . وكونهم كثيري الولادة والتناسل . . الخ . . .و قد عرف هؤلاء بعد نبوة موسى باليهود ، فهم ليسوا بطائفة إثنية بل مجموعات منتشرة ومن أجناس مختلفة وعلى عقيدة التوحيد . وبني اسرائيل هنا دلالة على قوم موسى ممن اتبعه .

ونستنتج مما سبق أن بني إسرائيل ليسوا بشعب أو جماعة إثنية متميزة تجمعها لغة وأنساب وصلات ، . . . بل هم أناس من أجناس متفرقة وقوميات متباينة درجت الكتب

http://kotob.has.it

المقدسة على نعتهم ببني إسرائيل من باب تشريف تلك الكتب للأنبياء الذين كانوا دعاة لهذا التوحيد .

فلعله من غير المعقول أن تكون ثلة ممن دخل مصر مع نبي الله يوسف هم أصول هذا الشعب فقط وهو الذي درج الكتاب على اعتبارهم أنهم قد أصبحوا أمة عظيمة تجاوزت ال «500.000» شخصا عند عبور البحر مع موسى عليه السلام .

ومانذهب إليه ، هو كون موسى عليه السلام كان من صلب أحد أحفاد يعقوب . . وهو سبب نحت التوراة لأفراد بني إسرائيل ب «75 »شخصا فقط عند دخولهم مصر كما كان تعليق اليسوعيين بكون النص يشير فقط إلى نسب موسى عليه السلام . . وتحديدا .

وإن الفاصل الزمني التاريخي بين حكم ملوك الهكسوس وحكم رمسيس وابنه منبتاح فرعوني الاضطهاد لم يتعد 400 عام وذلك سواء بالرجوع إلى التوراة نفسها أو وفق ماتوصل إليه علم الأديان المقارنة أو البحوث التاريخية ودراسات التنقيب . . . مما يستحيل معه هذا التناسل الهائل!!

وقد أشرت سابقا وفي صفحات أخرى إلى كون أن الرسالات السماوية التوحيدية كانت متواجدة قبل تحريفها والحشو فيها في مناطق متباينة وفي حضارات ذات شعوب وأصول مختلفة ، وما مدلول الرقيمات والحضارات والقصص المتشابه في الأساطير إلا دلالة على ذلك . . . فموسى الكليم مشرع يوحى إليه عليه السلام وليس بأول مدون لها في التوراة . . . وقد أشار القرآن إلى صحف إبراهيم الأولى وغيرها ، من مخطوطات الأنبياء الموحدين ، فالرسالات السماوية لم تنقطع قط ، وقد شرف الله نبيه إبراهيم عليه السلام بالنبوة والكتاب ومن بعده ذريته .

● وحول أصول اليهودية وتاريخها ختاما :

فنزى أنه ولعل أصول كلمة العبرانيين هي في عبور قوم يوشع وذلك بعد وفاة موسى لنهر الأردن قصد دخولها لأرض كنعان أو فلسطين . وهي مرادفة لمصطلح اليهود الذي عرف به قوم مصر بعد بشارة موسى وإخراجه لهم من بطش الفراعنة . أو لاحقا فيما بعد بالمنفى وعودة منه .

أما رجوعنا بالآباء الأولين كإبراهيم وذريته وأحفاده لنعتهم بكونهم كانوا عبرانيين أو ما شابه فهو مخالف تماما للحقيقة ، فالذي سار على نهجه أولئك الجوالون من الأنبياء السابقين لم يكن مقننا كما أنه لم يكتسي طابع التشريع أو التنظيم بل ربما كانت الحنيفية الأولى دين الفطرة في إفراد العبادة بإله واحد أحد . . ولم تكن وقتها تلك الطقوس والتنظيم الذين عرفتهما اليهودية لاحقا وعلى يد موسى .

فالقاسم المشترك الوحيد هو في كون موسى ذي أصول تعود ليعقوب بن إسحق بن إبراهيم وهذا النسب لايعني شيئا في الإدعاء بتركة إبراهيم أو بكون اليهود تخصيصا هم الورثة الوحيدون لهذا النبي .

http://kotob.has.it

فماحوته التوراة من أنساب وقصص ربما كان محتواها أولا خاليا تماما من تلك العلاقة الانتقائية في ربط اليهود بكونهم هم بنو إسرائيل وكما أشرنا سابقا فما بنو إسرائيل إلا زعماء الأفخاذ والقبائل وأشراف القوم فقط ممن انضوى تحت لواء دعوة موسى التوحيدية واتبعه . . . وهم لاشك كانوا بقية من ذرية أقامت منذ عهد عزيز مصر بن يعقوب في مصر . ولكن اليهودية دين دخل فيه أقوام وإثنيات وعناصر ذات أصول ولهجات مختلفة أخذت بالتزايد . وذلك الحصر في أسفار التوراة لتعدادهم وزوجاتهم وذرياتهم هو من باب التدوين اللاحق للبرهنة على أن قوم موسى فقط بقية من ذرية يعقوب وهذا محال ومغالط للواقع .

فكل دعوى دينية لابد وأن يتبعها قوم كثر ومن المعلوم أن سكان البلد الواحد ليسوا ذوي أصول واحدة أو أنساب متقاربة دوما .

فالغالب أن الادعاء بكون اليهودية هي تخصيصا في إثنية أو عنصر محدود هي دعوى باطلة حتما ، وربما تصح هذه الأشجار المشوشة من الأنساب للأنبياء والواردة في سفر التكوين ومنهم فقط وفي ذرياتهم من بعدهم . ولا ندري ماهي مصادر من دون الأنساب : إذ أنه في عهد لاحق وفي عهد النبي محمد ورغم وجود علم الأنساب وكون الدنيا قد تطورت تطورا أكبر مقارنة بفترة التوراة ، فإنه أي محمد - لم يرض مطلقا برفع نسبه فوق عدنان رغم تصريحه صراحة بأنه من صلب إسماعيل بن إبراهيم وذريته . فرفع النسب من عدنان وإلى اسماعيل نهى عنه رسول الإسلام رغم الفارق الكبير في الزمان وأصول المعرفة وأدوات الإطلاع آنذاك . . . . وربما سبب ذلك عدم الوثوق أو لعدم الوقوع في خطأ اضطراب أو غلط مارغم وجود النسابة يومها ، وذلك اعتمادا على أصول سابقة مدونة ربما اسرائيلية لأهل الكتاب .

فما بالك بالتوراة ، وهم الذين يدعون أن أسفار موسى الخمسة صادقة المحتوى تماما للأنساب والمنزلة منذ حوالي عام 1250ق .م وماحوته ، علما بأن بعثة محمد كانت حوالي عام 570م . 611 ميلادية؟!!

فتاريخ اليهودية كله مضطرب رغم قيامه على نواة ربما كانت أصولها صحيحة ولكن ليس وفق الشكل الذي حفظ لنا الكتاب فيه لاحقا وذلك كتابة وتدوينا . وربما كان التراث بأكمله نسج من الذاكرة استنادا إلى موروث شفهي بتواتر وشائع .

ونختم قائلين بأن أول عهد لنا باليهودية كدين وكقوم ذوي عقيدة وتشريعات بدأ مع موسى وليس قبلة قط . . . أما حول تعريفنا لبني إسرائيل بمثال معاصر اليوم فهم كمقارنتنا لذرية محمد بن عبد الله رسول الله الباقية اليوم - وربما أعدادهم ليست بالقليلة حسب انتشارهم سواء أكانوا أصولا أو فروعا - وذلك مع قولنا بني إسرائيل ضمن جمهور اليهود فهؤلاء وأولئك هم أشراف قومهم .

● وحول أسفار التوراة والحق التاريخي :

فإنه وفي سفر تثنية الإشتراع ، وهو مكتوب بصياغة المتكلم وربما كان نواة أولى لمجموعة

http://kotob.has.it

من التشريعات والقوانين لليهود من قبل النبي موسى عليه السلام لقومه وذلك حول الأسارى والعبيد وبعض قواعد الاحتفالات وغيرها من الحدود والعقوبات صيغ في مرحلة التيه . ولكن مراحله اللاحقة وازدواج صيغة الخطاب فيه تدفع للتساؤل عن تاريخ نسخته النهائية والأصول التي تم اعتمادها في كتابته . وما يهمنا هنا هو مقدمة هذا السفر وهي تاريخية وتتعلق بتذكير موسى عليه السلام لقومه بأنعام الله وضلالهم وتحريم الأرض المقدسة عليهم . ولكن ترد بعض المقاطع عن اجتياز منطقة شبه صحراوية قرب فاران اجتيازا إلى شرقي نهر الأردن حيث امتلك اليهود آنذاك أرض المؤابين - دون العمونيين وهي محيط مدينة عمان الحالية - صعودا بالهضاب إلى الجولان وقراها . وكانت تذكر أسماء القرى لتحديدا والمزارع ويتخيل القارئ أنها ممالك كبرى وماهي إلا محافظات في المفهوم المعاصر اليوم وربما أسماؤها لاحقة على ذلك بزمان .

وقبيل موته ، صعد الكليم على هضبة الأردن مقابل أريحا وأوري الأرض المقدسة الموعودة من تخوم لبنان وصيدا مرورا بالجبل إلى البحر المتوسط فصحراء النقب جنوبا . ومن المعلوم أن هضبة الجولان مثلا وماجاورها تكشف فلسطين بأكملها لأنها - أي فلسطين - أرض منخفضة وحتى البحر وحدود لبنان الحالية وربما طويلا جنوبا . وكل من تجول فيها إلا ويستطيع رؤية هذا المشهد مع الغور والبحر الميت . . على مشارف الأرض التي تدر لبنا وعسلا .

ومايهمنا هو رغم إقرارنا بأن كلام تثنية الاشتراع ربما كان صادقا عن تواجد بني إسرائيل في هذه المناطق أو في فلسطين فيما بعد على يد يوشع بن نون وقومه ، فإن ذلك ليس بسند قانوني ديني أو تاريخي للمطالبة بحق في تلك الأراضي .

فكما شرحنا كان الدخول لتلك المناطق بناء على أمر ووعد إلهي انتهى مع النبوات اللاحقة على اليهودية . كما أنه وإذا ما نحينا السند الديني جانبا ، فالحق التاريخي لاقيمة قانونية له اليوم بل يؤخذ بمبدأ الفعالية في القانون الدولي ويمبدأ السلطة المتواجدة من خلال النقود المضروبة والسيادة والدولة وليس بمبدأ حق تاريخي لدولة تواجدت منذ 2000 سنة وفقط لمدة 70 عام من تاريخ منطقة مأهولة منذ عشرات الآلاف من السنين ، فالحق التاريخي للمطالبة لاغ في الأعراف والمواثيق الدولية اليوم وحتى سابقا وعوضه مبدأ الفعالية القانونية عبر الممارسة والاستمرارية .

5- مبحث في أصول البحث عن دلالات الألفاظ في الكتب المقدسة (ومن خلال علم أصول الحضارات القديمة)

إن اللغات القديمة كانت وعند بداياتها تقوم على مخارج صوتية للتعبير عن المحيط الخارجي أو المجاور . فهي بذلك دلالات صوتية ومقاطع تركيبية للدلالة على أقرب معنى من الأمر المراد التعبير عنه .

فقد يقصد مثلا تقليد صوت حيوان ما للدلالة عليه أو المناداة بعبارات تدل على

http://kotob.has.it

الرضيع أو على الشعور بالخوف أو الفرح . . إلخ- كوسائل للتخاطب .

ثم تطورت اللغة شيئا فشيئا لتتزايد المقاطع وتتراكب مع بعضها قصد التعبير عن مفاهيم أكثر تعقيدا ومع تزايد الاتصال مع المحيط الخارجي واكتشاف مخترعات جديدة . . وأخذ الرمز يعبر عن نشاط فكري تماما كما كانت مقاصد اللغة . وبذلك فقد كانت رسومات الكهوف الأولى البدائية وعندما يراد التعبير عنها صوتيا فإنها تكافئ شيئا ما .

وبذلك نشأ التعبيرين الصوتي والكتابي - بالرسم - وعند مزجهما كان نشوء الرسوم ذات الدلالات اللفظية . فاللغة المنطوقة سابقة على كتابتها . . ولعل هذا التطور كان عنه في المستقبل تحول وتطوير وتركيب الرموز الصوتية مع ما يكافئها من رسومات . وكلنا يعلم أن أصول أقدم اللغات أو اللهجات المكتوبة كانت بالتعبير عنها بواسطة الرسم والذي جرى تبسيطه مع ازدياد الرموز . فالكتابة كانت رموزا لمدلولات حسية مشابهة . . ففي الهيروغليفية القديمة كان يتم التعبير عن ألفاظ الأرقام - والتي ربما هي متوارثة مع تحويرات ممن سبق من أقوام- بالأعداد (١ ،١١ ،١١١ ،١١١١ ،١١١١١) 1، 2، 3، 4، 5 فعندما كان يلفظ مثلا مكافئ اللفظ خمسة " لم يكن هناك لفظ أبجدي بل كان يعبر عنه كتابة بالرمز ١١١ ١١ وكانوا بالمماثلة بالنسبة لبقية الكلمات حيث كان الرسم هو الطريقة للتعبير عن الألفاظ كتابة .

وهكذا كانت اللغات الموغلة في القدم ، إذ لم تكن الأبجدية قد نشأت بعد . وكانت المقاطع الصوتية يعبر عنها بالرسم .

وقد أخذت لهجات المنطقة عن بعضها البعض مدلولات الألفاظ عندما ما يراد التخاطب ، نظرا للتقارب الجغرافي ولكن أسلوب الكتابة أخذ مناح مخالفة : ففي السومرية القديمة وعندما كان يراد التعبير عن مفهوم ما فقد كان يتم اللجوء إلى عملية تركيبية : فالرمز 0 له دلالة فصيلة الأنعام

والرمز + له دلالة الثدييات مثلا .

وعند جمعها كتابة فإن المعنى يصبح خروف UDU

- (والرمز 0 أصلا يلفظ = LAGAB

(أما الرمز + فيلفظ = MAS

وبذلك نرى أنه بدلا من عملية تركيبية كما حدث عند اختراع الأبجديات فإنه بدلا من لفظ مركب LAGAM - MAS فإن لفظة خروف يصبح UDU أي المقطع الصوتي فقط وهذا ربما سيشرح طرق القدماء في اعتمادهم على الرمز للتعبير عن معان لاتتطابق لفظا .

ومثاله قولنا : امرأة (MUNUS) ورمزها Δ

ثم قولنا = جبل (KUR) ورمزها .

فإن التعبير عن المرأة - الجبلية هو الغريبة أو الأجنبية أو الأمة ورمزها : (GEME) صوتيا

http://kotob.has.it

فلا تطابق بين الرمز التركيبي ولفظه بل هي عملية استدلال وإثبات كتابة حيث لم تكن الأبجدية بالمعاني المتطورة قد عرفت بعد : من استعمال عدد من الرموز للاشتقاقات والمصادر المتطابقة ومجردة عن الدلالة بالرسم ، حيث ومع اختراع الأحرف الصوتية ، أصبحت الكتابة تطابق تماما المقطع الصوتي المراد التعبير عنه . ولم تعد للكتابة دلالة اشتقاقية من الرسم بل وضعت أصول اللغة ومصادرها . ولعل مايبرهن ذلك مدى التطابق أو التقارب بين اللهجات القديمة في منطقة الشرق الأوسط مثلا حيث تم توارث المقاطع اللفظية للدلالة على المقصود مع البعد عنها ، بأسلوب بدأ بالاستعانة بتركيب الرسوم ثم مالبث أن تحرر من الرسم ليفرد الطريق أمام تراكيب الحروف الهجائية . وبذلك نشأت اللغة المكتوبة وإن كان تطورها اللفظي كلغات منطوقة قد مر بتطور أبطأ : حيث بقي الموروث شبه متماثل مع اختلافات حول درجة تأثير كل قوم في غيرهم من الحضارات وطريقة تعامل كل فئة مع هذه الألفاظ بتحويرها والاشتقاق منها .

فالتقارب الشبه متماثل بين العربية والعبرية والقائم حتى اليوم ، هو مدعاة للعجب وكذلك بين الآرامية والسريانية وبعض المصادر والألفاظ المشتركة بعد قلب الأحرف .

وهناك من يرى أن اللغات ليست فقط ذات جذر أو جذور مشتركة لفظا بل حتى أن ذلك مشترك أيضا من حيث الخط وأساليب الكتابات المتوالدة عن بعضها البعض من حيث الهجاء حيث أصبحت الكتابات اشتقاقية عن بعضها . . . والخلاصة التي نريد الوصول إليها هي :

أن ألفاظ الأماكن والأقوام وحتى الأبطال في المنطقة ربما كان يجب البحث عنها في الأصول القديمة للرقيمات والمخطوطات المجهولة الهوية من خلال المعاني المشتركة :

إذ أن ألفاظ التوراة - والتي حافظ القرآن عليها من باب التذكير وضرب الأمثال - كقولنا آدم فهو ليس باسم علم لأول مخلوق بشري عاقل بل هو لفظ يشبه التوراة لأن مصدره هو اشتقاقي من الأدمة : أي ظاهر الأرض ولونها الأسمر وهو نفس المعنى تقريبا في القرآن . فهو يدل على عملية خلقه واشتقاقا من ذلك أي تراب الأرض الظاهر الضارب للسمرة ، فلذلك وحتى بالنسبة لغيره من الألفاظ كحواء من الحياة واشمايل أو اسماعيل أو اسم - أيل أو أبرام أو أب رحيم أبراهام أو إبراهيم وكلها أسماء ليست بأعلام قط بل هي دلالات اشتقاقية لمعاني مالبثت أن أصبحت تتداول كأسماء أعلام . . وقد تدل على الرحمة أو التدافع أو الذي أسري به كما هو حال إسرائيل دلالة على يعقوب وغيرها من الألفاظ التي وردت في الكتب المقدسة ، كقولنا "نوح" وهو الشديد البكاء أو الحزين وغير ذلك أو لفظ اخنوخ أو إينوش وغيرها كثيرا جدا .

. . . وإذا ما أردنا البحث عن المكافئ لهذه الأسماء للتأكد من قصصها من مصادر أخرى قديمة ربما تواجدت فيها هذه الشخصيات أو الأماكن أو الأبطال والشعوب ، فكان من باب أولى عدم الادعاء بخلو الكتابات القديمة في الإبلاغ عنها :

http://kotob.has.it

فقصة نوح لها ما يكافئها في المنطقة برمتها وفي جميع حضارات المنطقة وبعضها يعبر عنه بجلجامش ولاندري ففي هذا اللفظ ربما دلالة على أحد معاني أو مكافئات اسم نوح أو ربما كان هو اسم العلم الخاص بالنبي نوح في قومه . .

فعلم التنقيبات الأثرية وجد رقيمات متناثرة لشخصيات متقاربة مع القصص التوراتي ولكنه عجز عن إيجاد المكافئ اللفظي . . ولعله موجود وفق ألفاظ اشتقاقية في المنطقة لاتطابق دوما ما ورد في التوراة من أسماء لأنها وكما هو حال العربية اليوم - ذات دلالات معنوية وهي ليست بألفاظ مجردة لا قيمة لها .

أما الإدعاء بأن النبي موسى لم توجد مكافئة له أو لقومه ، فما ذلك - برأينا- إلا لأن البحث قد أنصب على شخصية متقاربة منه وربما تواجد اشتقاق هيروغليفي لانعرف طريقة لفظه يدل على هذا النبي . . . لان اسم موسى أو موشيه قد لايكون اسم العلم الذي أثبتته الكتابات الهيروغليفية بل أن الاسم الذي عرف به حينها في مصر كان مخالفا . ولعل الاشتقاقات المعنوية قد تشكل فائدة في هذا المضمار مع مجمل عن سيرة وفق وجهات نظر قد تبدو متخالفة عند إثباتها وتدوينها .

ومثلا فكلمة PUTIPHAR فهي اشتقاق لكلمة "عزيز الإله شمس" وقد استخدم القرآن كلمة "العزيز" دلالة على خادم ورئيس بنائي وغلال مصر وهو اشتقاق يطابق المدلول الحرفي للفظ PUTI-PHAR حيث أسقط مدلول الآلهة شمس وأبقي لفظ العزيز اختصارا ودلالة على التوحيد الذي تميز به يوسف .

فدلالات التوراة وما ورد فيها من أسماء وألفاظ عبرية هي خليط لأسماء ربما تكون أصلية وبهذا الشكل أو قد تكون مزيجا من ألفاظ اشتقاقية لها دلالاتها المعنوية أثبتت في صلب النص المقدس وقد توافقها أسماء مخالفة وفق مخطوطات أخرى . إذ كلنا يعلم أن اليهود أو العبريين ليسوا بأول شعب سكن المنطقة ، وبذلك فألفاظهم مأخوذة عن خليط من اللهجات والأصول . وليست اشتقاقات وألفاظ التوراة بالوحيدة التي تعرف بتاريخ المنطقة .

وقد وقعت نصوص التوراة السبعينية المكتوبة باليونانية مع الاحتفاظ بالألفاظ العبرية فيها ، أقول وقعت في أغلاط فادحة من الاحتفاظ بالألفاظ العبرية واعتبارها أعلام وماهي إلا ألفاظ لها معانيها الاشتقاقية الواضحة والمأخوذة ربما عن أصول سابقة ، وأصبحت اليوم في صلب النص اليوناني كأصول لأعلام .

أما اعتراض البعض وحيرتهم أمام لفظ "آزر" الوارد في القرآن فإني أرى أنه اللفظ الدقيق تماما لاسم أبي النبي ابراهيم وهو مدلوله في مرحلة تواجد ابراهيم ، أما لفظ التوراة فهو "ناحور" وهو لفظ قد يكون اشتقاقيا " أو للدلالة على معنى ما ، والعكس صحيح تماما . أو هواسم منطقة أو مملكة أو للشهرة .

وكلنا يعلم أن لفظ "ذا النون" أو يونس هو دلالة على صاحب الحوت من الأنبياء وهو

http://kotob.has.it

نفس مدلول لفظ يونان في التوراة والمعنى واضح في كونه اشتقاقيا ومن خلال سيرة هذا النبي وهكذا . وماهو باسمه العلم .

وما الاختلاف بين الاستعمالات لنفس الدلالات القصصية في الكتب المقدسة ، إلا لكون الشخصيات واحدة ولكن أساليب التعريف فيها يتم بمعان اشتقاقية وربما ليس عبر أسماء الأعلام .

أما في المرحلة اللاحقة ومنذ تنزيل القرآن الكريم فإن الألفاظ الدالة على الشخصيات في الإسلام فأسماؤها دقيقة تماما وكلها تدل على الشخصيات بأعلامها رغم اعتراف الجميع بأن أغلب الأسماء في العربية هي أسماء ذات دلالات معنوية وماهي بألفاظ جامدة .

وكلنا يقر بأن هناك ألفاظا عربت في نص القرآن رغم أن أصولها فارسية أو حبشية أو نبطية أو آرامية أو عبرية . . ولمن شاء فهمها بتدقيق فما عملية الاستعارات من لغات مجاورة ألا من باب التأكيد على المعنى الدقيق للفظ في اللهجات الأخرى ومايكافئه في اللغة العربية ، ومثاله قولنا "فردوس" دلالة على أعلى مراتب الجنان وهي لفظ اشتقاقي فارسي وله مايكافؤه في الهند ومعناه الحدائق الملكية الغناء "PARADIS" (پاراديس) وأيضا كقولنا وادي جهنم "فهو واد عرف في القدس العبرية كخندق ناري كانت تلقى فيه النفايات والأضحية وكان شديد الاضطرام . وما استعمال القرآن لهذا اللفظ الذي أصبح له مدلول الجحيم إلا بالإشارة إلى عادة يهودية عبر ضرب الأمثلة لهم أيضا مما يعرفونه . . وربما كان هذا أيضا هو المقصود لمختلف اللهجات والكلمات الأعجمية التي وردت في النص القرآني . وكانت هذه العملية الاشتقاقية بالاستعارة أكثر اتساعا وشمولا عند الشعوب الأخرى السابقة كما رأينا .

ولعل التوراة اليهودية يصدق عليها أيضا ورود الكثير جدا من الألفاظ فيها والتي ماهي إلا إقحام لألفاظ سابقة ، لها دلالاتها أو هي نفسها عبارة عن اشتقاقات .

وربما استطعنا يوما أن نفهم دلالات أو المقصود من بعض الألفاظ المستعصية في القرآن مثلا كلفظ = هاروت وماروت ، أو يأجوج ومأجوج ، أو من المقصود بذي القرنين وهكذا .

ومعروف أن لفظ يأجوج ومأجوج له مايكافؤه في التوراة في قولها GOG et MAGOG أي "جوج وماجوج" ولعل اختلاف الاشتقاقات اللغوية هي التي أعطت بعض الاختلاف الطفيف بين العبارتين في هذين الكتابين . وبتطبيق دراسة مدلولات المعاني اللفظية الاشتقاقية وفق أصولها ودلالاتها المعنوية في حضارات أخرى فربما سنستطيع فهم الكتب المقدسة على قدر أكثر وضوحا . ونرى ختاما أنها جميعا وخاصة القرآن قد جاءت بالصدق ، والقرآن ألفاظه أشد عموما في رواياته ودلالاته عن كل اكتشاف علمي لاحق .

ملاحظة : ورد في الإصحاح التوراتي الأول من سفر التكوين قوله : وكانت "الأرض خربة خالية" والمكافئ العبري وحتى اليوم هو "توهووبوهو" الوارد أي "BOHU ET

http://kotob.has.it

TOHU" وهذا المعنى مجهول الدلالة اليوم وما القول خربة وخالية في الترجمة العربية إلا تقريبي فقط . ومثاله شائع جدا في الألفاظ العبرية للتوراة ومعانيها الحرفية وحتى أسلوب لفظها وكله مجهول وحتى عند اليهود أنفسهم . وربما كان المقصود الطهي البهي حول تشكل وسخونة الأرض .

كما أن ابني آدم هما قابيل وهابيل وهما تعريف لكلمتي "قاين وأبيل" التوراتيان واللتان بدورهما ماهي إلا دلالة عن المزارع والراعي وقصصها واضح في قضية القرابين ، فعملية قتل أحدهما للآخر- وربما وجب البحث عما يشابه ذلك دلالة وليس عبر أسماء الأعلام في التراث السابق في المنطقة .

- أما حول مدلول بعض العبارات في التوراة مقارنة بالقرآن :

فقد ورد في سفر التكوين أو بيرشت حسب التعبير العبراني والذي يشتق من "رش" أي الرأس فهو بمعنى الافتتاحية أو المقدمة . وهو مطابق مع إبدال الشين سينا بقولنا في العربية الرأس ("راش") وهي مايدل على سفر التكوين أو قول العبرانيين للدلالة على كتبهم زيبر ويم فهو شديد العلاقة مع قول القرآن الكريم "الزبور" دلالة على كتب مقدسة سابقة على المسيحية والإسلام وكذلك حول مدلول حكمة المزامير من مزمور وهي الأناشيد في التراث اليهودي ومدلولها هو المزامير لداود كما في الإسلام .

أو قول العبرانيين (هكوليت) فالهاء للتعريف وهي مشتقة من "القول" فهي بمعنى الأقوال أو الأمثال . أما اشتقاقهم لسفر الخروج المؤرخ لموسى عليه السلام من عبارة مركبة معناها "في الصحراء" أو " في البادية" فهو مغلوط ، لأن اللفظ العبري هو "داميبار" : وهو كما نلاحظ مشتق من الإدبار أو التتابع . ومعناها في التوراة اليوم هو "الخروج عبورا" وهو عين اللفظ المستدل حاليا . أو قولهم "شيموت" لسفر التثنية : فمعناه مشتق من لفظ "اشم" ومع أبدال السين شينا فتصبح "الأسماء" . وقولهم "وايقرأ" فهو مشتق من الصراخ أي و"يصرخ" وهو سفر اللاويين أو الأحبار الحالي . أما قولهم "الأقوال" حول سفر تثنية الاشتراع فهو مشتق من "أدماريم" بمعنى القراءة والترنم أي "الترانيم" وهو عين مدلولها باللفظ العبراني وحتى اليوم .

وقولهم "ها ما ييم" فهو مشتق من اليوم أي سفر الأيام وقولهم "ميلا خيم" فهو بمعنى سفر الملوك وكما نرى فالتقابل واضح بين ملخ وملك مع جمعها .

وبقية الأسفار فهي أسماء أعلام لمؤلفي الكتب التاريخية وبقية الأنبياء .

وهنا نلاحظ حول ورود لفظ ملكي صادق ، وهي عين استقاقهم لطائفة الصاد وقين كفئة يهودية قديمة وهم اسم اشتقاقي من الزهاد الصادقين . فالتماثل واضح مع أصول واحدة للإشتقاقات اللفظية مع اعتماد التوراة اليوم على عبارات مخالفة للأصول وهي مشتقة من اليونانية واللاتينية . والألفاظ ذات دلالات معنوية اشتقاقية .

أما مايرد في التوراة اليوم وفي الإصحاحات الأولى من سفر التكوين حول الخلق

http://kotob.has.it

فهناك عبارة "وكانت روح الله ترف على الماء" وباستعارة تفسير الآباء اليسوعيين فمدلول الروح فهي كل مخلوق قابل للحياة . . والتقابل واضح مع الماء ودوره . ولكن اليسوعيين يستطردون قائلين أنه ربما كان الاشتقاق من معنى روح القدس لينسجم مع قولهم بقدم الكلمة . وبالعودة إلى النص العبري المترجم للفرنسية لأندريه شورا كي فهو يقول "روح أو رياح أو أنسام الله" وكلها عبارات بعضها كما مدلول اليسوعيين وبعضها يعني الرياح المعروفة العاصفة عند تشكل الغلاف الجوي وهو عين قول التوراة السامرية لأبي إسحق الصوري وترجمته عن العبرية القديمة .

وبالعودة للقرآن الكريم ، نجد قوله تعالى : "وكان عرشه على الماء" ، وقد يحتمل معنى الإبداع وأصل الحياة وأكبر أسباب البقاء لأن الكون بأكمله مسخر للإنسان ، والماء سبب وجوده وخواص وصفات جزيء الماء مذهلة وخارقة وهي تتحدى جميع الكائنات . فهو الأنسام التي ترف على جناح الإبداع .

ولعل بعض المدلولات متقاربة دون أخرى وهذا برهان على وحدة تبليغ الله الأحد الصادق وتحريف الإنسان له فيما بعد وقد ورد بصيغ اشتقاقية لإيجاد عنصر المقابلة قصد الاقناع حتى ولو كانت لفظا .

- ملاحظة : ورد في النسخات الكاثوليكية الفرنسية قولهم "نفس الله" أو "روح الله" بمعنى الجزئية أي L'ESPRIT DE DIEU أو L'AME DE DIEU وهي مغلوطة طبعا والصحيح وكما أورد شوراكي قولنا LE SOUFFLE DE DIEU بمعنى الأنسام المقذوفة في كل مخلوق أو الأنسام الإلهية .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الجزء الثاني وفيه:
الملاحق 1 - 2- 3-4
دراسة وثائقية

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

مختارات، ملحق 1:
حول كتاب رجاء غارودي، "قضية إسرائيل والصهيونية السياسية"

منشورات بابروس : باريس 1989 (طبعة فرنسية)

في المعتقدات الدينية اليهودية ، فإن الاصطفاء هو أصلا اصطفاء للمعاناة وهذا مبدأ روحاني عظيم من حيث المسؤولية والتضحية لمن تلقى الرسالة الإلهية . . ولكن ومن خلال كل قصة بني إسرائيل فإنه لايوجد أي أثر أو مرجع خارجا عن الكتاب المقدس . فعلينا أن نعتبر إذا أن قراءة التوراة كانت قبلية مبنية على الاعتقاد بتفرد تلك القبلية وصدق قصصها فقط مع إسقاط كل قصص قومي أو قبلي للشعوب حتى المحيطة وعاداتها وأعمالها .

وإن كل ذلك لايعدو أن يكون مصطنعا : فسقوط أريحا مثلا هو مختلق من كل النواحي فقد أكد علم الآثار أن تلك المدينة قد دحرت في القرن الرابع عشر ق .م فهي بذلك كانت خالية تماما في عهد اليسع المزعوم . . (الأب ديفو- التاريخ القديم لإسرائيل ، ص : 447) ، ويسترجع غارودي نظرية تعدد المصادر ليوظف خلاصته في قوله :

"أما عن تاريخ النصوص ، فإن أقدم النصوص اليهودية ذات المصدر اليهوي قد كتبت في عهد سليمان حوالي منتصف القرن العاشر ق .م وهي مخلفات لتراث شفهي . ومن وجهة نظر علمية فإنه لم يبق أي شيء يذكر عن وعد الله أو الاصطفاء أو العهد وكل قصة بني إسرائيل حتى بدايات عهد داود ، وهكذا يمكن القول أن البشر قد سمحوا لأنفسهم باختلاق وكتابة هذه الصور من محض مخيلتهم . أما النص الأولوهيمي المتشكل في بدايات القرن الثامن ق .م وسفر التثنية المكتوب في القرن السابع ق .م والنص الكهنوتي والقصصي فهي من مخلفات عهد السبي في القرن السادس ق .م ، فالعهد مع الله والوعد والاصطفاء هي من مجرد الأساطير والأسفار الموضوعة وليست من قبيل التاريخ في شيء .

وهكذا نجد أن الدين اليهودي يجعل من إيمان إبراهيم إرثا خاصا به يطالب به شعب إسرائيل وحده وفق أصول عرقية وليس وفق متطلبات مشتركة مفتوحة أمام كل من يريد أن يجيب نداء الخالق وتعاليمه .

http://kotob.has.it

حول معتقد اليهود وبأقلامهم في الأرض المقدسة : (دانييل صابوني والأديان التوحيدية الثلاث = مقارنة) «ورد هنا ملخصا لأراء دانييل صابوني في كتابه المذكور والمطبوع بالفرنسية» .

ملحق 2: دانييل صابوني والأديان التوحيدية الثلاث

وإن الإله عند اليهود هو أول موجود إلهي تكلم واختار شعبا ما ، وذلك باصطفائه اليهود وحسب معتقداتهم ، فقد كان بذلك فارضا للأوامر والنواهي وزاجرا غاضبا في مرات متتالية وربما راغبا ومحبا عند التقرب إليه والاعتصام به .

وكلمة "يهوه" باللغة العبرية مشتقة من الهوية وقد تعني الكائن الموجود لنفسه والمعرف لذاته والمتعالي عن كل الكائنات ، وهو اسم علم اليوم .

أما حول تاريخ بني إسرائيل من وراء موسى فقد أسخط سلوك الشعب اليهودي الأنبياء مرارا ويبدو أن موسى هو أول قائل وينص التوراة : "وقليلا ما سيرجموني . ." وذلك حول إمعان قومه في العصيان وانعدام طاعتهم له ، فهم بذلك كانت تلك بعضا من طباعهم ومحدودية عقولهم وانغلاق آفاقهم في الأخذ بالآتي من رسالتهم وربما في اختلاق الدعاوي الضيقة والتي قاموا بتجويدها فيما بعد ، وذلك أفرادا أو دعاة وجماعات . ويقول الكاتب اليهودي دانييل صابوني في كتابه : "الأديان التوحيدية" الصادر عن دار Seuil بباريس لعام 1997 وفي الصفحة 138 : "إن الديانات التوحيدية الثلاث فيبدو أنه من المرعب اعتقاد اليهود (فقط) أنهم دوما على صواب وبذلك فهم يجعلون من أي خلاف معهم مطية للاعتقاد بصواب آرائهم وهذا مايخنقهم (انزواء)" . . . وإنما يرجع ذلك الحس في بني إسرائيل إلى القناعة بأن اليهود هم أصحاب أول الرسائل التوحيدية السماوية مما يدفعهم للإقتناع بوجوب إنقاذ الله لهم دوما وعدم تركهم في الضلال . بل هو معهم دائما وهو أصل تعاليمهم .

وحسب دانييل صابوني : «فأما أصل إهمال اليهود وتهاونهم في تطبيق الشرائع فربما يرجع أصله إلى ما بعد فترة تحطيم موسى للألواح مباشرة بعد تلقيها من الله وربما كان هذا أصل غياب تطبيق القوانين المنظمة للجماعة وشرائعها وطقوسها وتهاونهم بها . . وهو أصل الوقوع في ضلالة عبادة الأوثان والعجل الذهبي خاصة بعد عملية الاختلاطات الواسعة مع الأقوام والممالك المجاورة فيما بعد موسى ، وذكرهم وارد حول ذلك بالتوراة نفسها .

"أما حول أرض الميعاد فاليهود يجزمون أنها لاترتبط فقط بمقامهم العابر يوما فيها بل يعتقدون أنها أرض وعدوا بها وهي مرتبطة بهم وبعدى حب الله لهم وارتباطهم به ارتباطا بكلامه اللامحدود أو تعاليه الذي لايدانيه عقل . . ." ولعل نشيد الأناشيد الذي ينسب إلى سليمان يفسره البعض على أنه قصيدة عشق ومناجاة بين إسرائيل الأرض والرب الإله" . . . وذلك على مايذهبون إليه في تعليقاتهم وحواشيهم .

ويبدو أن ارتباط اليهود بعهدهم مع الله ويكونه مشروطا بالأرض الموعودة هو المرادف

http://kotob.has.it

لكلام الله لهم ووعده وذلك وفق اشتقاقات لغوية وتفسيرات تجعل من التفضيل وعدا مقطوعا وأبديا بالأرض الموعودة ، والتي يستجيب المقام فيها وفق تقلبات بين مد وجزر وذلك متعلق أساسا بالتمسك بالعهد وتطبيق الميثاق ، ولكن الأرض التي تدر لبنا وعسلا هي المقام الأبدي مهما كانت الظروف وذلك لبني إسرائيل سواء أطال الزمان أم قصر . . وهي الأرض الأبدية باعتقادهم .

وبذلك نلاحظ أن بني إسرائيل هم قوم منغلقين على أنفسهم ومتقوقعين ولايؤمنون بالمساكنة أو بالمشاركة كما أنهم يعتقدون في كونهم هم أصل كل شيء وهو الأمر الذي نلاحظه بوضوح في تلاعبهم بكتبهم المقدسة حيث تعود التوراة بالأنساب والأقوام والأماكن والممالك وحتى أصل الإنسانية برمتها لتجعلها محصورة فيهم وهم دوما أهل الأثرة والتفضيل ، حتى أن بعض مقاطع التوراة قد يفهم منها أن أصل الإنسانية جمعاء هي في أنساب بني إسرائيل!!! ولمن شاء مراجعة شجرة الأنساب في سفر التكوين ومنذ آدم ، فهم مبدأ التاريخ وفق تعاليم التميز والتعالي وتبرئتهم من كل ذنب عبر امتحاناتهم المتكررة وما يبذلونه على مذبح التضحيات . . وكأنه ليس في الكون بأسره شعب يعيش على ظهر الأرض إلا قوم إسرائيل!!! هذا رغم اعترافهم وفي كتبهم المقدسة بضلالاتهم وعدم اتباعهم لتعاليم الله وخيانتهم لميثاقه وابتعادهم عن عهده . . ولكنهم جميعا مقتنعون بأن الله منجيهم يوما لأنهم شعبه المختار والموعود بالأرض المقدسة والأثير على الله . وما هذه العلاقة المتناقضة إلا مثال للرابطة التي تجمع بين الخالق والمخلوق ورباطها الوثيق الذي لاينفصل مطلقا وهذا هو معتقدهم بأفواههم وأقلامهم . وهو رأي صابوني .

أما عملية العقاب الذي ينزل عليهم فهم يعرفون ذلك ويعلمون خصالهم الحقيقية ولكنهم يعتقدون أن منطق العقاب هو مبدأ الاختيار وأحد طرق الخلاص بالنصرة عند التنقية والرجوع إلى الله سبحانه ، مفهومهم أبدي ووعد الله لهم لاينفصم وضلالهم نهايته الفرج وبذلك فكل الأمور تصب لتجديد العهد والرباط ولو توالت الأجيال مع تنقيتهم من كل ذنب . . إذ أنهم أصل كل الرسالات والوحيدون الذين استحقوا مبدأ الاختيار والاصطفاء من الله تعالى . . وهو مايعرضه صابوني .

ويذهب اليهود أبعد من ذلك ليجسدوا خلافا إلهيا ويلبسونه لباس الأسطورة لينسجوا ذلك تاريخا على هواهم لايقبلون أن يشاطرهم أحدا إياه ، فهم لايقبلون أي جديد ويعادون كل إصلاح ولايستطيعون الانفتاح أو اللحاق بالتعاليم المجاورة لهم ، فالانغلاق هو السمة المميزة لهم وهذا معروف - حتى لليهود أنفسهم ، وما ذلك إلا للتقوقع والجمود - وماينسج من تاريخ إسرائيل المقدس إلا إضافات لاحقة في النصوص وتحويرات . . يناقضها العقل وأبسط الأبحاث المنطقية والعلمية والتاريخية والفيلولوجية وعلم الدراسات المقارن وغيرها ، فالله لايمكن أن يعلمنا الخطأ .

" . . . ولعل خصال اليهود المذمومة في حب المال المفرط مع عشق الرب لهم - على

http://kotob.has.it

مايعتقدون" هو سبب المشيئة الساخطة لله عليهم دوما ولكنه وفي اعتقادهم أمر قد انتهي منه منذ عهود ، لأن الله سبق وقد أعطى وعده وكلامه واصطفائه ، فما هذا بتناقض بل هو أحد أنواع التقريب وفق مايريد الحبيب . . وهو مذهبهم هم ، وتأويلاتهم . . ." .

ونعود إلى انغلاق بني إسرائيل عن الحضارات التي جاورتهم يوما فهم لم يسمحوا بمراجعة مدوناتهم قصد الإصلاح وانغلقوا على أنفسهم وكذبوا مرارا ولم يقووا على التعايش مع الجديد بل حاربوه ، وخير مثالين عيسى المسيح ومحمد رسول الإسلام ولعل أشد فئة تعصبا هم أحبارهم وربابنتهم وكهانهم وذلك لعلمهم ببواطن الشريعة وخباياها على مايروجون . . فهذه الفئة من المتعصبين كانت دوما على هامش الأحداث ولم تشارك في أية عملية تبدل تاريخي حاسم .

وقد تحمل فكرة الصبر والمعاناة إلى حين الالتزام بالشريعة انتظارا لتحقيق وعد الله معنى فلسفيا ولاهوتيا أصبح يميز ويطبع الفكر اليهودي وحتى مؤلفاته الأكثر قدسية والتي تتمحور حول فكرة الوعد ، ولكن في إطار الاختيار والاصطفاء والأثرة والتفضيل والتعالي دون غيرهم . ولعل نوعا من السخط يميز سيرتهم :

وذلك واضح من الكتابات اليهودية التوراتية أو التلمودية وعملية الاتهام الواضحة التي يشير فيها النبي أرميا إلى الله على حد قول التوراة في عدم استجابة الإله "يهوه" لبني إسرائيل رغم تطبيقهم لوصايا موسى!! ويرى اليهود أن الشريعة تتلاشى أمام لحظات الرضا الربانية لتعود للظهور كحيز ملزم أيام الشدائد والأزمات . . مطلبة لرضا الله وما ابتلاء الله لإسرائيل إلا لتقريبها منه ومن مفرط حبه بها!! "ويرى اليهود أن الكتاب الكامل والمنزه عن الخطأ في اللوح المحفوظ عند الله هو أصل لاوجود له ، فكل شيء نسبي ولاوجود للشيء الكامل أو لإنسان قدوة للتمثل به وذلك منذ البدء وحتى النهاية . . . رغم تكرار النبوات في بني إسرائيل" وما تشويه صور الأنبياء في القصص التوراتي إلا بسبب ذلك .

"وان اليهودية تعتقد رغم كل ذلك أنها ديانة الكائن المطلق الذي لاوقت لانتهاء رسالاته . . . ولكنها تلك التي لن تتجدد أبدا باستثناء الدين اليهودي ومجيء المنقذ أو المشيخا مخلصه في آخر الزمان لإحقاق انتصار الشعب اليهودي الكامل" . . . ويختم صابوني كتابه بالتصريح بأن تحقيق اصطفاء الله لبني إسرائيل ووعدهم بالأرض المقدسة قد أصبح أمرا مغروسا في ضمير كل معتنق لهذا الدين وأمرا تتناقله الأجيال بتحقيق عودتهم لأرضهم "المقدسة" - حبيبة الرب- كشعب مصطفى .

http://kotob.has.it

ملحق 3: مختصرات وشذرات في بعض فصول كتاب: "رسالة في اللاهوت والسياسة" لباروخ سبينوزا - ط 4 - 1997ت دار الطليعة/ بيروت

من الفصل الثامن = «صفحات 266 - 269 - 274 - 275»

وفيه تتم البرهنة على أن الأسفار الخمسة وأسفار يشوع والقضاة وراعوث وصمويل والملوك ليست صحيحة ، وكان لهذه الأسفار مؤلفون كثيرون ، كما أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة بل أن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل ، وأن موسى كتب سفرا مختلفا والقرائن هي =

1- أن موسى لم يكتب مقدمة التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن .

2- نقش سفر موسى كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد (انظر التثنية 27 ، يشوع 8 : 27) (1) يتكون من اثنى عشر حجرا حسب عدد الأحبار ، وينتج عن ذلك أن سفر موسى كان في حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة .

"ولم يكن يقم بعد في بني إسرائيل نبي كموسى" : ورد هذا القول في سفر التثنية وهو منسوب لموسى . . . وإن دل على شيء فإنما يدل على توالي الأنبياء وتواتر النبوات بعد موسى بفترة طويلة وهو ما عناه المؤلف بأن أحدا من الأنبياء لم يبلغ في قدره درجة موسى .

وهو كلام لابد مكتوب قرون عدة بعد موسى «أول نبي (يهودي) مع استمرارتبليغ الأنبياء الكبار أو الصغار فيمن جاء من بعده وبلغ الدعوة للشعب اليهودي» .

ولايتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما يعطي عنه شهادات عديدة مثل : "تحدث الله مع موسى وجها لوجه ، وكان موسى رجلا حليما جدا أكثر من جميع الناس . لقد مات موسى خادم الله ، ولم يقم من بعد نبي في اسرائيل كموسى . ."

وعلى العكس يتحدث موسى ويقص أفعاله بضمير المتكلم في التثنية فيقول : "كلمني الرب" (التثنية 2 :1) إلا في آخر السفر حيث يستمر المؤرخ بعد أن نقل أقوال موسى ويحكي في روايته كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة (التي شرحها) كتابة ثم أعطاهم تحذيرا أخيرا ، وبعد ذلك انتهت حياته . ومجموع نصوص القصة كلها يدعو إلى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار بل كتبها شخص آخر .

"ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجها لوجه" (التثنية ، 34 : 1) هذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلي بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة ، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة ، ويقول عن القبر : "ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا . . ." (التثنية ، 6 : 34)

يجب أن نذكر أيضا أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء التي عرفت بها في زمن موسى ولما لم يكن لدينا أي سفر يحتوي في الوقت نفسه على عهد موسى وعهد يشوع ، فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فقد ، وإلا فلنهذ مع يوناتان الشارح الكلداني الذي يرى العكس فماذا نفعل مع أولئك الذين لايرون إلا مايوافق هواهم؟

http://kotob.has.it

وعندما يروي لنا في النص السابق ذكره من التثنية ، إن موسى كتب سفر التوراة ، يضيف المؤرخ أن موسى أعطاه الأحبار ثم طلب إليهم قراءته أمام الشعب في أوقات معلومة ، وهذا يدل على أن السفر كان أقل حجما بكثير من الأسفار الخمسة ، إذ كان من الممكن قراءته كله في مجمع عام بحيث يفهمه الجميع . ولاننسى أنه ، من بين جميع الأسفار التي كتبها موسى ، لم يأمر إلا بالمحافظة دينيا على سفر واحد وبالحرص على الإبقاء عليه ، وهو سفر العهد الثاني والنشيد (الذي كتبه بعد ذلك كي يعلمه لجميع أفراد الشعب) فبالنسبة إلى العهد الأول ، كان الحاضرون وحدهم هم الملتزمين به ، أما العهد الثاني فكان ملزما للخلف أيضا (أنظر التثنية ، 29 : 14-15) لذلك أمر بالمحافظة دينيا على سفر العهد الثاني للأجيال القادمة لا على سفري التوراة الصغير والنشيد . وأخيرا ، لما كانت توجد نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة لايمكن أن يكون موسى كاتبها ، فإن أحدا لايستطيع أن يؤكد ، عن حق ، أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة ، بل على العكس ، يكذب العقل هذه النسبة وعلينا الآن أن نفحص الأسفار الأخرى .

هذا وأن سفر يشوع ليس من وضع يشوع نفسه ، بل أن شخصا آخر هو الذي شهد ليشوع بأن شهرته قد طبقت آفاق الأرض (انظر الآية الأخيرة من الأصحاح 8 ، والأصحاح 9 : 15) وبأنه عندما تقدم به السن دعا الجميع إلى المجمع ثم قضى نحبه وفضلا عن ذلك فإن الرواية تمتد إلى الوقائع التي حدثت بعد موته : إي أنه يذكر على وجه التحديد أنه بعد موته كان الإسرائيليون يعظمون الله ماعاش المسنون الذين عرفوا يشوع ويذكر الاصحاح 16 الآية 10 أنهم أي (افرائيم ومنسي) لم يطردوا الكنعانيين المقيمين بجازر (ويضيف) : "فأقام الكنعانيون بين افرائيم إلى هذا اليوم وكانوا عبيدا يؤدون الجزية ، "وتوجد هذه الرواية نفسها في سفر القضاة (الاصحاح الأول) وتدل هذه الطريقة في الحديث باستعمال :" إلى يومنا هذا على أن من يكتب ذلك يتحدث عن شيء قديم للغاية .

وهناك أيضا حادثة أخرى في الأصحاح 22 ، الآية 10 ، يروي فيها أن سبطين ونصفا أقاموا مذبحا وراء الأردن ، وهي حادثة يبدو أنها وقعت بعد موت يشوع ، خاصة وأن يشوع لم يذكر بتاتا في القصة كلها : إذ كان الشعب وحده هو الذي يتشاور في أمور الحرب ويرسل المندوبين وينتظر ردودهم ثم يصدر موافقته آخر الأمر . وأخيرا ، يظهر بوضوح من الأصحاح 10 ، الآية 14 أن هذا السفر قد كتب بعد يشوع بقرون عديدة أما سفر القضاة فلا أظن أن شخصا سليم العقل يعتقد أن القضاة أنفسهم قد كتبوه ، لأن نهاية القصة كلها في الأصحاح 21 تبين بوضوح أن مؤرخا واحدا هو الذي كتبه كله . ومن جهة أخرى ، فلما كان مؤلفه يكرر دائما أنه لم يكن هناك في عصره أي ملك لإسرائيل ، فلا شك أنه لم يكتب إلا بعد أن استولى الملوك على السلطة . أما أسفار صموئيل فليس هناك مايدعو إلى التوقف عندها طويلا لأن القصة تستمر بعد وفاته بوقت طويل ، أن هذا السفر لابد أنه قد

http://kotob.has.it

كتب بعد صموئيل بقرون عديدة .

وحول الكاتب الحقيقي للأسفار وفي وقت لاحق ، يقول سبينوزا : "على أن سفر التثنية لايحتوي على شريعة موسى فحسب ، أو على أكبر جزء منها على أقل تقدير ، بل يتضمن أيضا شروحا كثيرة أضيفت إليه ، لذلك ، أفترض أن سفر التثنية هذا هو سفر توراة الله الذي كتبه عزرا والذي يحتوي على عرض الشريعة وشرحها الذي قرأه هؤلاء الذين يتحدث عنهم نحميا . وهناك شروحا كثيرة قد أدخلت في ثنايا سفر التثنية من يد عزرا ربما .

ويجب أن نذكر أن الخلف لم يحفظ هذه الأسفار بعناية بحيث لاتتسرب إليها أية أخطاء ، فقد لحظ قدماء النساخ كثيرا من القراءات المشكوك فيها ، بالإضافة إلى بعض النصوص المبتورة ، دون أن يكونوا مع ذلك قد تنبهوا إليها كلها .

من الفصل العاشر «ص : 307+309+310+320+321»

فيما يتعلق بسفري الأخبار فقد كتبا بعد عزرا بمدة طويلة ، وربما بعد أن أعاد يهوداس المكابي بناء المعبد ، إذ يخبرنا الراوي في الأصحاح 9 من السفر الأول عن الأسر التي كانت تسكن أورشليم في الأصل (أي في زمان عزرا) وبعد ذلك يذكر في الآية 17 أسماء حراس الباب ، الذين ذكر منهم اثنان في نحميا أيضا (19 :11) «ومعروف أن عزرا تواجد في فترة ما حول المنفى » .

وهذا يدل على أن هذه الأسفار قد كتبت بعد اعادة بناء المعبد بمدة طويلة لأني أعجب كيف أدخلت هذه الأسفار في عداد الكتب المقدسة على حين أخرج سفر الحكمة من الكتب المقننة ، وكذلك سفر طوبي وبعض الأسفار الأخرى التي يقال أنها منتحلة .

وقد جمعت المزامير بدورها وقسمت إلى خمسة أسفار بعد اعادة بناء المعبد ، ويشهد فيلون اليهودي بأن المزمور 88 قد كتب ومازال الملك يواشيم في السجن ببابل وكتب المزمور 89 بعد إطلاق سراحه ، وما كان فيلون ليقول ذلك أبدا لو لم تكن هذه الفكرة متواترة في عصره أو ما لم يكن قد تلقاها من الثقات . وأعتقد أن أمثال سليمان قد جمعت في نفس العصر أو على الأقل في زمان الملك يوشيا وذلك لأنه جاء في الأصحاح 24 ، الآية الأخيرة ، مايلي : "هذه هي أمثال سليمان التي نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا" (الأمثال ، 1 :25) ، ونشير إلى تبجح الأحبار الذين أرادوا اخراج السفر ، ومعه سفر الجامعة ، من مجموع الكتب المقننة والاحتفاظ سرا بأسفار أخرى ليست لدينا . ولكن لا أجد مع ذلك مفرا من التساؤل عما إذا كانوا نقلوها بكل الأمانة والنزاهة إلى أسفار الأنبياء ، وعند فحصها نجد أن النبوات التي جمعت فيها قد أخذت من كتب أخرى ورتبت ترتيبا معينا لم يكن دائما هو الترتيب الذي سار عليه الأنبياء في أقوالهم أو في كتاباتهم كذلك فإن هذه الأسفار لاتتضمن جميع النبوات بل بعض النبوات التي أمكن العثور عليها هنا وهناك ، وإذن فليست هذه الأسفار إلا مجرد شذرات من الأنبياء ، فقد بدأ أشعيا نبوته في

http://kotob.has.it

حكم عزيا ، كما يشهد الناسخ في الآية الأولى ، ولكنه لم يقتصر ، في ذلك العهد ، على التنبؤ ، بل كتب أيضا جميع أفعال هذا الملك (أنظر الأخبار الثاني ، 26 :22) ولكنا لانملك كتابه هذا .

وحول تاريخ تدوين الأسفار فقد كان نوزش هو أول من سمح لليهود بإعادة بناء المعبد ، فقد مضت منذ هذه اللحظة حتى داريوس آخر ملوك الفرس الأربعة عشر أكثر من مائتين وثلاثين سنة ، لذلك نعتقد بلا تردد أن هذه الأسفار قد دونت بعد أن أعاد يهوداس المكابي الشعائر إلى المعبد من جديد بمدة طويلة ، وأنها دونت لأنه انتشرت في ذلك الحين كتب مزيفه لدانيال وعزرا واستير كتبها قوم مغرضين ، ينتسمون ولاشك إلى شيعة الصدوقيين ، والواقع أن الفريسيين لم يقبلوا مطلقا هذه الأسفار ، بل في هذه الأسفار أكثر من غيرها ، بعضا من التعليقات الهامشية وكذلك بعض الفقرات لايمكن تفسيرها إلا بغلط في النسخ .

من الفصل الثاني عشر «ص : 337+340+343» يقول سبينوزا :

"وإن من يعتقدون أن التوراة على ماهي عليه الآن رسالة من الله بعث بها من السماء إلى البشر ، لن يفوتهم أن يصرخوا قائلين بأني ارتكبت الخطيئة في حق الروح القدس ، إذ لقد قلت فعلا : إن كلام الله مزيف ومنقوص ومحرف ، وأننا لانملك منه إلا شذرات ، وأن الميثاق الذي يشهد بعقد الله عهدا مع اليهود قد فقد . ومع ذلك فأني لا أشك في أنهم لو وافقوا على فحص المسألة ، لكفوا عن الاحتجاج ، وهذا مايقوله أرميا عن الشريعة نفسها عندما كان يسب كفار زمانه (8 :8)" : كيف تقولون : نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟ أن قلم الكتبة الكاذب قد حولها إلى الكذب وهذا يعني أنه مع أن الكتاب بين أيديكم فأنكم تكذبون إذا قلتم أنكم تملكون شريعة الله بعد أن جعلتموها كاذبة كل الكذب ولو كان لدينا عددا أقل من أسفار العهد القديم أو الجديد ، لما أدى ذلك إلى حرماننا من شيء من كلام الله (الذي ينبغي أن يكون معناه ، كما قلنا ، الدين الصحيح) ، ولايمكن أن يؤدي ضياع كتب أخرى كثيرة في غاية الأهمية إلى حرماننا من أي شيء فيه مثل سفر الشريعة الذي كان محفوظا في المعبد على نحو ديني كميثاق للعهد وكذلك كتب الحروب والأخبار وعدد كبير آخر أخذت منه الأسفار التي لدينا في العهد القديم ثم جمع ذلك كله فيما بعد .

ولم تدون أسفار العهدين القديم والجديد بتفويض خاص في عصر واحد ، يسري في كل الأزمان ، بل جاء تدوينها مصادفة ، وقصد بها أناس معنيون ، ودونت بحيث تلائم مقتضيات العصر والتكوين الشخصي لهؤلاء الناس ، وهذا ما تدل عليه رسالات الأنبياء (الذين أرسلوا نذيرا لكفار عصرهم) .

وقد تم اختيار أسفار العهد القديم من بين أسفار كثيرة أخرى وتم جمعها وأقرها مجلس الفريسيين وكذلك قبلت أسفار العهد الجديد ضمن المجموعة المقننة بقرار بعض المجامع

http://kotob.has.it

الكنسية التي رفضت في الوقت نفسه أسفارا أخرى كثيرة بوصفها منعدمة القيمة ، مع أن كثيرا من الناس يؤمنون بقدسيتها .

ويختم سبينوزا قائلا في خلاصة حول التوراة : "إن الكتاب لايحتوي إلا على تعاليم يسيرة للغاية ولايحث إلا على الطاعة ، وتقتصر عقيدته في الطبيعة الإلهية على مايمكن اتخاذه قاعدة عملية في حياة الناس اليومية" .

((ص 347) مرجع مذكور)-

http://kotob.has.it

ملحق 4 : زالمان شازار وتاريخ نقد العهد القديم
(من أقدم العصور حتى العصر الحديث)

مترجم عن العبرية بيد أحمد هويدي (الطبعة الأولى)
المجلس الأعلى للثقافة - مصر/ 2000

في ذكره للمسيرة النقدية للعهد القديم يذكر شازار أنه لقد أدرك باحثو العهد القديم من التلموديين أثر هذا النقد ، وأشاروا إلى أنه : "يوجد أحيانا نصان متناقضان فيأتي النص الثالث ويحسم هذا التناقض بينهما" وعلى مايبدو لم تكن آراء الأنبياء متفقة فيما يتعلق بأساليب النقد وكيفية فهم التوراة المعترف بها عندهم .

وإذا تنبهنا بإصغاء لأقوال النصوص ربما يتسلل إلينا صدى انقسام قديم بين مؤلفي العهد القديم المتأخرين حول طرق فهم الكتابات المقدسة السابقة عليهم .

وبعد أن انتهى تأليف العهد القديم وحان وقت جمعه وتدوينه لم يستطع مثبتو العهد القديم إتمام عملهم حتى يضعوا أسس هذا البناء وإخضاعه لوجهة نظر روحية واحدة . ويتمثل هذا الإدراك الواضح والعميق للذين أثبتوا العهد القديم في وحدة الألوهية السائدة في الأسفار الأربعة والعشرين . ولذلك كان من الضروري القيام بعمل روحي كبير لتثبيت النصوص في موضعها ، وإبراز وحدتها وشموليتها إلى حد التعتيم على الأنماط الخاصة لكل واحد منها .

وإن الصراعات التي واجهها مثبتو العهد القديم مع المادة المقدسة السابقة عليهم مذكورة فحسب رواية التلمود تعرضت أسفار حزقيال ونشيد الأناشيد والجامعة لخطر الإخفاء ، وها هي الأسفار الخفية ذاتها تمثل شواهد على حدوث ذلك .

وبعد أن تم اختيار الأسفار الأربعة والعشرين من بين المؤلفات الأدبية التي كانت قبلهم وفي عصرهم أعلنوا قدسيتها وتم الاعتراف بها عند اليهود ووجدت في أماكن مختلفة نسخ متعددة من الأسفار لم تكن متطابقة في كل قواعدها ، كما لم يتفق الجميع على رأى واحد حول أفضل النسخ ، وقد حفظ لنا الأدب التلمودي أثر هذه الاختلافات على القراءة الصحيحة للنص ، فلم يتوقف في عصرهم تعديل النص وتطويره لتوضيح أقدم النسخ وأكثرها صوابا - طبقا لرأيهم - من بين النسخ السائدة عند الجمهور ، والتدقيق في النص المعترف به ، وهناك العديد من الشواهد الموثوق بها ، التي تظهر إلى أي مدى رأى الكتبة أن من واجبهم فحص النص المعترف به ، ومن هذه الشواهد : التعديلات العديدة التي أدخلوها في هامش الصفحة بمثابة "المقروء وليس مكتوبا" و"المكتوب وليس مقروءا" ، وكذلك إضافة كلمات وأيضا حذف كلمات وهناك أيضا العديد من الحروف والكلمات التي وضعوا عليها نقاطا لتكون علامة على شكهم فيما إذا كانت القراءة المعترف بها

http://kotob.has.it

صحيحة .

كل ذلك بالإضافة إلى تعديلاتهم الثمانية عشرة التي كانوا من خلالها يغيرون الكلمة غير الملائمة لوجهة نظرهم عن قيمة وأهمية السفر بكلمة أخرى أفضل في رأيهم .

فالرأي المسلم به هو أن موسى ألف الأسفار الخمسة ، وأن داود كتب سفر المزامير كاملا ، وأن سليمان كتب نشيد الأناشيد والأمثال والجامعة ، وأن بني إسرائيل تلقوا التوراة كلها في الصحراء ، وما إلى ذلك ، وعلى الرغم من أن هذا الرأي لم يرد في التلمود بالتفصيل كقاعدة للبحث ، إلا أنه ساد وانتشر على كل الآراء والقواعد السائدة ، وأورثه الأدب التلمودي للأجيال التالية . وبالرغم من ذلك فقد حفظ الأدب التلمودي هذا الرأي ، وبجانبه - أيضا - ملاحظات وفرضيات وروايات وأحداث أخرى تعارض رأى الماسورا المسلم به من النقيض إلى النقيض . كيف تفسر التناقضات العديدة الموجودة بين الأسفار وفي داخلها ، ومن ألف كل سفر من الأسفار؟ ومتى؟ وأين؟ وماهي التغييرات التي طرأت عليها حتى أخذت صورتها الحالية . هذه القضايا كانت الماسورا التلمودية عادة ماتتغاضى عنها بكياسة ، ولكن اهتم بها العديد من باحثي الكتابات المقدسة من بين علماء التلمود ، فهؤلاء كانوا يتعمقون في البحث عن الرأي النهائي لكل فقرة ، فكانوا يفحصون ويبحثون ويتباحثون ، وفي بعض الأحيان كانوا يتوصلون إلى العديد من التناقضات التي لم تثر غضب باحثي العهد القديم في كل العصور .

وإن الارتقاء بالعهد القديم إلى درجة القداسة المطلقة المتخطية للزمن والعصور التاريخية شجع لإبطال مراجعة الأجيال التي كتب في عصرها أي سفر من الأسفار . وهذه المعالجة التقويمية التي عملت بعناء كبير وقدرة فائقة هي التي أعاقت عملية البحث للوصول إلى الصورة الأصلية لأسفار العهد القديم ، فقد طمست الماسورا الرسمية الماسورا القديمة .

وإن استبعاد قسم بلعام عن بقية أقسام التوراة يظهر أسلوب واختلاف بحث البرايتا وهناك من الباحثين من لم يكتف بأقوال البرايتا ، بل تعمق في البحث في مضمون كل سفر وحجم نتاج كل نبي داخل الأسفار نفسها ، ولم يخشوا إخراج نصوص من عند هذا النبي ونسبتها إلى نبي آخر . فعدلوا في البرايتا نفسها :

واختلفت الآراء بشأن مؤلف سفر ملاخي فهناك من يقول إنه مردخاي ، وهناك من يقول إنه عزرا . وقد أدرك العديد من باحثي العهد القديم التلموديين وأعربوا أكثر من مرة أن سفر المزامير مركب من مزامير مختلفة تعود إلى فترات متعددة ، وأنه لايمكن أن يكون داود قائلها .

وبالصور اللغوية للأسفار ، فقد توصلوا إلى معرفة القرابة الأدبية بين سفر التثنية وسفر يشوع .

وعلاوة على ذلك فقد كان منهم من أدرك بأنه دمجت في مادة التوراة بعض الأساطير

http://kotob.has.it

والأناشيد القديمة جدا ، والتي يسبق زمنها زمن أي سفر من أسفار الكتابات المقدسة ، وأنها كانت منتشرة بين بني إسرائيل قبل ذلك .

ووجد النقد العلمي تناقضا بين حدثي الخلق الأول والثاني المذكورين في سفر التكوين وتمت نسبتهما إلى مصدرين مختلفين .

وعلاوة على ذلك أدركوا التكرار والتناقض السائد بين مصدر سفر التثنية ومصادر التوراة الأخرى ، وقد توصلت مدرسة فلهاوزن إلى هذه الاختلافات الموجودة في قوانين التوراة المرتبطة بقواعد العبادة ، والتي على أساسها قسمت التوراة إلى مصادر مختلفة ، أي أن كل مصادر التوراة لم تذكر اسم الرب بدرجة متشابهة ، ومن خلال فحص ابن عزاي وجد أن "كل القرابين المذكورة في التوراة لم تذكر الله أو إلهك ، ولا شداي ولا رب الجيوش بل تذكر اسم يهوه" .

وإن التناقضات العديدة التي بين سفري أخبار الأيام وأسفار الأنبياء الأوائل لم تكن مجهولة في رؤية مفسري العهد القديم التلموديين .

بقيت داخل الكتابات المقدسة روايات يجب أن تعالج بحذر ، لأنها على أساس المنطق الصحيح من المستحيل أن تكون صريحة في كل تفاصيلها . وهناك من اعتبر نشيد الأناشيد عملا دنيويا ، وفيما يتعلق بمجلة أستير هناك من لاحظ أن مضمون هذه المجلة ليس مقدسا في أصله .

وعلاوة على ذلك فقد رفضوا أيضا القيمة التاريخية لمجلة روث وفسروها بأسلوب حرفي وقد حددوا قواعد عامة للتخلص من أي ارتباك للتناقض بين العديد من روايات العهد القديم وتعبيراتها وبين الفهم الصحيح أو الملاحظات التاريخية ، ومن هذه القواعد :

- أن أحداث التوراة لم تعط مرتبة
- أنه لايوجد هناك متقدم ومتأخر في التوراة ، و "أن التوراة تحدثت بلغة البشر"
- وذهب آخرون أبعد من ذلك ، وقالوا : "تحدثت التوراة بلغة المستقبل" .

ولقد بدأ العمل في وضع التشكيل في النصف الثاني من القرن الثامن واستمر لمدة مائتي عام .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع وجد موشي هعخبري ، مؤسس طائفة دينية فريدة في فلسطين ، ثغرات في ماسورا أبناء طبرية ، فبرز لمحاربة الرأي المألوف بشأن المقروء والمكتوب ، وليس هذا فحسب بل سمح لنفسه بالتعديل في نص العهد القديم ، وتغيير كلمة بأخرى ، وإضافة عبارات طبقا لرأيه . وقد رأى هعخبري أن النسخة المعترف بها ليست بالغة حد الكمال كما ينبغي أن تكون ، ومن المحتمل أن بعض النصوص قد شوهت أو بترت بمرور الزمن . لذلك فإن الحاجة للتعديل حقيقة لا مفر منها . وتسرب الشك إليه بأنه في فترة متأخرة كان هناك من أدخلوا داخل التوراة أقوالا مختلفة غريبة عن روح التوراة فزيفوها . وأدرك أن سفري أخبار الأيام تكرار للأحداث المعروفة بالفعل في بقية أسفار

http://kotob.has.it

العهد القديم .

وتوصل أيضا إلى وجود تناقض واضح بين بعض العبارات في نفس السفر . وعلاوة على ذلك اكتشف العديد من الارتباك في التأريخ والتكرار والتناقض في أسفار التوراة كما في الرواية الخاصة بالطوفان وفي قصة الجواسيس وغيرهما .

كما تسرد التوراة تسع مرات عن الشعوب التي يطردها يهوه من أمام إسرائيل في أرض كنعان وهو الذي أقسم "أن يعطيه عشرة أمم إرثا" وفي خمسة مواضع قال ست أمم ، وفي موضع قال خمس أمم ، وفي موضع آخر ثلاث ، وأضاف موسى سبع أمم . ولم تكن أقوال الروايات هي التي تدحض بعضها البعض فقط ، بل أيضا نصوص الأحكام والقانون . ونبه إلى أن كل القوانين المذكورة في التوراة لم تكن معروفة في عصر القضاة والملوك .

وكما يبدو لم يكتف هؤلاء المفسرون بطرح الأسئلة فحسب ، بل تشجعوا إلى حد ما حتى يتمكنوا من فهم سبب "الفجوات" التي وجدوها في العهد القديم وعلاجها .

ومع ذلك فإن ملاحظات الربي يونا بن جناح النقدية واسعة وخاصة فيما يتعلق بالألفاظ التي لايفسر معناها تفسيرا حرفيا ، أو حسب رأي الربى يونا "يتحدثون كلاما ويقصدون غيره" .ومن خلال الأربعة عشرة قاعدة التي وضعها ، والتي يمكن على أساسها إيجاد المعنى الحقيقي للفظ المكتوب ، ظهر له حوالي مائتي تعديل داخل نص العهد القديم . كما قام بتعديل العديد من الأسماء والأعداد التي تبدلت بأخرى .

وعلاوة على ذلك كشف عن حروف وكلمات كثيرة نسخت من مكانها الصحيح وتحركت إلى نصوص أخرى ، وكذلك أنصاف أسطر لم توجد في مكانها الصحيح ، فقد أحصى العديد من الكلمات التي تبدلت بأخرى مشابهة لها في الصوت . وأن المتأخرين يتحدثون بشأن النص القديم الذي حرف بمرور الزمن من قبل الكتبة والنساخ العديدين ، أما هو فيرى أن ذلك نتاج تعديلات في صورة الأسلوب العبري في العصر القديم . ولايوجد "سابق ومتأخر في التوراة" .

استمر نص "العهد القديم" لسنوات عديدة معلنا ومسلما به وغير مكتوب مثل نشيد الأناشيد الذي استنسخه رجال حزقيا . إلى أن حان الوقت الذي جمعه فيه العلماء واهتموا به ونقوه وحددوه ووضعوا له الأسس . ولاتعكس كل روايات العهد القديم حقائق تاريخية حقيقية . فهناك من يرى أن العديد منها مؤلفات أدبية فقط . .

وموسى عدل بأسلوبه ولغته هذه الإصحاحات أو اللفائف التي وصلت إلينا ، فمرة ثانية سنحت الفرصة للاعتقاد أنه حدث مثل هذا وتم التعديل بعد ذلك للإصحاحات التي كتبها .

الربى أبراهام بن عزرا يرى أن سفر التوراة يشمل في ثناياه إضافات متأخرة كتبت بعد موت موسى بزمن كبير وبأنه تدخلت أيد في التوراة ، وأحصى عددا محددا من الإضافات المتأخرة ، التي لايمكن أن تكون قد كتبت في عصر موسى . فلم يتجرأ أبراهام بن عزرا أن

http://kotob.has.it

ينشر علانية رأيه بوجود أجزاء متأخرة في ثنايا التوراة وأنه بالفعل أقحمت بعد موت موسى بفترة طويلة إضافات متأخرة داخل أقوال التوراة .

للربى أبراهام بن عزرا رأي أن موسى ألف جوهر التوراة . كما أنه ألف الإصحاحات التي تبحث العصور السابقة له ، وكما يبدو فقد ألفها على أساس لفائف قديمة غير أنه أضاف عليها نصوصا من عنده ليزيد توضيحه لمادة الرواية .

ورأى أن الفقرة الفلانية ترتبط مع الفقرة الفلانية ، ولو كانت أقسام كاملة تفصل بينهما .

كما أن التوراة تشمل في ثناياها إضافات متأخرة مختلفة وقد برز الرأي لأول مرة على يد الربى يستحاق بن يشيش ، لكنه اختفى من عند العامة .

إن عزرا ورجال الكنيسة الكبرى جمعوا سويا الأسفار الأربعة وعشرين المتفرقة الموجودة لدينا وقسموها لثلاث مجموعات مميزة ، وقاموا بترتيب أسفار الأنبياء والمتابات .

الربى منشى بن يسرئيل أحصى أربع مائة وسبعين تناقضا في الكتابات المقدسة .

وتسلزوس وجد تناقضات عديدة في سفر التكوين ، واعتقد أنه من المتعذر أن يكون السفر كله قد كتبه مؤلف واحد .

وقد قصد يوهان مورين إلى الكشف عن أن النص العبري للتوراة ملئ بالأخطاء ومشوه ، وبناء على ذلك فالفولجاتا أيضا غير موثوق فيها لاعتمادها على النص العبري ، وبدأ المثقفون اليسوعيون في كشف الطابع المتعدد للعهد القديم وأعربوا عن الرأي أنه داخل العهد القديم أقحمت بعض الإضافات المتأخرة .

أما سبينوزا فقد ناقش هذه الصعوبات بتأمل ليظهر بأن موسى لم يؤلف أسفار التوراة الخمسة وأنها لاتعود إلى عصره .

فالتوراة لم تتحدث بشأن موسى في أي موضع بلسان المخاطب ، بل تتحدث عنه كثيرا بضمير الغائب ، كما تسرد أحداثا من المستبعد أن يقولها مؤلف عن نفسه .

ويضيف سبينوزا أن "شهادات كهذه لايمكن أن تشهد بأن قائلها واحد من تلاميذ موسى الذين جاءوا بعده ، بل إنه شخص عاش بعده بمئات السنين" ، وعلاوة على ذلك ، وجد سبينوزا في ثنايا التوراة أسماء متأخرة لم تكن موجودة زمن موسى ، وكذلك روايات تناقش عصورا متأخرة .

"إن موسى لم يكتب التوراة ، لكن كتبها شخص آخر عاش مئات السنين بعد موسى" وفقدت العديد من الأسفار الأخرى في عصر العهد القديم "ويقول سبينوزا في" رسالة في اللاهوت والسياسة" ، الفصل الثامن ، "يفهم بدون تردد افتراض أن موسى ألف كل أسفار التوراة ينقصه الدليل ومناقض للعقل" .

وهكذا وضح سبينوزا أن سفر يشوع لايمكن أن يكون قد كتب بواسطة يشوع حيث توجد فيه فقرات مشابهة لتلك الموجودة في التوراة ، يظهر لسبينوزا بوضوح أن السفر لم

http://kotob.has.it

يكتب بواسطة يشوع ولا في عصره .

وكما يتضح أيضا فإن سفر القضاة لم يكتب بواسطة القضاة ، بل إنه ألف كله بواسطة مؤلف واحد ، وهو ما استنتجه بوضوح من أقوال السفر ووجد مايشابه ذلك في أسفار صموئيل والملوك التي تشمل في داخلها روايات عديدة تتعلق بشاؤول وداود حدثت بعد موت صموئيل بزمن طويل ، ويستنتج سبينوزا من خلال كل هذه الأقوال الافتراض التالي : أنها كلها كتبت في عصر متأخر وأن كل الأحداث المروية فيها بمثابة أحداث حدثت من قبل في إسرائيل .

وبعد أن تعمق سبينوزا في تتبع تسلسل الروايات وترتيب أسفار الكتابات المقدسة اكتشف سر الشريعة . وقرر سبينوزا أن الأسفار المتفرقة والفريدة لم تجمع في مجموع واحد ، غير أن بدا واحدة تظهر في كل الأسفار ، من أولها إلى آخرها ، وهذه اليد الواحدة هي التي رتبت ودمجت ، وجعلت تلك الأسفار الفريدة مترابطة في سلسلة واحدة ، وحدث ذلك بعد أن تم فعلا كتابة كل الأسفار المقدسة . وتظهر الأقوال أن الجامع أراد أن يعلن للأبد تاريخا كاملا وشاملا منذ تكون بني إسرائيل كشعب وحتى السبي البابلي .

غير أنه على يد من وكيف ومتى عمل هذا العمل الأدبي الضخم؟ أو على حد تعبير سبينوزا" : من هو مؤلف كل هذه الأسفار"؟

مؤلف كل الأسفار التي سبق ذكرها ، لايمكن أن يكون في عصر سابق لعصر عزرا . يقول سبينوزا "لذلك فإنني أفترض أن عزرا هو مؤلف كل هذه الأسفار" (رسالة في اللاهوت والسياسة ، الفصل الثامن)

غير أنه كيف كان ترتيب أسفار العهد القديم المكتوبة بواسطة عزرا؟ يقول سبينوزا :" إنني أخمن أن سفر التثنية هو نفسه توراة الرب" . الذي قرأه ووضحه وفسره وعدله عزرا (نفس المصدر السابق) .

بعد أن أنهى عزرا بعد ذلك تسمية الأجزاء المختلفة لكتابه الأساسي اختار أسماء على أساس الأبطال الرئيسيين وآباء بني إسرائيل ، ومنذ ذلك الحين سميت الأجزاء الخمسة الأولى التي تعالج الفترة المتعلقة بعصر موسى باسم "توراة موسى" ، والسفر السادس الذي يحكي بشأن يشوع ، عرف باسم "سفر يشوع" ، والسابع "القضاة" وهكذا .

وإن المزامير جمعت سويا في سفر المزامير زمن الهيكل الثاني ، كذلك ينسب سبينوزا لنفس الفترة تأليف سفر الأمثال .

وطبقا للحقيقة ، فإن أسفار الأنبياء الموجودة عندنا ليست سوى بقايا أسفار الأنبياء . وطبقا لرأي سبينوزا فإن المادة التاريخية المتنوعة والموجودة في سفر إرميا مأخوذة من مصادر تاريخية مختلفة وأن الجزء النبوي فيه مستمد من نفس لفيفة السفر التي كتب عليها باروخ بن نيري من فيه إرميا كل نبوءات إرميا (أنظر إرميا 63 :4) ويوافق سبينوزا تخمين ابن عزرا فيما يتعلق بأيوب بأن السفر مترجم من لغة أخرى ، غير أنه لم يكن مدينا له في رأيه بأن

http://kotobarabi.com

السفر ألفه وثني .

وهكذا نجد سبينوزا يوضح أن الأجزاء العبرية في سفر دانيال نسخت من لغة أخرى أي الآرامية . وكان سفر دانيال وسفر عزرا في البداية سفرا واحدا ، وأن الكاتب الذي ألف سفري عزرا ودانيال هو نفسه الذي ألف سفري أستير ونحميا ، زمن الهيكل الثاني ، ولم يكن مؤلف هذه الأسفار عزرا أو نحميا بل كان المؤلف معاصرا ليهودا المكابي . ويستنتج سبينوزا على أساس هذه الأبحاث النتيجة التالية :"حتى عصر المكابيين لم تكن الأسفار المقدسة قد أقرت" ، وأن حكماء التلمود (الفريسيين) قد اختاروا هذه الأسفار من بين بقية الأسفار ، وذلك زمن الهيكل الثاني ، ثم رتبوها ورفعوها لمرتبة الكتابات المقدسة" "(رسالة في اللاهوت والسياسة ، الفصل الحادي عشر) .

ووجد هوبز أن التوراة لم تكتب بواسطة موسى ، وأن سفر يشرع لم يصدر من قلم يشوع ، وأن قسما كبيرا من الكتابات المقدسة ، كتب زمن السبي البابلي أو بعد العودة إلى فلسطين . وأما دي . ل .برير فقد توصل إلى رأي عام وهو : أن التوراة لم تكن عملا واحدا وكاملا ، بل إنها عمل مركب ومؤلف من أجزاء مختلفة .

ويقول أستروك : إن مصادر قديمة كانت أمام موسى ، ومنها استمد آراءه وأقحمها داخل سفره . ووجد أستروك عندما فحص جوهر الأحداث في سفر التكوين أن اسم الألوهية ورد في صورتين في سفر التكوين ، فمرة يكنى في النص باسم إلوهيم ومرة باسم يهوه . وعندما عزل من داخل سفر التكوين النصوص التي تستخدم الصيغة "إلوهيم : وحدها ، وتلك المستخدمة "يهوه" وحدها ، ظهرت له روايتان مختلفتان ، كل واحدة منها تمثل رواية كاملة قائمة بذاتها . وعلى ذلك استنتج أستروك قاعدة ، هي أن هذين هما المصدران الرئيسيان اللذان ألف منها موسى التوراة .

وطبقا لرأي أستروك يضم المصدر الأول (أ) مايلي :

الإصحاحات : 1-2 :1-3 :9.5 ،6-10 ،29 ،22-6: 7. 19-1: 8.24 ،22 ،29 ،10-6: 7. 19-1: 9. 10 ،12 ،16 ،17 ،28 ،29 ،11: 20. 27-3: 17. 26 ،20: 2. 17-1: 21-32-22: 1. 10 ،32-1: 30. 11-1: 25-32 ،47-4: 31 ،51-54: 23. 3-1: 25. 33-33: 1. 16 ،35. 27-1: 37. 40-48 ،49-29-33 ،50 من سفر التكوين والإصحاحات الأول والثاني من سفر الخروج .

ويضم المصدر الثاني (ب) مايلي :

الإصحاحات 2 : 4-24 ،3 ،6-1: 7. 5=1: 11. 18-21 ،24 ،5"-20 ،22 "9 ،11 ،13-15 ،18-27(28 ،29) ،10 ،11-1: 9. 27-22: 1 ،12 ،13 ،15 ،16 ،1: 21 ،18: 20 ،82-1: 19 ،18 ،2=17: 32 ،34 ،22: 11-48 ،3-1: 31 ،43-24: 30 ،29 ،22-10 ،5-1: 28 ،72 ،33-1: 26 ،34-19: 25 ،24 ،19 ،50 ،24-4: 32 ،33 ،20-17: 38 ،39 ،49 :1-28 ، من سفر التكوين .

http://kotob.has.it

"وتلقاها موسى بلغة غير العبرية ، من الشعوب الأخرى التي تجول بينها" كما يقول هيردر . فأزال هذا الباحث بهذا قناع القداسة الذي غطى الكتابات المقدسة منذ القدم وأدخلها إلى العالم الدنيوي .

وقد توصل إلجن إلى رأي عام وشامل أثناء نقده للمصدرين الأولين اللذين عزلهما أستروك من بين الكتابات المقدسة أي "الوثيقة الألوهيمية" و"الوثيقة اليهوية" . ويتمثل هذا الرأي في أن أسماء الألوهية ليست هي التي تميز هذين المصدرين المتوازيين فقط ، بل تختلف أيضا خصائصها الأدبية وعالمها الديني هذا عن ذاك . لذلك أصبح من الضروري ترسيخ نظرية المصدرين لتكون بمثابة قاعدة ، ويصبح من المستحيل الشك فيها . قام إلجن بفحص كل واحد من المصدرين على حدة ، وفي الواقع ، وجد أن "الوثيقة اليهوية" مجموعة أدبية واحدة وكاملة طبقا لإتجاهها وصورتها ، غير أن "الوثيقة الألوهيمية (التي باسم إلوهيم") ، ليست "وثيقة واحدة" بل تتضمن داخلها مصدرين مختلفين ومتميزين ، ليس بينهما تطابق إلا في اسم الألوهية فقط ، ويوجد بينهما في الواقع اختلاف ديني وأدبي يميز بينهما . ووصف إلجن بمهارة فائقة وخبرة خبير الصور الأدبية لكل مصدر من المصادر الثلاثة التي وجدها ، وأطلق على الأول منها اسم "الوثيقة اليهوية" ، وهذا يعني السفر الذي يلقب الألوهية باللقب "يهوه" ، والمصدران الآخران "الألوهيمي الأول" و"الألوهيمي الثاني" ، حيث يستخدمان الاسم "إلوهيم" للدلالة على الألوهية .

يقول إلجن : إن "المصدر الألوهيمي" قريب في روحه للمصدر اليهوي . وأن المصدر الألوهيمي عند أستروك ليس مصدرا واحدا وتاما ومستقلا بذاته بل يتضمن داخله مصدرين : أحدهما يعرف عند إلجن باسم "الألوهيمي الأول" وهو بعيد في روحه عن المصدر "اليهوي" ، والثاني يعرف باسم "الألوهيمي الثاني" وهو قريب لليهوي في اتجاهه .

وبهذا احتل بحق البحث في العهد القديم موقفا جديدا بعد النجاح الأول الذي تحقق في عصر أستروك . ومنذ ذلك الحين لم يعد الحديث بالفعل عن مصدرين بل ثلاثة مصادر أي المصدر اليهوي والمصدر الألوهيمي الأول (أو المصدر القديم) والمصدر الألوهيمي الثاني (أو المصدر الأحدث) .

وهكذا قسم إلجن سفر التكوين إلى سبع عشر قطعة مختلفة ، عشر قطع منها تدخل في نطاق المصدر الألوهيمي الأول ، وخمس قطع في نطاق المصدر الألوهيمي الثاني ، وجزءان للمصدر اليهوي وعند تركيب السفر وضع المصدر الألوهيمي الأول ، وعلى أساسه نشأت بعد ذلك وبمثابة طبقات مميزة بقية أجزاء المصدرين ، واقتصر عمل مؤلف سفر التكوين على تبويب تلك الأجزاء وضمها سويا .

وكان ألكسندر جديس الأسكتلندي باحثا ومفكرا شجاعا ، كما كان كاهنا كاثوليكيا ، ووجد في نفسه الشجاعة إلى إعلان أن موسى لم يكتب التوراة ، وأن العهد القديم المتوافر حاليا ليس سوى مجموع أقسام وأجزاء غير مرتبطة مع بعضها البعض ، وأنه نتاج أجيال

http://kotob.has.it

وأنواع مختلفة جمعت ونظمت سويا من قبل محرر متأخر .

وقد رأينا من قبل أن أستروك قد وجد في سفر التكوين اثني عشر قسما ، جاء فيتر تلميذ جديس وأوصلها إلى تسعة وثلاثين قسما ولم يكتف فيتر بسفر التكوين فحسب ، بل انتقل ليفتت بقية أسفار التوراة الأربعة ، يستنتج من بحث أصحاب "نظرية الأجزاء" : أن التوراة التي أمامنا ليست سوى مجموع أجزاء منعزلة وعديدة منها "الأجزاء الطويلة ومنها القصيرة ومنها الضئيل جدا" .

وطبقا لرأي جديس وفيتر وهرتمان فإن الجامع المتأخر الذي عاش زمن السبي البابلي قد خاف أن يضيع من جماعة بني إسرائيل أي جزء قديم من بقايا النتاج القديم ، لذلك جمعها كلها كما هي وأدخلها بصورتها داخل مؤلفه .

فروايات العهد القديم ، تتحول إلى كومة أقسام ، وأجزاء مختلفة ومتنوعة جمعت سويا من مصادر عديدة ، وعصور مختلفة ومتنوعة وتلك الأقسام كل جزء منها قسم مميز قائم بذاته ، بدون قرابة داخلية أو علاقة جوهرية لجزء مع الأخر .

كشف دي - فته الاختلافات الداخلية بين سفري أخبار الأيام وأسفار صموئيل والملوك ، مشيرا إلى أن هذا الاختلاف لايظهر في فقدان التطابق بين تفاصيل الروايات فحسب ، والذي توصل إليه بالفعل العديد من الباحثين السابقين ، بل إن صور الطقوس متأخرة بكل ما تحمل الكلمة من معنى كما هي موصوفة أمامنا ، وناجمة عن أقوال مصدرين مختلفين ، وبعيدين هذا عن ذلك في الزمن والهدف .

وطبقا لرأي أصحاب هذه النظرية ، فإن المؤلف الأول "للمصدر الأساسي" كان أحد الذين عاشوا في عصر شيؤول ، وأما "المصدر المتمم" المتأخر فقد عاش كما يبدو ، في عصر سليمان .

وعندما بدأ هوبفلد في إظهار أصحاب المصدر المكمل إلى حيز التنفيذ ، والتمييز بين الطبقة الإضافية لليهوي المكمل وبين المصدر الأساسي للألوهيمي توصل على الفور لعيوبهما سويا . فقد وجد داخل الجزء المكمل مادة جديدة ليس لها أي إشارة داخل المصدر الأساسي ، لذلك من المستحيل الحديث عنها ، لأنها ليست مكملة فقط وليست مؤلفا قائما بذاته . ولايمكن الاعتقاد أن "اليهوي" مكمل فقط ، والذي لم يأت فقط لإعداد المصدر الأساسي وتعديله ، بل علينا أن ننظر إليه كمؤلف متميز لايرتبط كلية "بالألوهيمي" وأن أحداثه تستخدم مصدرا قائما بذاته .

فإن مادة "المصدر الأساسي" الذي طبقا لرأي أصحاب نظرية المكمل ، جاء المحرر اليهوي ليكمله ، يشمل مصدرين مختلفين الواحد عن الأخر ، كما لاحظ إلجن ذلك في عصره ، وواصل وقسم "المصدر الأساسي" إلى مصدرين .

أصبح الحديث بوضوح مطلق بشأن أربعة مصادر متميزة ، يمثل المصدر التثنوي أحدها ونشر زمن الملك يوشيا ، أما الثلاثة الأخرى فهي "اليهوي" و"الألوهيمي أ" و "الألوهيمي

http://kotob.has.it

ب" ، ولم يحدد زمن تأليفهم بعد .

توجد مادة باقية في التوراة للمصادر الثلاثة المتميزة التي ألفت في عصور مختلفة . أن توراة الكهنة المصدر الكهنوتي (تحتل مكانة هامة إلى حد كبير في أسفار التوراة الخمسة ، وتتضمن في داخلها قوانين القرابين ، وقواعد العبادة ، وترتيب الكهنة) .

ويستنتج من هذا أنه من المستحيل أن تكون قد كتبت في زمن موسى أوحتى زمن الهيكل الأول ، بل تم تأليفها زمن السبي البابلي ، وربما بعد العودة من بابل . وتوصل رويس لنفس النتيجة قبل عام من ذلك .

وضع رويس اثنتي عشرة قاعدة لتلاميذه لخص فيها منهجه في علم العهد القديم ، والروايات التي تشهد بالشريعة التي أمر بها موسى ، وأعلنت من جيل إلى جيل لتبرهن على أن الأسفار الخمسة التي لدينا كانت موجودة في ذلك الزمن . فوجود أنماط القوانين المعلنة من جيل إلى جيل أمر احتمالي عند جماعة ليس لها شريعة مكتوبة بالمرة .

وتتناقض الروايات التاريخية الواردة في أسفار القضاة وصموئيل وبعض روايات سفري الملوك تناقضا مطلقا مع القوانين الموجودة في التوراة ، وينتج عن ذلك أن هذه القوانين لم تكن معروفة زمن تدوين تلك الأسفار التاريخية المذكورة آنفا ، وبالتأكيد لم تكن معروفة في تلك العصور التي ترد روايات عنها في تلك الأسفار .

وإن الأنبياء الذين عاشوا في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد لم يعرفوا مطلقا أي شيء بشأن توراة مكتوبة :

إرميا أول نبي يتحدث بشأن القوانين المكتوبة ، وأقواله مرتبطة بسفر التثنية .

النبي حزقيال سابق على عملية الانتهاء من تحرير تعاليم العبادة وظهور القوانين المنظمة لسلطات الكهنة .

موسى أبو الأنبياء ليس هو محرر أسفار التوراة الخمسة .

وعلى كل حال ، قرر رويس أن القوانين بشأن العبادة وترتيب الكهنة ألفت بعد عصر حزقيال (القاعدة رقم 10) أي في نهاية سبي بابل ، أو في بداية عصر العودة .

وقرر جراف أن "المصدر الألوهيمي" الذي عرف عند أصحاب النظرية التكميلية باسم "المصدر الأساسي" بلاشك مركب من مصدرين متميزين ، غير أن أحدهما يشمل في وسطه روايات موازية لروايات "المصدر اليهوي" وهو نفسه "الألوهيمي الأحدث" عند هوبفلد ، القوانين في المصدر ، "الألوهيمي" متأخرة وتنسب إلى العصر البابلي أو عصر العودة .

المصدر"الألوهيمي القديم" الذي عرف باسم "الأساسي" عند أصحاب النظرية التكميلية ، أصبح يطلق عليه "توراة الكهنة" في شكل وحدة يمكن الفصل بينها ، إذا أن القسم القانوني فيه قد ألف ، كما يبدو ، زمن السبي البابلي ، ويفهم تلقائيا أن الجزء الروائي لهذا المصدر قد ألف زمن السبي البابلي وأقام جراف نظريته بأن "اليهوي"

http://kotob.has.it

و"الألوهيمي " سابقان لعصر يوشياهو" وأن مصدر "توراة الكهنة" ألف بعدهما . «أي بعد 632 ق .م»

علاوة على ذلك فقد حدد في عصره وبواسطته مضمون وحجم كل مصدر من المصادر التي ركبت منها الأسفار الخمسة للتوراة .

ويرى فلهاوزن أن توراة الكهنة مصدر متأخر عن مصدر التثنية ، ويسمع فيها صدى صوت الفترة الثالثة في تاريخ الطقوس ، أي فترة العودة والهيكل الثاني . أما مجموعة القوانين في سفر التثنية فهي أول مجموعة قوانين قضائية لجماعة بني إسرائيل ، وفكرتها ونشأتها كانت في يهوذا زمن سقوط السامرة .

أما قمة أدب الأسفار الخمسة فيمثل الطبقة القانونية الثالثة ، فتلك القوانين والأحكام التي سردت كروايات تاريخية زمن الهيكل الثاني مع عودة الذين سبوا إلى بابل لتأسيس المملكة على الأسس القديمة للهيكل الأول . وأسفار التوراة الخمسة الأولى في ترتيب أسفار العهد القديم تبحث العصور الأولى للأمة ، ثم تأجل تأليفها للوقت المناسب في العصور المتأخرة التي لم تذكرهم الأسفار الخمسة وأصعدت كرسي مملكة شاؤول ، وهي التي أجبرت الأسباط على الوحدة وتكوين شعب . من هنا بدأ تاريخ اسرائيل ، وقبل ذلك لم يكن لها موضع ، لأنه قبل عصر كنعان لم يكن ذلك في فكر أي شخص .

أما قصة الخلق فإن جونكل قد بحث هذه القصة وبرهن على أن هذا القسم بكل صورته الحسابية والعددية يشمل خرافة قديمة ليس مصدرها بني إسرائيل . وبدراسة العلاقة بين وصف قصتي الخلق البابلية والعبرية استخرج من داخلها أشعارا ومزامير سجلات وصورا للمادة المتعلقة بنشأة الكون والتي أدمجت فيها وذابت داخلها .

وها هو ذا قصة عالم كامل لخرافة أصلها في بابل ومصدرها في أساطير الخلق نشأ في محيط إسرائيل : وذلك على الرغم من أنها لم تنبثق من داخل الرؤية اليهوية .

ومن خلال هذا المصدر الكنعاني وبواسطة الشعب المستقر في فلسطين استحدث إسرائيل فيما بعد هذه الميثولوجيا القديمة أيضا وبقدر ما استمدت هذه الجماعة من تلك الوسائل الكنعانية قامت بتحرير ثقافة بابلية أخرى عديدة وصاغتها طبقا لهدفها ، واستمدت منها تشبيهاتها ومؤلفاتها وتأثرت بها وتصارعت وتكيفت معها .

وان روح بابل تسللت إلى داخل كنعان ، وتاهت في وسطها خلال عصور عديدة قبل احتلال الأرض بواسطة العبريين ، وبعد أن جاء الإسرائيليون إلى الأرض ، وساروا في طرق شعب الأرض تشربوا الثقافة البابلية من هذا الوسيط الثاني .

رواية الطوفان :

ليس أمامنا سوى رواية واحدة في صياغتين ، وعلاوة على ذلك فإن الرواية التوراتية تركيب متأخر ، ركب على أساس النسيج القديم الذي جاء من بابل ، سفر القوانين الذي منحه الإله شمش للملك حمورابي الذي ملك على بابل عام (2100 ق .م) ، وفي هذا

http://kotob.has.it

السفر قوانين وأحكام عديدة تشهد على درجة عالية من التطور في هذا العصر القديم ، وذلك سواء بين الفقرات المتشابهة كاملا لفقرات سفر العهد أو بين الفقرات المختلفة عنها .

هوجو فينكلر ، خرج ليقرر أن كل الأساطير والروايات الموجودة في العهد القديم بداية من روايات الآباء وانتهاء بانقسام المملكة بعد سليمان كل ذلك مؤسس على أساس الميثولوجيا البابلية ، وحتى الأحداث التاريخية للأبطال الذي عاشوا حقيقة نمقت على إطار المؤلفات في روايات الخرافة البابلية التي أساسها في علم التنجيم القديم .

ويرى يرمياس - أن كل روايات العهد القديم ليست سوى نسخ مختلفة ومتغيرة لأساطير الملحمة البابلية ، وأن كل أبطال التاريخ العبري القديم لم يوجدوا ولم يخلقوا ، بل هم نتاج الميثولوجيا وهم أبطالها بأساليب مختلفة ، حيث تختلف هذه عن تلك على أساس السبط والمكان

وعودة إلى نظرية المصادر يقول زلمان شازار : وبدأ العلماء يقررون بصورة تدريجية أن كل مصدر من المصادر الأربعة الأساسية مركب من مصادر مختلفة ومن أجزاء مميزة ، ونتاج مؤلفات شعبية ، ولأجل هذا تكثر القيم والأساليب ، والإشارات للمكان والزمان .

فنظرية المصادر تطورت مرة ثانية من جديد من نظرية وحدة المصدر إلى نظرية الأجزاء المنفصلة ، حيث اختفى هذا الاتجاه التقليدي وقلت قيمته العلمية .

فمن خلال الموازنات والمقارنات التي تمت بين كتابات بني إسرائيل ووثائق بقية شعوب الشرق اتضح أن ثقافة بني إسرائيل لم تنبعث من وحدها ، بل مرتبطة وملتصقة بالحياة الدينية والاجتماعية لشعوب الشرق ، ومتأثرة بتراثهم .

والأدب لم يكن من بدايته مدونا . وقد ابتدأ الأدب بقصائد وأمثال ، وفرحة الانتصار ، ورثاء الموتى ، ومؤلفات قصيرة ، وقواعد قانونية وطبية ، وصدى أحداث ورفقاء ، واضطرابات الشعب ، كل هذا تم إعلانه مشافهة عن طريق مغنين أو رواة جيلا بعد جيل .

وبعد ذلك تطورت عنها التعاليم حتى أظهرها رجال الأدب في القرن الثامن قبل الميلاد وأخرجوا الأدب من نطاقه الشعبي . وبدأ الأنبياء خطباء فحسب ونقلوا أقوالهم أمام الشعب ، وتنبأوا في البداية نبوءات قصيرة وقاطعة ، وبمرور الزمن فقدت أجزاء هذه النبوءات وتطورت إلى مواعظ حتى ظهرت اللفائف والأسفار . وجمع د . كنعان الأقوال المأثورة وسخريات عرب الريف قبل أن تختفي منها علامات الأسلوب القديم . ونشرت مادة وفيرة استخدمها أولا وقبل أي شيء باحثو الأشكال الأدبية في العهد القديم .

وقد كان رأي تسونس أن هناك هدفا دينيا محددا للمؤلف الذي يرجع عصره إلى زمن الهيكل الثاني ، ولهذا الهدف أخضع المادة التاريخية المتوافرة أمامه . وقد فحص - المؤلف هذا- الماضي القديم من وجهة نظر عصره ودائرة الكهنة ، ونسب الشخصيات النموذجية المعترف بها عند الشعب والأفكار التي قدست في عصره وفي البداية لم تكن أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا سوى سفر واحد ، وكان غرضه أن يحي للجيل كل تاريخ مملكة يهوذا ،

http://kotob.has.it

وذلك فيما يتعلق بشأن الهيكل على رابيته ، وكرسي داود في موضعه ، وذلك من وجهة النظر المعاصرة لحكومة الكهنة زمن الهيكل الثاني ، ولهذا الهدف ، أخضع المادة التاريخية المتوافرة أمامه .

وتظهر علامات تأثير أبناء هذا العصر في بقية أسفار الكتابات وأيضا في إصحاحات نبوءة إشعيا الثاني وزكريا الثاني ، ويضع جايجر بأقوال واضحة وجريئة قاعدة : "كل عصر ، وكل حركة روحية ، وكل شخصية ، أقحمت داخل العهد القديم بواسطتهم ، ومعبرة عن وجهة نظرهم ، ومن هنا حدثت الإضافات والشروح وكشف المعنى بأسلوب الدراش والرمز" غير أنه خصص معظم دراسته للتغييرات التي طرأت داخل مادة العهد القديم ، بقصد أو بدون قصد . وأضاف أبحاثا من عنده عن تغييرات الحرف وتغييرات التشكيل ، وكشف أمامنا أسلوبا كاملا للتأثير المستمر والقائم بين وجهة نظر الجيل وبين تغييرات النص ، فأحصى عدد كل التغيرات التي حدثت في العهد القديم لحفظ نقاء فكرة الألوهية ، وتلك التي حدثت من أجل حفظ مجد بني إسرائيل ، وتلك التي حدثت من أجل الرغبة والتمتع بالانغماس في الملذات ، وباختصار فإن كل جيل من الأجيال في بني إسرائيل قد نظر في كتاباته المقدسة من وجهة نظره هو ، وإن نقص علامات القراءة سويا مع فقدان التشكيل سمحت بسماحة واسعة لكل جيل أن يظهر شروحا للتوراة تتفق وروحه . وعندما تكون هناك ضرورة خاصة لأمر ما فقد سمحوا لأنفسهم أن يضيفوا ويحذفوا ويوضحوا ويفصلوا ، ويعدلوا ويغيروا .

حاييم (هرمان) ستينتيل ، ألقى الضوء على الأصول اليونانية لأساطير العهد القديم .

وفي كتابه "تاريخ المواعظ (الدارشانوت) لاحظ تسونس الزمن المتأخر لسفر حزقيال ، وحدد على أساس ذلك أن مؤلف السفر عاش في الأعوام (440 - 400 .ق .م) ، وأن الأعمال التي يرويها حدثت قبل ذلك بزمن طويل ، ولذلك فليس لأقواله أية قيمة كوثائق تاريخية فالقرابة الدينية بين سفر اللاويين وسفر حزقيال حيث إنهما انعكاس بيئة واحدة سائدة فيهما ، هي وجهة نظر الكهانة المتأخرة . سفر اللاويين أحدث من سفر التثنية ، وأكثر حداثة من سفر حزقيال ، وكتب زمن الهيكل الثاني عندما كان موقف الكهنة قويا وأسلوب القرابين محددا ومفصلا ، يعني حوالي ألف سنة بعد موت موسى .

وفي ملاحظاته لمجلة أستير ، نفى حاييم هرمان فيه عن هذه الرواية أي أساس تاريخي ونلاحظ أن سفر التكوين قد ألف بعد مئات السنين من استيطان اليهود في فلسطين ، وبعد أن تحصن الأسباط في إرث استيطانهم بزمن طويل ، وأن مؤلف السفر لم يكن موجودا على كل حال قبل عصر إشعيا . أما بالنسبة لسفري الخروج والعدد فيرى أنهما "معالجة لأساطير وأشعار قديمة" ، ويصدر الحكم التالي : "إن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة في التوراة بين أنشودة موسى الموجودة في سفر الخروج وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد ، هي في مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية ، وأحكام وقواعد

http://kotob.has.it

الكهنة ، وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات ، والازدواجيات والتعديلات ، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة ، ومن الصعب علينا فهمها . وفي كل السفر كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما . كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخر (منسوب إليه)

وقسم سفر إشعيا ستة أسفار ، كتبت في أزمنة مختلفة (عاش إشعيا الأول في عصر يوثام وأحاز وبحزقيا ، وكتبت الإصحاحات (24-27) في عصر يوشياهو ، وكتب الإصحاحان (34-35) مباشرة بعد الخراب ، وكتب الإصحاحان (13-14) بعد حزقيال بثلاثين سنة ، وبعد ذلك تأتي إصحاحات أنشودة إشعيا الثاني (40-66) ، وبعد ذلك كتبت فقط العبارات 1-10 من الإصحاح الحادي والعشرين) ووجد في سفر زكريا أقوال ثلاثة أنبياء : أقوال النبي الأول تشمل الإصحاحات (1-6) وعاش في عصر هوشع ، وتشمل أقوال الثاني الإصحاحات (7-12) وكان في عصر يهوياقيم وصدقياهو ، وتشمل الإصحاحات (12-14) أقوال النبي الثالث باستثناء (13 :7-19) الذي تنبأ بعد العودة من بابل . ويحصى في سفر هوشع نبيين ، تمثل (الإصحاحات 4-14) وكان في عصر تجلات فلاسر وشلمناصر ، وكان آخر الأنبياء في مملكة إفرايم وكان معاصرا لإشعيا . ويحدد زمن النبي عوبديا بعد الخراب في زمن واحد مع مؤلف الإصحاحين (34-35) من سفر إشعيا .

وينسب أسفار الكتابات إلى زمن الهيكل الثاني . وطبقا لرأي تسونس فإن غالبية المزامير قيلت بعد العودة من بابل ، وألف سفر دانيال زمن سلطان المقدونيين - سويا مع أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا وينسب سفر الجامعة إلى عصر هيرودوس ، وروث إلى عصر الغزو اليوناني ، ونشيد الأناشيد إلى عصر المقدونيين ، أي خمسين سنة قبل حرب الحشمونيين .

وأمام الأسباب التي أدت إلى التحريفات (اختصار كلمات ، دمج كلمات ، استبدال حروف بما يشبهها في الكتابة العبرية القديمة ، استبدال حروف بأخرى تشبهها على أساس الصوت ، أخطاء في التشكيل ، استعمال ألفاظ مهجورة في النحو وغير ذلك) ، والتي على أساسها تم تحديد القواعد العامة للتعديلات في الأربعة وعشرين سفرا المقدسة ، وهي من طبقات مختلفة ، وعصور متباينة ، ومؤلفين مختلفين حيث تستوعب أسفار التوراة مايقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن . وعود على بدء فيحصى في سفر صموئيل تناقضات عديدة في الروايات عن جليات وداود ، والفقرة الخامسة من الإصحاح (18) لسفر صموئيل الأول موضوعة أما عن سفر إشعيا : "فإن كان سفرا واحدا طبقا لإسمه ، فإنه طبقا لموضوعه ينقسم انقساما ضروريا إلى قسمين مختلفين في الزمن والموضوع والأسلوب اختلافا كبيرا ، والجزء الأول هو من الإصحاح الأول حتى الإصحاح الأربعين ، والقسم الثاني من الإصحاح الأربعين حتى نهاية السفر" . أتى العديد من العلماء بالتصور أن تلك النبوءات (من الاصحاح 40 وما بعده) ليست لإشعيا النبي ، بل من نبي آخر متأخر عنه بزمن كبير .

http://kotob.has.it

ومن خلال فحص مميز بوجود خلل في النص ، وجدت بعض التحريفات التي تسللت للنصوص المقدسة .

وإن قصة الخلق لاتفهم كحقيقة علمية ، وعلاوة على ذلك فإن التوراة لاتمثل كتابا تعليميا في تطور الطبيعة .

وحرقت العديد من الأسفار المقدسة التي كانت موجودة في الهيكل زمن الخراب ، وجمع العائدون من السبى مابقي في أيديهم من بقايا الأسفار القديمة ونسخوها وصححوها ووضحوها بإسهاب فوجد في سفر عزرا خمس قوائم مختلفة ، تفصل بينهم مئة وعشرون سنة (من السنة الأولى لقورش ، وحتى السنة الثالثة والعشرين لأرتحشستا) أما سفرا أخبار الأيام الذي كان مؤلفه الأول عزرا ، فقد أضافوا عليه بعد ذلك من قوائم نحميا ، ومن لفائف النسب ، وقوائم الكهنة ، وسار مؤلفه واستمر ثلاثة أجيال بعد نحميا ، أي حتى انتهاء مملكة فارس ، ووجد الربي نحمان كروكمل من وجهة نظر التطور البطيء هذه تأليف بقية أسفار تلك الفترة وتركيبها . فسفر دانيال "مؤلف من بعض اللفائف (تسع أو عشر) لفيفة على حدة ، ولاترتبط الواحدة بالأخرى السابقة عليها أو المتأخرة عنها سواء في أسلوب اللغة أو في طريقة التأليف " وأمثال سليمان هي "أساطير عامة لمجموعات أمثال" كانت سائدة لدى الجمهور ومثقفي الجماعة ، وكانت منظمة في لفائف مختلفة .

وقد كشف عن تحريفات في العهد القديم نجمت عن الإيجاز ، واستخدام الاختصارات وقد اعترف بهذه التعديلات كل الباحثين من بعد كروكمل ، وأن أقوال التوراة ليست سوى "لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام عشائر وأسباط مختلفة ، وتحدثت عن الآباء والأجداد أو كتبت بعد ذلك" .

وعن توراة الكهنة وسفر العدد كما هما لدينا حاليا فإنهما متأخران جدا ، ولايمكن تقديم زمنهما عن بداية الهيكل الثاني .

ويرى ي .ش شور من المتأخرين في ملاحظاته الشعرية عن "سليمان والجماعة" أن "من له عينان يرى أن هذا السفر يعود لأبناء العصور المتأخرة ، سواء في لغته أو في موضوعه ، وربما ألف في عصر الحشمونيين" .

وأحاد هعام في رأيه أن أقوال العهد القديم ليست سوى "صورة خيالية ، ابتدعتها الجماعة طبقا لحاجتها وميلها الروحي" .

http://kotob.has.it

شرح بعض المصطلحات الواردة في الملحق 4:

- البرايتا = مجموعة شرائع تلمودية
- الماسورا = النص الرسمي المعتمد للكتاب المقدس العبري
- فولجات = النسخة المتداولة (Vulgate)
- دراش = التفسير
- المدراشيم = اشتقاقي من الدراش أو التأويل
- المشنا = الشريعة في التلمود
- التلمود : مجموع التراث الشفهي وموروث الأحبار حول سنن موسى ومن شابهه .

أما التلمود فهو على نوعين = الأور شليمي والبابلي وبعضه أغزر من الآخر ومحتوى التلمود فهو نصوص للأحبار والكهنة وهي مقدسة عند اليهود وينقسم إلى :

- هاجدا وكالاخا وهي بمجموعها اجتهادات فقهية وقواعد تشريعية مع نبذة تاريخية لإسرائل القديمة وتفسيرات للكتاب المقدس بعهده القديم .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الجزء الثالث من الباب الثاني :
النتائج التأريخية لمحتوى تراث ضخم
ولكن مفتت للشعب اليهودي

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

1- حول المسيرة التاريخية لتطور العقيدة اليهودية في التوراة

نرى أنه لابد من عجالة سريعة في استعراض ماسبق حول نظرية تعدد المصادر وماعداها عبر مناقشة وجهة نظر الراهب الدومينيكاني - سابقا- جان بوتيرو والذي تحول ونحا بنفسه في الجاه علماني عبر دراسة الرقيمات واللهجات القديمة وفك رموز الكتابات في منطقة الفرات والرافدين والشام ، وذلك في محاولة لفهم أكبر حول أصول وطريقة كتابة التوراة ، ونعرض للمسيرة التاريخية لتطور العقيدة اليهودية حسب ورودها في التوراة المجموعة اليوم .

إذ يقول جان بوتيرو في كتابه : "التوراة والمؤرخ . . ." وذلك حول المراحل التاريخية التي قطعتها الديانة اليهودية والمراحل التي مرت بها إلى حين تشكلها النهائي : "إن الرسالة الشاملة للتوراة لايمكن اعتبارها خارج الإطار الديني ، بالطبع ليس الإنسان روحا فقط وعلاقاته مع آلهته لايمكن فصلها عن حياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والعاطفية ، لذلك فإن تاريخ بني إسرائيل ينعكس على التوراة» .

هذا . . وإن أسفار التوراة تحمل جميعا بنسب مختلفة ، عند سرد الأحاديث ، الطابع النفعي لمؤلفيها أو جامعيها "هذه المداخلات التي هي عبارة عن حشو يؤدي بصرف ذلك الذي يبحث عن حقيقة الماضي" وحول سفر التكوين وهو أول الأسفار في التوراة فيرى بوتيرو أنه فقد أصبح أمامنا عدة صيغ لتاريخ إسرائيل القديم ، كتبت بأزمان مختلفة ومن وجهات نظر مختلفة ، وتكون بالطبع لكل صيغة لغتها الخاصة ومنظارها الخاص .

وكما لخص فبالنسبة للتوراة أيضا نجد أن الوثائق الأساسية هي أربع ، أقدم هذه الوثائق ويطلق عليها اسم اليهوي ، تعود إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، ويفترض أنها كتبت في أورشليم (القدس) أو حولها ، فبالنسبة لحلم يعقوب ، يطلق اليهوي على الله اسم يهوه ويجعله يظهر شخصيا ليعقوب ، وتستمر الرواية فنجد أن الله أخذ يحمل اسم الوهيم ولايظهر شخصيا على الإطلاق ليعقوب . هذا القسم الأخير كتبه الألهيمي بعد قرن من الزمن تقريبا ، في مملكة الشمال ، علما أن رواية الألهيمي تبدأ مع إبراهيم بينما نجد رواية اليهوي تبدأ مع خلق العالم .وهاتان الوثيقتان متلاصقتين اليوم .

أما الوثيقة الثالثة وهي أكثر ارتباطا بالتشريع الديني منها بالتاريخ فنجدها في تثنية الاشتراع (تعاليم موسى الأخيرة ووفاته قبل الغزو) التي كتبت هي أيضا في أورشليم (القدس) ، في القرن السابع قبل الميلاد تقريبا . أما الرابعة فهي القانون الكهنوتي وسميت كذلك نظرا للطابع الكهنوتي الذي يميزها ، فهي دقيقة ، جافة تعير اهتماما كبيرا للأرقام والخطوط الكبرى ، وهذه الوثيقة الأخيرة تبدأ مع التكوين ويبدو أنها كتبت في المنفى ، بعد تثنية الاشتراع بقرنين تقريبا (وقد عرضنا لذلك فيما سبق) .

وفي التوراة ، كثيرا ما نجد فيها وثائق أخرى ، كاملة ومجزأة ، قديمة أو على الأقل ، مستقلة عنها ، وينطبق هذا بشكل خاص على المجموعة التشريعية مثل كتاب العهد (43 :

http://kotob.has.it

10-26) ، في اليهوي والوصايا العشر (خروج 20 : 1-12) ووثيقة العهد (خروج ف 20 :22ف 23 :19) في الإلهيمي وأصول القداسة (الأخبار ف 17 :26) ، هذا مع العلم أن هذا التشابك لم يتم في مرحلة واحدة وإنما في عدة مراحل ، فاليهوي والألهيمي تم دمجهما قبل إضافة تثنية الاشتراع (وصايا موسى الأخيرة ووفاته) إليهما . أما الوثيقة المتضمنة القانون الكهنوتي فقد أضيفت بدورها لاحقا ، هذا وإن عملية الدمج ليست من عمل شخص واحد وإنما قامت بها مجموعة في ترتيب الأسفار التاريخية الأخرى اللاحقة للهكزاتيك 1 أو إعادة النظر فيها . وحول كتب أخرى وأسفار متناثرة :

نضطر مثلا أن نفرض لأشعيا أبوة "النبوءة ضد بابل" (أشعيا ف : 7 - 1 ، 14 - : 23) لأنها تحتوي على وضع سياسي وجد بعد قرنين تماما من وجوده كما هي الحال بالنسبة للمقطع الذي أشير فيه إلى قورش .

وإذا درسنا بدقة النص الذي تتكون منه الآيات الأخيرة نجد أنها تشكل جزءا من مجموعة منسجمة ومتكاملة (أشعيا ف 40 - ف 45) تختلف تماما عن النص الذي جاء به النبي القديم قبل قرنين من حيث اللغة والأسلوب والصور وحتى الفكر الديني والوسط الإيديولوجي . بالإضافة إلى الوضع التاريخي والسياسي (نهاية السبي الكبير) ، هناك عمل نبوي مستقل وحديث نسبيا ، نسب إلى الرجل الكبير بالتأكيد لأغراض دينية وبقصد الإقناع وإثارة الإعجاب ، تماما كما ألحقت بموسى "الشرائع" العديدة التي وضعت بعده بكثير وكما نسب إلى داود العديد من المزامير التي لايمكن تصورها في عصره .

وهذا يعني أن جامعي التوراة تدخلوا أيضا في غير الأسفار التاريخية ، خاصة في سفري الأنبياء والحكمة . . . ولكننا نعثر على إدراج نصوص كاملة وتفسيرات وشروح مغرضة وأيضا نسبة مقاطع مضافة أحيانا ونصوص كاملة إلى شخصيات معروفة ومشهورة ، لايمكن أن تكون مسؤولة عنها .

ولم يكن لإسرائيل قبل موسى إلا وجودا افتراضيا ، أما بنو إسرائيل فكانوا يتيهون بين أعداد لاتحصى من القبائل التافهة والنصف مرتحلة .

هذه القبائل كانت ، بأكثريتها الساحقة ، يعيشون على تربية المواشي ويقودون القوافل ، ويلجئون إلى السلب والنهب فيلحقون الأذى بالمزارعين الذين كانوا يرتبطون بالأرض وقد بلغوا درجة عالية من الحضارة ، وكانوا دوما على حذر من هؤلاء البدو .

ولانخطئ إذا تصورنا جدود إسرائيل إحدى هذه القبائل المتحركة على الدوام بحثا عن مراع جديدة .

"ويعتقد أن أصول العبرانيين استقروا في بلاد كنعان - في فلسطين الجنوبية خاصة - في حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد حيث أخذت القبيلة تتكاثر حتى أصبحت قبائل متعددة ، كانوا بشكل عام رعاة ، يتبعون قطعانهم من مرعى إلى مرعى ، ومن ينبوع إلى ينبوع ، يقاتلون في أكثر الأحيان مجموعات أخرى من الرحل والسكان الحضر على

http://kotob.has.it

السواء" .

غير أنه لايبدو أن أحفاد إبراهيم استطاعوا الوصول إلى مركز مرموق في بلاد كنعان فقد كانوا موزعين في أمكنة عديدة ، حول مركزين رئيسيين ، شيكيم في الشمال وحبرون"الخليل" في الجنوب ، حيث كانت حياتهم عادية وعارضة . . . ."

بذلك يكون موسى أدى القسم الأول من رسالته : ارتباط إسرائيل بيهوى ، وفق المفهوم العميق والعالي الذي شكله عن هذا الإله وعن العهد ، ولكنه توفي - حوالي / 1250/ ق .م ، كما يعتقد المؤرخون - تاركا لغيره تحقيق القسم الثاني : جعل إسرائيل أمة وأخذ أرض فلسطين .

وقد كتب الألهيمي نصوصه على الأرجح في القرن الثامن (ق .م) وهي المرة الأولى التي يشار فيها إلى هؤلاء الأشخاص (سفر العدد ف 6 :12) ولابد أنهم كانوا في نظره على مستوى رفيع جدا لأنه اعتبر إبراهيم أحدهم (تكوين ف 8 :20) .

والإلهيمي عمله يبدأ (الفصل الخامس عشر من التكوين) في فترة زمنية لاحقة بالمقارنة مع اليهوي : لايهمه تاريخ تكوين العالم - يهمه شعبه بالدرجة الأولى وشعبه بدأ وجوده عندما جاء الجد الأكبر ، إبراهيم إلى البلاد التي سيمتلكها لاحقا هذا الشعب . لايعني ذلك أن الالهيمي كان يجهل "فلسفة" أصل التكوين" إنه يعرف أن العالم (وهنا يشير إلى وجود البحر صراحة مما لايفعله اليهوي) - من صنع يهوه ، ولكن مايعرفه عن الخلق ، أو ماذكره على الأقل ، كان على صلة بواجب ديني ، من أجل تفسيره واعتباره بنفس الوقت عربونا إلهيا .

نجد أن اليهوي يصب كل اهتمامه تقريبا على التاريخ بينما نرى الالهيمي يضيف الوصايا العشر إلى وثيقة العهد وكأنه أراد بذلك ربط التعليمات اللاحقة بالعهد نفسه بغية إعطائها أهمية أكبر . (ومن هنا برز الاهتمام بالأصول وارتباطها بإبراهيم وعودة إليه عبر التدوين اللاحق) .

لعل أبرز ما في الإلهيمي أنه يتجنب بدقة كل مايعطي يهوى وجودا ماديا أو محسوسا : إنه ، بعكس اليهوي الذي لايخلو من البساطة والاندفاع ، لايذكر ظهورا إلهيا على الإطلاق ، وعندما يرى يهوى أنه يستحسن أن يظهر للبشر ، فإنه في الإلهيمي يلجأ إلى وسيط ، إلى رسول فالإلهيمي ، باهتمامه أيضا بالتقيد بالأوامر الدينية يثبت التقدم الديني في عصره ، ذلك التقدم الذي كان قبل كل شيء بفضل أوائل الأنبياء .

بعد زمن غير قصير نضجت الفكرة وأخذ التعريف الجديد الذي أدخله هوشع والذي يعتبر العلاقات مع الرب مبنية على الحب والجاذبية وليس على الخوف والإجلال وحدهما - أخذ هذا التعريف الجديد أبعاده وحمل ثماره لتحويل الديانة اليهودية ، وأكثر منها بكثير ، الديانة المسيحية وإعطائهما لونا جديدا وتعبيرا جديدا ، ليس فقط بالنسبة للمشاعر الدينية ولكن أيضا بالنسبة لمفهوم الإله بالذات .

http://kotobhas.it

وهذا نداء من أجل إيجاد صيغة جديدة للعهد ، صيغة أكثر أخلاقية وأكثر روحانية وكان يشكل خطوة كبيرة إلى الأمام .

بعد عام 721 (ق .م) ولمدة قرن كامل بقي تاريخ مملكة يهوذا السياسي تاريخ شعب صغير لا أهمية له ، مرتبط تماما بسلطة آشور التي أخضعت لسلطانها مصر نفسها في عهد آسار حدون (670 - 669) ق .م .

وقد استخلص الأنبياء فكرة التوحيد وعلموها ، وجاء الإصلاحيون ، لأسباب غامضة قد لاتكون مصلحة وامتيازات رجال الدين ، مضيفين أن الإيمان بإله واحد يفرض الإلتزام بأن لايكون للإله الواحد إلا مكانا واحدا للعبادة : هيكل أورشليم .

وعلى مستوى "التشريع" وضعوا الشريعة في قالب روحي جديد فكتبوا نوعا من التوجيه أدخلوا فيه ، من وجهة نظرهم الخاصة والجديدة ، جميع الأوامر والتعليمات والواجبات الدينية والأخلاقية ، وأن كل مافعلوه لايتعدى التوضيح "لفكرة موسى" . ولم يترددوا بإيراد كل ماجاءوا به ، على لسان موسى ، وأكثر من ذلك يبدو أنهم أرادوا التركيز على بيانهم هذا وإظهاره وكأنه الوثيقة الجديدة للعهد ، مشوهين بذلك نوعا ما مفاهيم الأنبياء .

هذه الوثيقة وصلتنا في مجموعة البنتاتوك (الأسفار الخمسة) وهي إحدى أهم أجزائه : إنها تثنية الاشتراع المسماة أيضا دوتيرونوم (الشريعة الثانية) أي جاءت لاحقا .

- تثنية الاشتراع : تختلف بلغتها ، بمفرداتها ، بأسلوبها ولهجتها الخطابية - تختلف عن بقية وثائق البنتاتوك : ليست تثنية الاشتراع رواية تاريخية كأعمال اليهوي والألهيمي ، ليست مجموعة قانونية كوثيقة العهد : إنها قبل كل شيء عبارة عن موعظة تحض بحرارة على دعوة ، تظهر فيها الآثار التبشيرية للأنبياء .

وتثنية الاشتراع مدينة للأنبياء ولهم وحدهم بالتأكيد على التوحيد ، فكرة التوحيد التي تظهر لأول مرة في إسرائيل بهذا الشكل .

ولم يتوقف نشاط الإصلاحيين الأدبي على إعداد تثنية الاشتراع إذ كانوا يهدفون إلى إعادة نشر الشريعة نفسها وعلى ذلك أعادوا صياغة تاريخ شعبهم بكامله من منظارهم الخاص . تدخلاتهم واضحة في الأسفار التاريخية بشكل خاص ، في الأسفار التي تتبع تثنية الاشتراع : يشوع ، القضاة ، صموئيل ، الملوك ، لكنهم لجأوا إلى أسلوب آخر هو دمج وإعادة النظر بوثائق موجودة أضافوا إليها الشروح والتفسيرات أو دمجوها ببعضها بشكل محكم مما يعبر بوضوح عن اهتماماتهم ومذهبهم .

كتاب الملوك الثاني (ف 17 :2) يروي كيف عثر الكاهن الأكبر آنذاك في هيكل يهوى على سفر التشريع (ملوك ف 17 - ف 18) ، كان وقع قراءة هذا الكتاب على الملك كالصاعقة لأنه رأى الفارق الكبير بين شعبه والسفر المذكور ، هذا السفر بالطبع كان تثنية الاشتراع ، والذين وجدوه نالوا مبتغاهم : تجديد العهد رسميا وفق النص الجديد .

http://kotob.has.it

وفي هذه الوثيقة ، لايتعرف بصفة الإله لغير يهوى ، جاعلا يهوى على اتصال مستمر مع الكون وكأنه يشير بذلك إلى أن الكون وحده يليق بيهوى ، يهوى خالق هذا الكون وحافظه وحاكمه ، هذه الفكرة الجديدة يمكن أن تكون بابلية الأصل فتركت أثرا مالدى المنفيين وجعلتهم يفكرون بهذا الاتجاه .

وإن كل إنسان مسؤول عن نفسه أمام يهوى ، كل يحاكم فيعاقب أو يثاب حسب سلوكه الشخصي وبالتالي خلاص كل إنسان بيد ذلك الإله بالذات . وفي مناقشة بوتيرو ليعض الأعمال يقول : "هذه النظرة الجديدة قوبلت بالارتياح من قبل أولئك الذين اعتبروا أنهم يتحملو ما لايطاق بسبب أخطاء لايشعرون بالأمل في الخلاص منها" .

- أما حول حزقيال وتجديده فنرى التوراة تتضمن تجديدا :

فإن رسالة البعث والخلاص رسالته هذه تتعلق ببني إسرائيل وحدهم : بقية بني البشر يظلون خارج نطاق مهمة حزقيال حسب كتابه المحفوظ اليوم لدينا .

الشعوب الأخرى التي كان أشعيا الثاني يراها وقد تجمعت حول إسرائيل التي تأتي بدورها إلى يهوى ، يعتبرهم حزقيال أعداء يهوى وشعبه ، تماما كما كان قدامى الأنبياء - الكتاب الأوائل ، ينظرون إليهم وحزقيال هو واضع رؤية لاهوتية جديدة .

رأينا أشعيا الثاني يستنبط من السمو والشمول - الرب الحقيقي الوحيد وهو أسمى من الكل ومن أي شيء ، يجب أن يكون بالنهاية رب الجميع ورب جميع الكائنات ، قطب الجاذبية للكون بكامله - أما حزقيال فإنه رأى في هذه الفكرة العالية مبدأ الإبتعاد والإنزواء .

وبقية الشعوب ليست سوى ملكية خاضعة للرب وليس لها أن تأمل بإقامة علاقات معه أكثر من علاقة الماشية براعيها ، بالنسبة للكون يشكل يهوى محاطا بشعبه ، سحابة قدسية منيعة ، لاينفذ إليها .

كيف يتصور حزقيال أن إسرائيل ستلعب دورها كشعب مقدس يمارس امتيازا؟ بكل بساطة بالعودة إلى الطاعة المطلقة ليهوى ، طالما أن رفض الرضوخ لإرادته هو الذي أضاعها .

أصبحت الشريعة بنظر حزقيال موضوعا مركزيا وأساسيا في الفكر الديني إلى درجة فكر معها بتجديد عمل جماعة تثنية الاشتراع ، فكر مع تلاميذه بإعادة النظر فيها بما يتناسب مع العصر .

هذا وإن أكثر الأعمال المعاصرة لحزقيال والأعمال المعاصرة لفترة انتهاء السبي تتسم بطابع الانعزالية ونوع من الاهتمامات التشريعية ، التشريعية الدينية مما يجعل شعب الله ينطوي على نفسه ويصبح مغلقا وليس له علاقة مع إلهه سوى علاقة الطاعة ، الطاعة بشكل أساسي والتطبيق الدقيق لنص مكتوب ، يفرض أنه يعبر عن إرادة الرب بالذات على حد قول بوتيرو .

http://kotob.has.it

"سيظل بنو إسرائيل شعب الله المختار إلى الأبد ، على أن تقوم بالخضوع كليا لإرادته ويتم ذلك بالتطبيق الدقيق لشريعته المكتوبة التي تترجم هذه الإرادة" .

أما حول عزرا وجمعه و إصلاحه :

فما كان يتلوه عزرا هو بالنهاية ما كان يتلوه يوشيا قبله : النسخة الأخيرة من "شريعة موسى" بعد تنقيحها وإجراء بعض الزيادات عليها وفق منظور العصر ، وهي بدون شك مانسميه اليوم الوثيقة الكهنوتية بعدما أضيف إليها القسم التشريعي وبشكل خاص "قانون القداسة" .

لم يعد معها بالإمكان الحديث عن دين بني إسرائيل أو عن اليهودية بل عن الديانة اليهودية بشكلها المتأخر .

شغلت اليهودية الثلث الأخير من العصر التوراتي واستمرت بثبات بعده ، أنها لاتزال ديانة يهوى إذ يربطها به تقدم طويل جدا وبطيء ، لكنه دون انكسار ، ليس فقط إنها حافظت على عدد من قواعد اليهوية القديمة : الامتناع عن بعض الأطعمة ، الختان ، تعليمات طقوسية وأخلاقية ، وإنما ظلت متمسكة بفكرة التحالف مع الإله كأساس .

نلاحظ أن الألقاب التي أعطيت لعزرا صاحب الإصلاح ومعلنه ، المؤسس الحقيقي للديانة اليهودية كانت صفة "الكاهن" وصفة "المثقف" ، أي إنه أحد الكهنة الذين أخذوا يشكلون ، في النظام الجديد ، السلطة والطبقة الأساسيين ليس من الناحية السياسية بل من الناحية الدينية ، إنه رجل يعتمد على الكتابة . أما سبب الشعور الشعبي بهذا الكره للأجانب ، هذا الشعور العميق بالعجز والدونية اللذين ، رافقتهما ذكرى وحنين للأمجاد الغابرة وللازدهار القديم ، فاتصلت كل هذه العناصر بوعود النصر والخلاص ، فانبثقت عن ذلك كله عقيدة مؤداها أن الإله سوف يبعث إلى شعبه أعظم من داود "منذورا" مثله ، ملك يفرض السلم الشامل ويعيد للشعب حياة المجد والرخاء" . . وهذا الملك المنتظر هو المسيح أو المشيخا .

وجميع الأمم الأخرى - وهي عدوة الشعب المختار - معدة للزوال ، سوف تمحق بتدخل شخصي من الإله ، تدخل يتناسب مع قدرته اللامتناهية فتحصل كارثة كونية لن يسلم منها إلا الشعب القدسي العادل - سوف ينجو كما نجا نوح من الطوفان فيصبح سيد الأرض فلا يخشى الظلم ولا المجاعة بعد ذلك - ولعل لهذا السياق مايشابهه أيضا في المسيحية والإسلام ولو بشكل مغاير .

2- وكتلخيص حول الأسفار الأولى وقصصها:

فأما فيما يتعلق حول روايات الخلق فهناك فصلان (وهي توضيح لنظرية المصادر ودليل عليها) في سفر التكوين :

هذين الفصلين يتضمنان في الحقيقة روايتين اثنتين للخلق ، وبشكلون قلة .

منذ أكثر من مائة عام ، لفت نظر الاختصاصيين وجود نوع من الازدواجية في التوراة ،

http://kotob.has.it

نفس الحادثة تروى أكثر من مرة بأسلوب مختلف نوعا عن سابقتها ، المسماة بالتاريخية ، فدرسوا مفرداتها ، قواعد اللغة فيها ، أسلوب الكتابة وأخيرا إيديولوجيتها ، توصلوا إلى نتيجة مؤداها أن النصوص ليست من أعمال كاتب واحد وإنما جمعت من مصادر مختلفة . تسجيل الوقائع الإسرائيلية لم يتم دفعة واحدة خلال الألف عام الأخيرة التي عاشها هذا الشعب قبل الميلاد وفي القرن الرابع (ق .م) بغية الحفاظ على هذه الأعمال وبغية جعلها متوافقة ، تم تقطيعها إلى أقسام مختلفة الأحجام ، بما يشبه الفسيفساء وأعادوا تركيبها على شكل رواية متكاملة ، اكتشف فيها عدة مصادر بدل مصدر واحد .

بالنسبة لسفر التكوين ، تم العثور على ثلاث روايات مختلفة ومستقلة بالأصل عن بعضها البعض ، الأولى يمكن عزلها بسهولة عن الباقيين : لغتها مجردة ، أسلوبها فاتر وغير شخصي ، تواريخها دقيقة ، يكثر فيها الكلام المعاد ، مفهومها الديني خاص بها وهو كهنوتي الطابع ، وأخيرا مفرداتها متميزة - ذلك كله ساعد في تحديد هويتها وربطها بعصر متقدم من التاريخ الإسرائيلي ، أي بالتأكيد بعد السبي ، في أواخر القرن السادس ق .م وهي تكشف أفكار الكهنة في بدايات الديانة اليهودية .

وقد أمكن التمييز بين روايتين موغلتين في القدم إحداهما تنقل التقاليد الدينية والتاريخية لمملكة الشمال ، والأخرى لمملكة الجنوب حوالي القرنين التاسع والثامن ق .م ويبدو أن الرواية الأخيرة أقدم من الأولى .

والنصان المتبقيان من التوراة حول نشأة الكون هما قصيدتان ، الأولى مأخوذة من سفر أيوب وهي لاحقة للوثيقة الكهنوتية بحوالي 100 عام ، والثانية نشيد من سفر المزامير ، يصعب تأريخها نوعا وقد تكون من تاريخ متقدم في النصف الثاني من الألف الأول ق .م ، قد يكون مع ذلك ترتيبها بعد الوثيقة الكهنوتية مباشرة لأنها عبارة عن تقييم شرعي وتحليق غنائي حول ماجاء في هذه الوثيقة بالنسبة لموضوع نشأة الكون .

وسفر أيوب (المكتوب في منتصف القرن الخامس ق .م) مكرس لمعالجة مشكلة آلام وأحزان الرجل الصالح والعدالة الإلهية ، ويقتصر مايتعلق منه بنشأة الكون على إحدى عشرة آية الأولى : "يكون لدى اليهوي روايتين مختلفتين لنشأة الكون : الأولى فلسطينية على الأرجح ، والثانية ميزوبوتامية تتعلق بالوضع الجغرافي لأصل الكون ولمفهوم الأرض كجزيرة في وسط المحيط" .

"أما الأيام السبع التي احتاجها الرب للإنتهاء من عمله العظيم ، يبدو أن هذه الفكرة نابعة من إسرائيل ، وأحد التعاليم الأساسية في ديانة يهوى تركز على نظام أسبوعي ستة أيام عمل والسابع للراحة والعبادة" .

بينما نجد أن نشأة الكون والإنسان والحيوان في الوثيقة الكنهوتية :

" . . . نقطة البداية لم تعد هنا أرضا صحراوية مطلوب إخصابها ، بل سديم هائل مطلوب تنظيمه والإفادة منه . هذا السديم لم يعد من تراب ولكن من ماء" ، ولعل الرواية

http://kotob.has.it

الثانية كونية .

هكذا يتكون الإطار الثلاثي للكون : الارض ، السماء ، البحر . لم يبق إلا الاهتمام بكل واحدة منها على حدة ، فالنبات جاء متمما للأرض ، فسكنت النجوم السماء ، كما سكنت الحيوانات البحرية البحر ، وبقية الحيوانات الأرض ، وجاء الإنسان ، ملكا على الخليقة بكاملها وممثلا للإله على الأرض . وبذلك نرى أنه كانت هناك حوالي ثلاثة روايات مستقلة ما لبثت أن أدمجت في بعضها من جديد في رؤيا مخالفة حسب تطورات العصر .

وتتضمن التوراة تاريخ إسرائيل القديم حتى استقرار هذا الشعب في بلاد الكنعانيين ، فينقسم ذلك إلى سبعة أقسام وهي محتوى الأسفار الستة الأولى من التوراة :

أ- من بداية العالم إلى أصل إسرائيل : (تكوين ف : 1-11)

ب- أصل بني إسرائيل حتى إقامتهم في مصر : (تكوين نهاية ف 12)

ج- تكون شعب بني إسرائيل : (الخروج)

د- ميثاق التكوين : (الاحبار)

هـ- مغادرة سيناء لفلسطين : (عدد)

و- تعليمات موسى الأخيرة وموته ، قبل الغزو : (تثنية الاشتراع)

ز- الغزو : يشوع

هذه الفصول مثلها مثل بقية فصول الكهزاتيك ، ليست من تأليف كاتب واحد ، ولكنها تمت بعملية دمج "لروايتين مقدستين" مستقلتين بالأصل عن بعضهما ، حتى رأى جامعو التوراة ، بدافع التقوى وبدافع الحفاظ عليهما ، دمجهما على شكل الفسيفساء بقصة واحدة : هذا ماسيكرره في القرن الثاني بعد الميلاد ، أحد المدافعين عن العقيدة النصرانية "تاتيان" عندما جمع الأناجيل الأربعة بإنجيل واحد (دياتيسارون) . يمكن التعرف على كل واحد من هذه الأعمال بدراسة لغة العمل ، أسلوب المؤلف ، اهتماماته وإيديولوجيته - أي باتباع طريقة الجيولوجي إذ يدرس طبقات الأرض من حيث تركيبها والمتحجر فيها .

"وقبل أي شيء ، وبعد قليل من التفكير ، يبدو واضحا أن رواية اليهوي سواء فيما يتعلق بالخلق أو الخطيئة الأولى لايمكن وصفها بالتاريخية" .

. . . ومن خلال تعليقات بوتيرو أعلاه نتبين مدى ما أضافته ولعبت به الأيادي البشرية في تحوير المادة الأولية للنصوص المقدسة للتوراة والروايات ، والتي لاندري اليوم كيف كان وضعها الأولي .

3- حول تاريخ وأساليب كتابة العهد القديم:

وقد ورد في كتاب "قراءة مخطوطات البحر الميت - أهل الكهف - للأستاذة هالة العوري من منشورات رياض الريس ببيروت وفي الطبعة الأولى لأبريل 2000 ما ملخصه قولها «وهو يتفق مع مبدأ تعدد المصادر وتفتت المحتوى» :

" . . . ولقد خرج ويلهاوزن وبعد عقدين من الدراسة بنتيجة مؤداها أن تشكيل الأسفار

http://kotob.has.it

الخمسة الأولى من العهد القديم قد تم من مصادر مستقلة لاتقل عن أربعة وأن تاريخها يعود إلى الفرق مابين العهد الملكي القديم وعصور مابعد النفي ، الأمر الذي يعني أن الأسفار الخمسة الأولى ليست سوى وثائق أدبية تعكس معرفة مؤلفيها وعالمهم ، بما يبطل الاعتماد عليها تاريخيا في المراحل السابقة على تاريخ الدولة الموحدة" . «ص : 191 ، مرجع أعلاه»

كما أن طومسون يرى أن الروايات التاريخية في العهد القديم ليست سوى شظايا وذكريات مكتوبة أو شفهية تعكس بقايا دور خيالي غير مترابط مع الماضي ، فالعائدين من السبي البابلي ليسوا يهودا : فالتعامل معهم من قبل قورش مثلا هو في إعادة ديانة قديمة منسية أو إعادة بناء معبد ، ولقد شهدت المرحلة من 3500-2350 ق .م تقدما زراعيا ونموا سكانيا ملحوظا نتيجة لحقبة ماطرة أعقبها جفاف حاد امتد من 2350-1950 ق .م أدت إلى اضطراب النمط الزراعي وانخفاض مهم في عدد السكان . وكان ذلك هو السبب الحقيقي في الدمار المفاجئ لقرى ومدن العصر البرونزي القديم وليس نتيجة لغزو قبائل إسرائيل البدوية .

ووفقا لفيليب دافيز ، فالدراسات التوراتية هي في إعادة الصياغة لتفسير تقليدي يهودي لقصص التوراة مع تغليفها بقشرة براقة من العقلانية ولايعود ذلك مطلقا للتجربة المعاصرة آنذاك وانعكاسا لها ولايعبر عنها أبدا . ويتعجب هذا الباحث من السماح لبقية جد صغيرة كهذه من الهيمنة على دراسات الشرق القديم ويطالب بدراسة يهودا والسامرة كجزء من تاريخ فلسطين . فإسرائيل القديمة وفق طومسون ليست إلا صرحا ذهنيا بني على قراءة خاطئة متميزة للتراث التوراتي ومنفصلة تماما عن الحقيقة التاريخية ، «نفس المرجع ، ص : 206» ، أما إيليتش فيذهب من جانبه إلى القول بإنكار التوراة العبرية القديمة لعدم وجود دليل أركيولوجي واحد قطعي يثبت تواجد أبطالها أو يثبت حدثا واحدا لهم ولولا قدسية النص لرفض إيليتش ذلك التاريخ بالكامل .

ومن المعلوم والحقائق المتفق عليها أن كتابة أسفار العهد القديم قد تمت في الفترة بين القرن السابع إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، حيث قام بجمعها وتدوينها بعض الأحبار والكتبة في فترات متقطعة ومناطق متفرقة ، وقد دون معظمها في فترة النفي البابلي ولم تسلم النصوص من التنقيح والتغيير وعلى امتداد الفترات اللاحقة ، بينما اكتسبت الشرائع اليهودية صيغتها النهائية في أوائل القرن السادس الميلادي ، ويذكر أن أصول هذه الكتابات مفقود تماما وما يوجد حاليا هو مجرد نسخ (مرجع سابق ، ص : 208) .

ومن جهة أخرى فإن الباحث فرح الله صالح ديب ونقلا عن ساباتيو وسكاتي ، فيورد أن لفظي عبران وكنعان ليسا سوى لفظين وصفيين لأسلوبين متخالفين في العيش ، فالعابر هو البدوي الجوال بينما الكانع هو المزارع المستقر وهذا لايمنع من وجود عشائر تحمل اسميهما اشتقاقا .

. . . وتشهد الدراسات التاريخية في الغرب الآن توجيها مغايرا على اعتبار الآباء

http://kotobarabi.com

الجوالين - إبراهيم وإسحاق ويعقوب - وأبنائه الإثني عشر شخصيات حقيقية استنادا إلى معطيات الأركيولوجيا الحديثة بعد أن ساد اعتبارهم طويلا أشخاصا أسطورية .

وبات مؤكدا أنهم لم يكونوا يعبدون "يهوه" إله اليهود بل الله العلي ، كما كانوا يتحدثون لغة الجزيرة الأم العربية القديمة قبل تفرعها إلى لهجات عديدة ، مما يعد تراجعا عن الانبطاع الذي تعكسه قراءة العهد القديم والتي استقت الكثير من رواياتها من الحضارة البابلية كما استحدث الكثير من شرائعها من شريعة حمورابي (بعد وأثناء النفي) .

ولم يكن الإسرائيليون القدماء حسب العهد القديم يثبتون التوحيد المطلق بل عبدوا آلهة متعددة (أثناء ضلالهم) خصوصا آلهة الخصوبة والنماء كما انخرطوا في طقوس العربدة والجنسية في بساتين عشتروت . . . غير أنهم اعتبروا "يهوه" الإله الغيور وإله الجند وإلها خاصا بهم وحدهم . وقد تميز تاريخ بني إسرائيل بالصراع بين الوثنية والتوحيد طوال سبعمائة عام حتى الزمن البابلي ، (ص : 209-211= نفس المرجع أعلاه) .

ومما يذكر أن كتابة العهد القديم بما فيها أسفار موسى الخمسة قد بدأت بعد إيليا بقرون عديدة دون مراعاة لترتيب الأحداث زمنيا . . وإيلي هو المبشر بقدوم المسيح واعتقد القوم بهذه العودة لمدة قرون وذلك حول عودة إيليا أو قدوم المسيح (وذلك على مدى تاريخهم) وما ضمنوه في كتاباتهم .

a - تاريخ اليهودية وأهداف التوراة

ويرى الأستاذ سهيل ديب :

أنه قد تمت صياغة فكرتي "الشريعة" و"الوعد" في المنفى للمحافظة على تميز اليهود وانطوائهم . وتقول الموسوعة اليهودية لعام 1906 : "وأصبحت الحياة اليهودية منذ ذلك الحين منظمة حسب تعليمات الفريسيين كما أعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة النظر هذه وأعطي وجه جديد للتشريعات السابقة (السنهدريين) ، كما حلت سلسلة جديدة من التقاليد محل التقاليد القديمة ، وقد كيفت الفريسية طبيعة اليهود وكذلك حياة وتفكير اليهودي للمستقبل كله" ، ص : 16 - سهيل ديب - التوراة وغاياتها ، دار النفائس ، بيروت ، ط 1 ، 1972 .

ويعرض نفس الكاتب لتاريخ اليهود القديم والمذكور في الأسفار الستة الأولى من التوراة ليقول بأنه لايتمكن التحقق من صحة هذا التاريخ من أي مصدر آخر سوى التوراة ، أما علماء اليهود منهم فهم يعلنون صراحة أن تاريخهم القديم قد أعيد وضعه من وجهة نظر فريسية ، وقد نشأت اليهودية الأرثوذكسية المستندة إلى هذه الشريعة في بابل حوالي العام 400ق .م فقط ، وعلماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم قد جرى وضعه خلال وبعد النفي البابلي ووفق مخطوطات مفقودة أو اعتمادا على الموروث الشفهي .

أما عن منشأ ذلك ، فإن نبوءة "حزقيال" الموضوعة خلال 592 ق .م و570 ق .م فقد

http://kotob.has.it

كانت بداية سيطرة المبدأ الفريسي على اليهودية كدين : فنبوءة حزقيال تتجاهل تماما الأسفار الستة الأولى من التوراة مايحمل على الاعتقاد أن هذه الأسفار الستة لم تكن موجودة البتة في زمن حزقيال . وقد أصبحت هذه النبوءة فيما بعد ثابتة في الكتابات اللاحقة للعهد القديم ورتبت بتشابه منطقي في رموزها . وكذلك نجد أن معظم الروايات الذي ذكرت في الأسفار القديمة على أنها من صلب التاريخ اليهودي ، إما قد نقلت عن قصص وأساطير بابلية ومجاورة قديمة جرى تحويلها وتعديلها لتتماشى مع الرواية القدسية عن تاريخ اليهود مثل قصص التكوين والطوفان وبرج بابل وغيرها . (رغم إقرارنا أن هذا القصص كان في أصوله وفق تبليغ نبوي ربما لموسى أو لغيره) ، وربما كانت الأصول قد ضاعت أو فقدت تماما أو أنها لم تكن سوى جزئيات تم إتمامها من التراث المجاور في المنطقة .

. . . أما عن أسفار التوراة ، فيجمع الباحثون على أن كتاب "حزقيال" وضع أولا ومن ثم ركبت من حوله الكتب الأخرى وعلى رأس هؤلاء العلماء اليهود أنفسهم .

وقد وضع الكتبة البابليون الشريعة ومفهوم الوعد ، وكما يقول الدكتور "روبن" "فقد اتخذ هؤلاء إجراءات استثنائية لعزل اليهود عن بقية العالم ونظموا حياتهم الخاصة تنظيما دقيقا قاسيا ومنسجما مع فترة السبي البابلي وأوضاع جاليتهم في المنفى" .

ولقد كتب الكتاب المقدس - التوراة - بعدة لغات : العبرية والآرامية واليونانية كما رأينا ، وفي فترة لاحقة كتب جيروم التوراة اللاتينية ، وقد تم اعتماد النص بعد ذلك بكثير في شكله الرسمي ، وقد خضعت النصوص لترجمات وإضافات عديدة وعلى مر السنين ومن قبل مؤلفين كثر - كما يقول جان لوك بوتيه - .

وتعود كتابة النصوص المقدسة اليهودية إلى مملكتي الشمال والجنوب في القرنين السابع والثامن ق .م وذلك لتوفر الكتبة والسجلات الملكية والإدارية والتاريخية ثم تفرق ذلك الجمع وتشتت وأعيدت صياغته بعد النفي البابلي عام 532 ق .م وسقوط القدس على مايذهب إليه يسير خبير من المدرسة اللاهوتية لليون بفرنسا إضافة إلى جان لوك بوتيه والذي يرى أن كتابة التوراة والنصوص المقدسة اليهودية لم تبدأ إلا بعد النفي في القرنين الخامس والرابع ق .م . واستنادا إلى أسلوب الصياغة الأدبي للنصوص والأحداث التاريخية الوارد ذكرها ، يمكن القول أنه لم تتم كتابة العهد القديم إلا بعد العودة من المنفى البابلي في ظل الفرس فاليونان .

وقد قام الكتبة واستنادا إلى وثائق من مملكة الشمال بإعادة صياغة سفر التثنية ويوشع بطريقة الاستناد إلى النصوص القديمة مع تكييفها مع متطلبات النفي إعدادا لبدء تاريخ ديانة كتابية ، وهكذا أصبحت نسخة سفر التثنية المراجع مرجعا للصوامع والبيع اليهودية ، أما كتب النبوة والكتب التاريخية فيعود تاريخها هي الأخرى من حيث التدوين كتابة إلى عهد المنفى البابلي ، وهكذا يكون الجزء الأكبر من مادة العهد القديم يعود الفضل في

http://kotobunas.it

إثباتها كتابة إلى المنفيين في بابل وذريتهم من بعدهم .

وكذلك الأمر بالنسبة لقصص الآباء الباتريارکيين حيث نلاحظ عدم التركيز هنا على تميز شعب ومملكة إسرائيل بل هناك في سفر التكوين دعوة للتآخي في ربوع فلسطين وسوريا بين جميع الممالك والشعوب ، وهكذا أصبحت هناك أمة مغلقة تحت رعاية "الرب يهوه" تعالى وتقدس .

أما وفيما بعد فقد تم إقرار التفرد والتعالي لشعب إسرائيل عبر التاريخ ، أما الكهنة فهم أول من جمع في أسفار قصص كبار الأنبياء كما في سفر التكوين أو سفر الخروج وهكذا بدأت تتشكل نواة التوراة أو أسفار موسى الخمسة الأولى مع التمييز بين ثلاثة مراحل من الوحي الإلهي لبني البشر حيث يسمى الله بإلوهيم في سفر الخروج وخلال الفترة الإبراهيمية حيث يسمى الله بالشداي وأخيرا مع موسى يسمى بيهوه وكما رأينا سابقا .

وقد وضع الكهنة تحت إمرة الحكم الفارسي قواعد السبت والأطعمة والختان وعيد الفصح مع بناء الهياكل للعبادة ، وهكذا كان هناك كتبة "ثنويين" (سفر التثنية) وكهنة معبديين حيث اجتمع الفئتان معا لكتابة الأسفار الخمسة الأولى من التوراة وقد كان للكتبة والكهنة الباع الأكبر في إعادة الصياغة والترميم هذه من مصادر مختلفة ليصبح لليهودي نسخة سواء أكان في المنفى أم في أرض "أسرائيل" . . . فيما بعد ، وما الإضافات السابقة الذكر إلا مثار تساؤلات كبيرة .

وهكذا نستنتج أن التوراة ليست كتابًا واحدا متجانسا بل مجموعة كتب كثيرة حيث امتد تاريخ كتابة هذه النصوص عشرات القرون ولم يتم تجميع الكتاب الأوحد إلا بشكل تدريجي من خلال عدة مراكز للكتابة والتدوين ، مع وجود أسباب سياسية وأحداث دينية مختلفة ، وتمت إعادة صياغة بعض الكتب المكونة للسير والأسفار عدة مرات متتالية وبأيد متعددة ولم تكتب هذه الكتب خلال فترة واحدة وأخيرة قط ، وهكذا نجد عملية طويلة من الإضافات والحذف وإعادة الصياغة على مدى أحقاب .

أما تحت التواجد الفارسي ، فقد ميز روح الكتابة للنصوص الرغبة في إعادة الروح إلى الجذور لشعب أضاعته الأحداث وليس فقط إعادة النهوض بأمة من الناحية السياسية بل ومن الناحية الدينية والاثنية - العرقية وتميزها عما سواها ، وهكذا أصبحت هناك أمة مغلقة لتفادي الانصهار بدعوى كونها تحت رعاية "الرب الملك يهوه" . . . .

وهكذا اقترحت مؤسسات للحكم تحت رعاية عاهل وكاهن أعظم وانعكس ذلك على عملية إعادة صياغة الكتابات المقدسة من حيث كون كل نبي كان له كاهن أعظم يأزره ووضعت قواعد الراحة يوم السبت ، ورقمت النصوص خاصة في سفر التكوين لتستجيب لهذا المطلب وأنيط ذلك بالرب ، وأصبح يوم السبت الذي كان يتميز فيما مضى ببهجة وسعادة يعني تعطيل كل مظاهر الحياة والانصراف للعبادة وقراءة النصوص المقدسة . . كما أصبحت عودة المنفيين من باب تماثل خروج موسى وقومه من مصر ، وأعيدت صياغة

http://kotob.has.it

الاحتفالات بهذه الذكرى لتصبح رمزا لعيد الفصح وأعياد أخرى تاريخية عند اليهود على مايرى من ذكرنا من مؤلفين فرنسيين في السياق وقد صدرت مقالتهم في مجلة عالم الكتاب المقدس لمؤلفين يهود ومسيحيين بباريس . أما تحت الحكم السلوقي فقد كتب يهودي من الإسكندرية حكمة سليمان بعد موته بثمانية قرون حوالي نهاية القرن الميلادي الأول أما كتابة كتاب طوبيت فلم تتم إلا بين نهاية القرن الرابع وبدايات القرن الثاني .ق .م وكتاب دانيال دون عام 165 ق .م .

ومما يذكر أن المكابيين الأول والثاني المكتوبان عام 125 ق .م . لايشكلان جزءا من الكتب العبرية اليهودية ولكن الكنيسة اعتمدتها في كتب العهد القديم .

b – الحق التاريخي والبحث العلمي : شلومو صند shlomo Sand ومجلة الكتاب المقدس

ورد أنه منذ سنوات قام باحثون في علم بقايا الحيوانات من قسم الأنطروبولوجيا بجامعة ألاباما برمفهام بالولايات المتحدة بعملية البحث حيث يتبين وجود بقايا لعظام حيوان الخنزير في المناطق التي ادعت التوراة أنها كانت يوما مقاما لبني إسرائيل وممالكهم وحسب تأريخها أم لا . وكانت النتائج سلبية تماما وتفيد وجود هذه البقايا- علما بأن أكل لحم الخنزير محرم على اليهود – وهكذا تهاوت محاولة إثبات أي تواجد يهودي في المنطقة في الحقبة المنصوص عليها ، وتوصل توماس تومبسون وإسرائيل فرانكشتين إلى الاستنتاج بأن مملكة إسرائيل الواسعة الأرجاء كما ادعت التوراة في عهد الملك سليمان لم يكن لها وجود بهذه العظمة حيث لم تعدو كونها دويلة محدودة المساحة جدا لم تكن فيها القدس أكثر من قرية ، وهكذا ضخمت الكتابات اليهودية من تاريخها ولم تعدو أن تذكر ماض خرافي لاغير حسب الأبحاث الأركيولوجية المعاصرة والتي قزمت من كون التوراة تأريخ لتاريخ الكون . «عالم الكتاب المقدس – باريس /ص 98»

ويرى شلومو صند في كتابه : كيف تم اختراع الشعب اليهودي "والمكتوب بالعبرية أولا وفي ترجمته الفرنسية عن در فايارد بباريس بطبعة 2008 يرى الكاتب أن مفهوم اليهودية لم يكن معروفا قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حيث اعتاد اليهود على معايشة القوميات التي يتواجدون فيها وكان ولاؤهم للأمة والأرض ولم يكونوا بأكثر من أقلية دينية متعايشة بسلام .

ومع بدء حركات التحرر القومية بأوربا وخاصة الوحدة الألمانية ، برز مفهوم إعادة صياغة تاريخ إسرائيل بحثا عن جذور ما . وهكذا عالج Graetz هذا الموضوع متخذا الكتاب اليهودي المقدس مرجعا في إعادة صياغة قرابة ألفي عام دون ركائز حقيقية وعلمية ودون مفهوم الاستمرارية طبعا . وحوالي العام 1860 تناول HESS تاريخ الممالك العبرانية وصعد بالأصول إلى إبراهيم والآباء الجوالين متخذا من مفهوم العرق المتميز والشعب المنفي مبدأين يحاول البرهنة عليهما وذلك في مجموعته عن تاريخ اليهود والممالك .

http://kotobmas.it

وبذلك تم وضع النواة الأولى لتاريخ شعب يهودي ذي إثنية خاصة وكتاب مهيمن بعد أن لم يتواجد هذا الأمر قبلا قط . وكان هيس وغراتز معاصرين الواحد للآخر وأخرجا معا مفهوم التفرد الخاص بالإسرائيليين على أساس التوراة التقليدية دون قبول التطور والتعايش اللذين عرفتها الديانة اليهودية وقتها . كما شدد HESS هيس على العرقية والأصول والمفهوم القبائلي حتى في الخصائص التشريعية لليهود ، واستنتج أنهم يشكلون أمة وشعب قاوم للبقاء على وجوده على مر العصور وعليه أن يعود إلى أرض أجداده في كنعان . وهذا الشعب هو شعب خارق وسيخلص الإنسانية برمتها ، واستمراره حيا بمثابة معجزة !!! هكذا ومن فكرة دينية لأقليات ، تشكلت الركائز النظرية لمفهوم العرق المتميز والأرض الموعودة والأمة المتفوقة الكاملة الإعجاز والتي لايشابهها أحد في الإنسانية وتاريخها انتهاء بعام 1875 بألمانيا . ونرى شخصيا أن مفهوم المواطنة القائم على الدين والتشريع التنظيمي وذلك لمختلف الميادين والمستلهم من الكتاب هو مفهوم وضع أولا وفي القرن التاسع الميلادي في عصر ازدهار الإمبراطورية الإسلامية حيث لاحدود جغرافية في دار الإسلام وحيث اللامركزية الإدارية ولاتوجه الجيوش إلا ضد دار الحرب . أما المواطنة والولاء فهما عاليان ويخضعان لمفهوم الأمة الإسلامية مهما كانت أصولها أو أعراقها أو إثنيتها . وكان هذا المفهوم يحقق الركائز الثلاث الرئيسية القانونية لمفهوم الدولة من حيث الرقعة الجغرافية والأمة والسيادة للفئة الحاكمة . وهو ما كان متحققا .

أما المفهوم الذي عالجه Graetz و HESS فهو إسقاط استقبالي لماض افتراضي تاريخي وتفسير منمق لتراث وكتاب ديني على أساس عرقي . وبذلك فلا عنصر الأرض أو السيادة موجود أصلا أي لاوجود لمفهوم الدولة . أما الدين فقد تحول إلى بوتقة لصهر قوميات مختلفة ومشتتة عبر العالم عبر إعادة إحياء المطالبة بأرض الميعاد ضمن دولة ذات سيادة . وهي الدعاوي التي ظهرت للوجود لأول مرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد بألمانيا وكما رأينا .

وبعد سنوات قليلة ، حاول ولهاوزن وأرنست رينان دراسة التوراة ، ووجدا أن نواة مفهوم الشعب المتفرد كانت فكرة متأخرة جدا ولم توضع حول نسيج النص المقدس إلا لإعادة الروح لأفراد مقهورين بعد المنفى البابلي . . . وبذلك فالنصوص اليهودية المقدسة حتى هي تتكلم وتتمحور عن وجود هش حاول بعض الكهنة بث الروح فيه من جديد وقد كان هذا الوجود متواضعا ومتقطعا . ورأى دبونوف أن مفهوم الدولة - الأمة الدولية والذي ينطبق على إقامة دولة يهودية شبه مستقلة ، هو مفهوم مستحيل في المحيط العالمي لتعدد الدول وعدم إمكانية المطالبة بالإدارة المتميزة ، لذلك رفع هذا الأخير من قيمة الدين ليجعله الركيزة الأساسية في المطالبة بإقامة الدولة القومية لليهود حوالي العام 1891م فوق رقعة جغرافية ما .

وقد حاول دبنوف إعادة صياغة التاريخ اليهودي والعودة به أبعد مايمكن في الزمان أي

http://kotob.has.it

إلى حوالي القرن العشرين ق .م . وكلما كانت تخطئ ملاحظاته وآرائه استنادا إلى التنقيبات الأثرية في فلسطين والجوار ، كان هذا الكاتب يفضل الاعتقاد أن الكتاب المقدس لايخطئ أبدا وهو الصواب رغم أن عمله كان متعسفا .

أما الحملة المعادية لهذه الكتابات - وقبل أن تأخذ شكلها العقائدي السياسي وعبر الحركة الصهيونية - فقد كان سيرها في ألمانيا ومنذ نهايات القرن التاسع عشر هي ضد هذا الشكل من الدعوة المطالبة بتفتت الأمة الجرمانية وقيام دويلات عرقية يكون ولاؤها دينيا أو إثنيا وليس وفق مبدأ المواطنة الحقة . وهو ما لمسه المؤرخون والنقاد الألمان لهذه القراءة الجديدة للكتاب المقدس من قبل مفكرين يهود ألمان أيضا .

وفي نهاية الثلاثينات من القرن العشرين كان إتمام ووضع اللمسات الأخيرة للنظرية التاريخية الصهيونية على يد باير Bear والذي اعتبر أن التوراة وجميع محتوياتها وإشاراتها هي صحيحة تماما ومنذ عهد الآباء الجوالين العابرين مرورا بتاريخ الممالك وغيره . كما أن الكتاب المقدس لايمكن إلا أن يحوي كلام الله على الحقيقة . وبذلك ضرب هذا الباحث عرض الحائط بالحقيقة العلمية قصد تعميم دراسة تاريخ عضوي مستمر لدولة إسرائيل التي نشأت فيما بعد وكان هذا جوهر نظريتها الإيديولوجية في مفهوم الأمة والشعب والدين . . الخ . . وذلك على أساس قراءة خاطئة وتفرد عرقي . وتم إحياء اللغة العبرية القديمة لتواكب هذا الهدف في هذه الحقبة .

وما كان ذلك وماتبعه إلا نتاج الاستناد إلى أسطورة أبصرت النور مع منتصف القرن التاسع عشر الميلادي .

وختاما ، يرى شلومو صند في كتاب موشيه ديان" : الحياة مع التوراة" وذلك بعد حرب 1967 يرى في هذا الكتاب تضخيما مبالغا فيه للإسرائيلي الذي زرع فيه خيال وطني مخترع وذلك في توافق تام مع الأهداف السياسية لمجتمع استعماري استيطاني .

وأنيطت لجان للبحث الأركيولوجي في فلسطين وتم استبعاد كل برهان علمي أو تاريخي في حال تعارضه مع النظرية الاستيطانية حول سبق التواجد اليهودي وتفوقه وبلوغه القمة الحضارية ومنذ القرن العشرين ق .م وبصورة مستمرة في "أرض الميعاد" . ولكنه بسبب الضغط في تفسير المعطيات الأثرية للتنقيبات ، فقد بدأت في السبعينات مرحلة الشك حول كل ما حيك من نظريات دينية وكذبت المكتشفات والدراسة الأركيولوجية في المنطقة وكل الدعاوي التي ذكرنا . وحسب ما أورده "صند" فالتواجد اليهودي كان تدريجيا ونتيجة اعتناق السكان المحليين للتوحيد . وكانت الممالك ذات رقعة جغرافية متواضعة وقوة محدودة وعبادة متأرجحة ، وهكذا يستنتج شلومو صند أنه لا أساس تاريخي أو أثري لجميع الدعاوي بأرض الميعاد .

4- مبحث في مصادر سفر الخروج وسفر التكوين من التوراة ومحاولة إعطاء تاريخ نقدي للنص:

http://kotobarabi.com

أما حول مدلولات نبوة موسى وما سطرته التوراة المنسوبة إليه ، فهناك مقاطع منها إذا ما عالجناها وقعنا في مطبات لامخرج منها :

وإذا ما فرضنا أن نبي الله موسى كان جاهلا تماما بالديانة الإسرائيلية (ديانة الآباء في الصحراء من قبله) لأنه قد تربى في كنف آل فرعون . . فلعله من المستغرب تعرفه على إلهه عند أول تجل "ليهوه" الله له مخاطبا إياه بكلامه المقدس . . ولعل هذا الجهل هو السبب في عناد موسى أولا وبذلك أمكن استثناء جميع الجمل والمقاطع التي تورد عبارات عن تعرف موسى بإلهه أو بصفاته كما هو مثبت أو مسبقا لذلك الحوار بينهما كما دون في التوراة ، ووفق ما تورده حول حيثيات ذلك من معجزة العصا والنار المتقدة بلا دخان . ونجد أن ذلك ليس بدافع لكي يفهم موسى منطق الرسالة التي كلف بها تجاه الفرعون وتجاه شعب بني إسرائيل . . أو حتى أن يقتنع حتى من قصص من سبقه بذلك فهو لا دراية له بها وهو لاعلم له بذلك مطلقا مسبقا بسبب طبيعة تربيته في كنف الفرعون - أما نبوة موسى ومعجزاته فهو مما لانوارب به مطلقا ولا ندري كيفية توضيح موسى للفكرة حول فحوى رسالته وجزئياتها إذ لا ذكر لذلك مطلقا في التوراة اليوم . . ومن جهة أخرى ، يمكن اعتبار أنه كانت لموسى فكرة مبهمة عن الإله الأوحد وألم بني إسرائيل تحت الاضطهاد في مصر وذلك عن طريق شقيقته مريم التي فاتحته بكونه عبرانيا وأنه مكتوب في الأخبار الأولى أنه ربما يكون المخلص . . ولكن فترة مصارحة شقيقته له بالحقيقة لم تتعد لحظات وهو ما تغفله التوراة تماما في سفر الخروج المؤرخ لموسى وقام موسى إثرها بقتل أحد رؤساء العبيد البنائين ، وهرب تائها في الصحراء إلى مدين .

ولاتذكر التوراة إثر تكليف موسى بالرسالة للمرة الأولى ، أي هبوط ملائكي أو أي تجل وذلك بهدف تعريفه بمبادئ رسالته ولذلك وجب دراسة التوراة وفق منطق الأحداث لا حسب ماورد فيها ربما من حشو أو حذف مع إغفال الأهم ، وهذا بهدف تشييد تاريخ زمني لكتابته تباعا ومصادره ، ونساخه وإن كنا نرى ضرورة توضيح رواية تكليف موسى البني كجزء من المقدس المحفوظ!!

وكاستنتاج لما سبق ، يمكن القول أن التوراة قد أغفلت الكثير من الحوادث الهامة في تدوينها لسير الأنبياء كما يمكن البحث عن مصادر كل سفر وإعادة صياغاته منطقيا وذلك عبر تقديم وتأخير لبعض المقاطع فيه ، والوصول إلى تأريخ تقديري لتوالي النسخ عبر إغفال التوراة لبعض الأحداث ثم إعادة ذكرها لاحقا في إصحاحات وآيات وردت في سياق آخر من النص وفي سفر آخر . ويعود ذلك إلى كون كتبة التوراة قد اعتمدوا التسلسل الزمني في ترتيب تدوينهم للأحداث . . أما القرآن كمثال آخر فإنه يوضح ويزيل الإبهام عن الغموض الذي ورد في نصوص التوراة رغم اقتضاب أسلوبه وميله إلى الاختصار والجزالة . وإن كنا نرى أن التوراة هي اليوم أشبه بالـ PUZZLE وإعادة تفتيتها يفقدها تماما وحدتها .

http://kotob.has.it

هذا وإن التوراة تميل في بعض مقاطعها إلى إيراد تفاصيل لاطائل منها بينما تتغاضى وتغفل في أحيان كثيرة أخرى جزئيات وجوهريات أساسية لابد من وجودها لفهم السياق واستنتاج حقيقة سيرة الأنبياء وبالتالي مفهوم العقيدة ككل ، فأسماء الأفراد والقبائل حشو لاطائل منه اللهم إلا إذا كان بهدف اثني وفيما بعد طويلا . وحول تعرف نبي الله محمد على كنه وحيه ، فالحديث واضح في كون أول مفاجأة في غار حراء تبعها فترة الوحي ، ولكن الصحاح تذكر لنا عن رؤية رسول الله مرارا لجبرائيل مغطيا الأفق معلنا له أنه نبي ومرسل إلى العالمين وأنه رسول من الله .

ولاتغفل السنن التأكيد على اجتماعات محمد بالملاك الموكل بالوحي لتعليمه وتفقيهه خارجا عن آيات القرآن المنزلة وذلك حول الأحكام والشرائع والدعوة . . . فقد كان ممن يلازمه - بالعلم ، وربما بالرؤية - فالشك في معرفة النبي محمد لرسالته كما يذهب إلى ذلك بعض المستشرقين هو دعوى واهية ، ومن هذا المنطق تمت مقارنة القرآن بالتوراة ومحاولة إيجاد تاريخ لنصوص القرآن وتاريخ التنزيل وتم استنتاج أوائل النصوص ومدى تعرف محمد على وحيه وكنه إلهه . . وكله بالاعتماد على القرآن فقط ، فالسنن واضحة في تواجد وحيين : كلام لله منطوق وتعليم موازٍ لأصول الدعوة من قبل أمين الوحي . وهو مايغيب عن المقدس الرديف اليهودي عدا التلمود والمدراشيم ربما حيث التواتر الشفهي للأحبار حول القصص والشرائع . . وربما هي من اجتهادات وتعليقات الكهنة .

هذا ويعتقد الباحثون والدارسون أن مجموع الكتابات اليهودية المقدسة مفقود تماما في أصوله ، أي أن أصول كتاب موسى وغيره من الأنبياء لم يعد لها أثر سوى بعض الأحداث المجملة والتي حرفت وحورت وبتر منها وأضيف وحذف وعلى مدى يدنو على ثلاثمائة وألف سنة ولم يثبت تواجد أي أثر لعقيدة تشريعية واضحة منظمة لقوانين المجتمع قبل بعثة النبي موسى والديانة اليهودية ، وقد فقدت هذه الكتابات بأجمعها وباعتراف اليهود أنفسهم الذين يرون في عزرا الكاهن واضعا ومصنفا وكاتبا لنسخ التوراة المقدسة بعد العثور على نسخة منها في بابل إثر النفي لبني إسرائيل وبعد تهجير هذا الشعب والقضاء على الممالك اليهودية بفلسطين .

وصيغت التوراة على عدة أجيال ، وكانت المقتطفات المخطوطة واللفائف المتفاوتة التواريخ يعاد لصقها بعضها بعضا فقط لتشابه المحتوى دون الكاتب أو تاريخها الحقيقي .

وقد رأينا من الدراسة مقدار التحوير في الرسالة الإلهية وتناقض محتوياتها مع العقل والعلم . . "ولعل الأصول الأولى لو بقيت لكانت أحكامنا مختلفة" . وقس ذلك على مبدأ التفضيل والاختيار والأثرة من الله لبني إسرائيل ، وهو مبدأ في الاستعلاء وضع لاحقا وبعد العودة من بابل لتعويض هذا الجرح العميق الناتج عن العبودية والأسر والتشريد ، وحفاظا على وحدة ونوع شعب ما وليس عن طريق إفراد العقيدة ووحدتها بل لقد كان ذلك باللجوء إلى أفكار غريبة موغلة في التفرد والعنصرية والتعالي وكله لاحق ، فالله تعالى

http://kotob.has.it

لايمكن أن يعلمنا إلا العدل والحق والصواب والمساواة ، وحتى عند اختباره لنا فمجازاته لنا على حسب أعمالنا ولعل ذلك في المعاناة وفي تكرار الرسالات والنبوات في بني إسرائيل .

وبذلك نرى أن الكتاب المقدس اليهودي مفقود تماما في أصوله الأولى المنزلة على الأنبياء الأوائل في عصورهم وأن مالدينا اليوم هو مجرد صورة مشوهة لبعض مما كان يحويه كلام إلهي جرى تحويره بما يستجيب لأهواء الناس .

وهذا وإن المرتكز الوحيد الذي كان شائعا هو التراث والموروث الشفهي الذي لم يدون إلا متأخرا جدا . . وإن الرواية تكيفت مع مقدار الهوى الإنساني في ذلك وفيما دون لاحقا وبعد ردح من الزمان وأصبحت اليهودية تكيفا مع الزمان وبعيدة كل البعد عن الوفاء لأصولها الأولى .

حاشية وملاحظة :

ويبدو أن الأسباط الإثني عشر المقصودين في فترة نبوة موسى هم مجموع فئات وقبائل قوم موسى من الموحدين الذي أصبحوا يعرفون باليهود . . وذلك ليس بتخصيص في أبناء يعقوب بن إسحاق كما تذكر التوراة ، إذ أن الأنساب كانت مندثرة وقتها وهي حصر في بضع عائلات ولايمكن أن يكون قولنا "بنو إسرائيل" إلا من باب تشريف يعقوب في نسبة اليهود إليه جميعهم ومعلوم أنهم مصريون ومهاجرون وعبرانيون ومخلطون وغيرهم ، وهم من فئات وقوميات وإثنيات مختلفة كما كانت حالة جميع أتباع الأنبياء الكبار ونقباء الأسباط هم الأشراف منهم تخصيصا أي في ذرية إسرائيل .

أما قولنا "الأمم" كما في القرآن فهو بمعنى تفرق اليهود فيما بعد في بلدان ومناطق وقوميات هجراتهم المختلفة ، وهو ما أصبح يعرف بالدياسبورا أو الشتات وهو كان حالهم دوما وقد ذكر ذلك غير ما كتاب سماوي كقوله سبحانه "وقطعانهم أسباطا أمما" والأمة هي القوم أو الفئة العديدة الأفراد وذات الخصائص المحددة والمشتركة .

ولعل من خصال بني إسرائيل الرفض المستمر والادعاء بالتميز والعجب وبعدم الرضى وبالخروج عن الطاعة والظلف والعلو التكبر . . فهذه الخصال مزيج لأنواع مختلفة وعلى درجات منها مع رؤيتهم للآيات بأم أعينهم ورغبتهم في آلهة غير الله رغم قرب عهدهم بمعاناتهم فنجاتهم ، ولعلها خصال موجودة في الكثير من الناس وليس في اليهود حصرا بل حتى هناك من العرب والمجوس والروم والفرس من سيشابههم في الكثير من ذلك ، خرجوا عن البرهان الدامغ والمنطق ، وفضلوا الزائل على اللاحق والباقي ، ولعل ذلك يكمن في قسوة القلب .

5- الموقف الكهنوتي للأحبار والموقف الكنسي ومحاولة نقدهما :

ولكن اليهود سواء كانوا عبريين أم سامريين فإنهم يقومون بتأويلات وتفسيرات لاتخطر على بال المسيحيين وذلك لعدم إلمام هؤلاء الأخيرين ببواطن اللغة العبرية وأسلوب التأويل

http://kotob.has.it

أي الزوهار Zohar في خصائص الأرقام والحروف والبواطن والقبالة Kabbalah وحقيقة الكتب ، فتظهر الافتراقات بينهما واضحة جلية : ومنها فكرة بعث الأجساد والتي أضحت عند البروتستانت اليوم روحية لاغير ، رغم أنه قد تم الاستناد أولا إلى نفس النصوص ولكن وفق ترجمات مختلفة قد تكون يونانية أصلية أو لاتينية (راجع ترجمات الإصحاح الـ 19 من سفر أيوب) وما افتراق تعاليم الكنيسة تبعا لذلك في كثير من المناحي إلا في الاعتماد على ترجمات من أصول متباينة وغامضة وفق لغات مختلفة وأسفار زائدة أو ناقصة ، ولعل ذلك يعود إلى غياب حركات التنقيط أو الشكل عن الأحرف العبرية القديمة المربعة والتي بها كتبت نواة النصوص الأولى وأصبحت بالتالي عصية على الفهم مع الزمن .

هذا وإن السامريين يؤمنون بمجيء مخلص ولكنهم يجزمون بكونه من نسل النبي يوسف عليه السلام بخلاف العبريين الذين يريدونه من نسل النبي داود ، وإذا ما راجعنا سلسلة نسب المسيح في كتب الأناجيل وجدنا الارتباط بينا بين الدعوة المسيحية وأصولها اليهودية العبرانية ، فهذا الأخير من الأنبياء جاء وسط اليهود -وركزت الأناجيل على نسبه الملكي . كما نلاحظ من جهة أخرى أن هناك بعض الافتراقات اللغوية في نصي التوراة السامرية والعبرية من بتر ونقص وزيادات تؤدي بالنص إلى تأويلات متباينة قد تتسع في أحيان كثيرة وتضعنا كقراء أمام اختلافات جلية حتى في الأسفار الخمسة الأولى فقط لموسى علما بأن الأحرف السامرية تعود للعبرية القديمة بينما العبرانيون قد اعتمدوا الحرف الآشوري المربع فيما بعد (أي أغلبية اليهود اليوم . .) والنصوص السامرية مختلفة اختلافا طفيفا ولكنه قد يعطي معان مغايرة تماما للمقصود من سياق الكلام في النسخ المعتمدة وللنص نفسه وحتى لأتباع مذهب واحد .

وكتلخيص على ماسبق نسوق تعليقا لبعض رجال اللاهوت حيث يقول شارحو الكتاب المقدس (الترجمة الفرنسية المسكونية) والتي نشرتها الرهبانية اليسوعية (بيروت) : حيث يرد : "أسفار الكتاب المقدس هو عمل مؤلفين ومحررين ، ظل عدد كبير منهم مجهولا لكنهم على كل حال لم يكونوا منفردين لأن الشعب كان يساندهم . . . معظم عملهم (مستوحى) من تقاليد الجماعة ، وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها انتشرت زمنا طويلا بين الشعب وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات ، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية" .

ويذكر شارحو الكتاب المقدس من كبار علماء اللاهوت المسيحيين أن الحضارات الموجودة في شعوب الشرق القديم قد أثرت تأثيرا عميقا في أولئك الذين قاموا بكتابة أسفار التوراة والعهد القديم :

"يتعذر علينا حصر أصل إسرائيل (أي بني إسرائيل) وهذا شأن معظم الشعوب ، فقد سبقت دخول إسرائيل في التاريخ حوالي سنة (1200) قبل المسيح (سنة الخروج من مصر

http://kotobnas.it

تقريبا) حقبة تكوين طويلة (ثمانية قرون أو تسعة) تكاد تخفى كلها على المؤرخين" .

وينقسم علماء اليهود والنصارى إلى طائفتين عند دراستهم لما يسمى بالكتاب المقدس :

أما الطائفة الأولى ، فهي المجموعة التي قامت بدراسة الكتاب المقدس دراسة موضوعية ، على اعتبار أنه تراث ضخم جمع فيه تاريخ وحياة الشعب الإسرائيلي ، كما جمع بين دفتين آثار الأمم الأخرى وأساطيرها . . . وينتهى هؤلاء إلى أن كتاب العهد القديم ، وضمنه أسفار موسى الخمسة ، ليس إلا مجموعة من الأسفار ، كتبت على يد مؤلفين مجهولين في الغالب ، على مدى أكثر من عشرة قرون . . وجمع بذلك أشعار وفلكلور مجموعة من الشعوب ، بما في ذلك الآثار الفلكلورية للشعوب القاطنة في منطقة الشرق الأدنى ، وبالذات الحضارات البابلية والآشورية والمصرية والفينيقية مع تأثيرات اليونان والفرس . . ويعتقد كثير من هؤلاء الباحثين ، أنه لايوجد حقيقة تاريخية لقصة نوح والطوفان ، وقصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبنيه . .

وأن هذه القصص لاتزيد في قيمتها التاريخية عما ورد في الإلياذة والأوديسة من أساطير . . وأن هناك شكوكا كثيرة حول شخصية موسى . . وأن ماورد في أسفار العهد القديم حول هذه الشخصية أمر لايستند إلى الواقع التاريخي وعلم الآثار ، وأن ما ورد من قصص وغيرها ، لاينبغي أن تؤخذ على أساس أنها تاريخ ، ففيها تزوير رهيب للتاريخ ، وأكاذيب لا حصر لها - وهو رأي لاتسانده الوثائق الأخرى أو المستندات المعاصرة أو النقد التاريخي - وقيمة هذه الكتب ترجع إلى قيمتها الأدبية ، وفي أنها تمثل تراث البشرية الأدبي وبعضها يرقى إلى مستوى أدبي عال جدا ، مثل سفر أرميا وسفر المزامير وسفر أيوب وسفر الأمثال وسفر الجامعة .

وأما الطائفة الثانية ، فتمثل أحبار اليهود والنصارى وعلماء اللاهوت ، وقد كان هؤلاء يعتقدون إلى القرن الثامن عشر ، وربما التاسع عشر للميلاد : أن هذه الكتب كتبها الأنبياء بإلهام من الله ، وأن الأسفار الخمسة (التوراة) كتبها موسى عليه السلام بوحي من الله ، وأن سفر يشوع بن نون تلميذ موسى وحواريه ووارث علمه ، قد كتبه بوحي من الله وإلهام ، وكذلك فعل صموئيل وأشعيا وأرميا وحجي وملاخي وزكريا إلخ .

وهذه المكتبة قد كتبها الأنبياء باللغة العبرية ، وبعضها بالآرامية ثم ترجمت في عهد بطليموس الثاني (275-246 قبل الميلاد) إلى اليونانية ، وقام بهذه الترجمة يهود الإسكندرية ، واشتهرت هذه الترجمة باسم الترجمة السبعينية لأن الذين قاموا بالترجمة (76) حبرا من أحبار اليهود في القرن الثالث قبل الميلاد .

واضطر علماء اللاهوت والرهبان والأحبار ، إلى القول بأن : هذه الكتب الكثيرة والأسفار المتعددة المنسوبة إلى موسى والأنبياء ، لم يكتبها موسى أو الأنبياء المذكورين حرفيا . . ولكن روح الله كانت تظلل أولئك الكتاب المجهولين ، الذين قاموا بصياغة هذه الكتب على مدى ألف عام . . ولهذا لاينبغي أن نفهم من كلمة (وحي) المفهوم الحرفي

http://kotob.has.it

لهذه الكلمة ، وإنما تؤخذ بالمعنى الإجمالي ، وهو إلهام الإله لهؤلاء البشر ، الذين قاموا بصياغة هذه الكتب في أزمنة مختلفة ، وعصور متباينة أشد التباين . . ولهذا فإن وقوع الأخطاء التاريخية في هذه الكتب ، لايعني عندهم أنها ليست وحيا من الله ، لأنهم يفهمون كلمة (الوحي) أو (الإلهام) بمعنى (فضفاض) ، بحيث يسمح بوقوع أخطاء وتناقضات ، ولهذا فهم يقرون أن : هذه الكتب ينبغي أن تفهم على المعنى الإجمالي ، لا على التفصيلي ، ولابد من تأويل هذه النصوص تأويلا كبيرا (قد يكون متعسفا جدا) ، حتى تنسجم مع الفكر الحديث . . .

"فإن الواجب هو قراءة هذه النصوص ، على أساس فهم الروح المهيمنة عليها ، والموجهة لها ، وهي (الروح الإلهامية) التي جعلها الله في قلوب الذين قاموا بكتابة وصياغة أسفار العهد القديم على مدى الأجيال المتطاولة" .

وباختصار لايوجد اليوم من مؤمن ، بأن هذه النصوص هي وحي حرفي من الله سبحانه وإن كان بعض محتواها دون التفاصيل له مايماثله في تراث المنطقة ، أوله مايؤيده من تنقيبات ومصادر أخرى لأقوام مجاورين وردت أسماؤهم أو مايشابه قصصهم فيها ، ومثال ذلك الكثير من المخطوطات المكتشفة حديثا أو القرآن ، وهذا الأخير ثابت تاريخيا إعجازا ومحتوى وشخصيات مركزية له .

ويزعم كثير من الكتاب الغربيين ومنهم جيمس هنري برستد في كتابه "فجر الضمير" أن كاتب سفر المزامير تأثر بنشيد أخناتون ويقول مايلي : "ونقل سفر أرميا أيضا شيئا من حكم أمنتموبي وكذلك المزمور الأول والمزمور الثاني" ويعتقد كثير من الباحثين الغربيين أن : كتاب العهد القديم تأثروا كثيرا بفلسفة مصر القديمة إلى الحد الذي صوروا فيه (يهوه) (الله) "بصورة الشمس ذات الجناحين" كماجاء في سفر ملاخي (3 :4) . .الخ . . .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

بما أن كتاب العهد القديم يمثلون مئات الأشخاص الذين عاشوا على مدى ألف عام أو يزيد ، فإن هؤلاء الكتاب ، تأثروا بمختلف الحضارات التي كانوا يعيشون بين ظهرانيها ، وقد استندوا إلى أصول ومخطوطات وثقافات شتى إضافة إلى مالديهم ، ولعل وحي الإله كان منتشرا تبليغا سابقا في بعض المناطق ما لبث أن تأثر بالرؤى الأسطورية والتحريف . . . وما هذا التشابه مع التوراة إلا من خلال ذلك ، ولعل التوراة أصبح مجموع الكتب مقارنة بمكتبة المنطقة السابقة وأساطيرها حول تعدد المصادر ، وكان الأب ديفو من أوائل الباحثين الذين توصلوا إلى أن موسى (عليه السلام) لم يكتب أسفار التوراة الخمسة المنسوبة إليه ، إذ كيف يعقل أن يكتب موسى قصة موته ، وكيفية دفنه ، وهو ما ورد في سفر التثنية (تثنية الاشتراع) الاصحاح 34 .

وفي عام 1753 قدم جان استروك ما أسماه (البرهان الحاسم) الذي يؤكد براءة موسى من كتابة الأسفار الخمسة (التوراة) ، ويذكر أن من يطالع سفر التكوين سيجد نصين جنبا إلى جنب ، أحدهما يسمى الإله باسم (يهوه) والثاني باسم (الوهيم) ؛ والعلماء يعتقدون أن القصص الخاص بيهوه قد كتب في مملكة الجنوب (يهوذا) بينما كتبت القصص الأخرى المتعلقة (بالوهيم) في مملكة الشمال "إسرائيل" ، وكلاهما ظهر بعد وفاة سليمان عندما انقسمت المملكة التي أسسها داوود إلى مملكتين متحاربتين ، إحداهما لسبط يهوذا وبنيامين في الجنوب وعاصمتها (أورشليم) ، والأخرى لبقية الأسباط (عشرة) في الشمال وتسمى إسرائيل وعاصمتها (شكيم) (بالقرب من مدينة نابلس الحالية) .

ويعتبر النص اليهوي سابقا على النص الإلهيمي وهو ماعالجناه بإسهاب فيما سبق وقد تنبه العالم "إيكهورن" (1780 - 1783) إلى أن الأسفار الأربعة الأخرى من التوراة تحتوي أيضا على نصين مختلفين ، وليس ذلك مقتصرا على سفر التكوين كما ظن استروك .

وقد جاء "ولهازن" ليصرح فيما بعد وقرب نهاية القرن الثامن عشر أن موسى لم يكتب شيئا من هذه الأسفار المنسوبة إليه ، وكذلك يشوع لم يكتب سفره المنسوب إليه وإنما كتب هذا السفر بعد وفاته بمئات السنين .

وفي عام 1798 عمد الباحث " إيلجن" إلى تحليل النص الإلهيمي فوجده ينقسم إلى قسمين مختلفين ، كتب كل واحد منهما في مرحلة مختلفة عن القسم الآخر ، وأن كتبة هذين القسمين ، مختلفون فكرا وبيئة وثقافة وأسلوبا . وبذلك تهاوى المنظور الكهنوتي للأحبار .

وكتعليق أخير على موضوع الكتاب المقدس لليهود ، نقول بأننا لانذهب أي مذهب في إنكار قدسية هذه الأسفار ، كما أننا لانذهب مطلقا إلى اعتبارها منحولة أومستقاة من مصادر خارجية ربما تواجدت يوما وبشكل أساطير ما . . . ونحن نعترف تمام الاعتراف بأنه كتاب ذي مصدر إلهي وأنه موحى به إلى أنبياء متعددون عرفتهم قبائل بني إسرائيل وعلى مدى تاريخ اليهود ، وكلنا باعتراف الباحثين والعلماء اليهود أنفسهم وحتى الأحبار منهم

http://kotob.has.it

ورجال الدين ، فإننا نقول بأن هذا الكتاب المقدس - والذي يعرف اختصارا بالتوراة - قد حور وأعيدت كتابته مرارا وعلى مدى أحقاب ومئات السنين كما أن الأيادي البشرية قد نالت منه بالبتر والإضافة والحذف والتكييف مع ماينسجم مع الرؤى اللاهوتية أو الحقبة التاريخية لتاريخ الكتابة أو النسخ وذلك عن بعد عهد عن المصادر الأصلية والأنبياء أنفسهم والذين لم يثبت ولو كتابة سفر واحد من كتب التوراة وذلك بشكل وفي للتنزيل أو لتاريخ تواجد النبي أو بيده الشخصية وإملائه .

ولعل كثيرا من الإشارات تدفعنا لهذا الحكم نظرا للنقد الداخلي للنصوص ولأسلوب الكتابة إضافة إلى تعدد القطع في المقطع الواحد وتعدد الكتبة تاريخا ومكانا ومشاكل التنقيط ومشكل الحرف وتباعد الزمان . إضافة إلى كون هذا الكتاب لاتكاد تخلو جملة من دون أن تكون محشوة ببعض الأخطاء سواء مايتناقض مع العقل أو مما ينافي المنطق ويتهاوى أمام النقد العلمي المعاصر والوسائل الحديثة كما أنه مستعص على القراءة بأصوله فدلائله متناقضة وبعيدة عن العلم الحديث ولا يمكن أن تكون ذات مصدر إلهي لأن اللّه تعالى لايعلم إلا الحق ولايمكن أن يصدر عنه ما يناقض المنطق والعلم أو يتهاوى أمامهما ، فهو كتاب محرف .

. . . ومن المعلوم أن نصوص التوراة قد فقدت مرارا وأعيد صياغة بعضها من الذاكرة . . وذلك على مراحل ، وكله مما أثبتناه في الفصول التي عالجناها والتوراة وكختام لاننكر عنه كونه كتابا لرسالة إلهية كان في أوائله وعند تنزيله أولا صادقا لوحي اللّه . . . ولكن يد الزمان لعبت به وحرفته ، وأفقدته صدقه وأهملته وأعادت صياغته .

ويبدو أن بعض الأنبياء الكبار مثل حزقيال لم يكن متواجدا عند تبليغ الأنبياء ممن سبقه لرسالتهم ومحتواها بنصوص منسوخة ومجموعة ولها درجة القداسة سابقة عليه بل أن هذه المصادر ربما كانت مفقودة انذاك ، فجاء تبليغ البعض منهم وفق رؤية شخصية ، رغم كون البلاغ موحى به من اللّه ، وهو أكثر تطورا مما سبق من تبليغ في أيام موسى مثلا حول محتوى الدعوة وإباحاتها وتوجيهاتها . . . وقد توضح هذا الأمر أكثر فيما بعد ، وذلك عندما اعتبر كتاب حزقيال متمما لجمل الكتب السابقة والتي نسبت لأنبياء وقادة مثل موسى ويوشع وغيره ، وبذلك فقد كانت دعوة حزقيال شبه تجديد في الفكر اليهودي ، وقد احتوت على رؤية لاهوتية وربما نواة تنظيمية أكثر تطورا من دعوة أناس في البراري قبل 700 عام من تواجد حزقيال وعصره .

إذ من المعروف أن تجدد المشرعين في الأنبياء يحمل نواة للتجديد والتوضيح إضافة إلى عنصر التغاضي أو السكوت وهو المعروف بالنسخ .

. . . وعند عملية جمع الكتب فيما بعد وجد هذا التطور البطيئ والذي ربما يتميز به كل مصلح أو نبي دون أن يشير بالضرورة إلى ماقبله بل يكون عمله مفرطا في الجدة نظرا لغياب المصادر التي سبقته والتي لم تعد تحت يد أتباعه وهو ما نلاحظه من عدم إشارة

http://kotob.has.it

النبي حزقيال أو تجاهله كلية لما سبقه في إشارة إلى عدم توفره على تلك الكتب السابقة عليه فجاء عمله توضيحيا في إعادة الأمور لنصابها وإعطاء نظرة لاهوتية جديدة ومتطورة .

وقد ظهر ذلك جليا لكل قارئ لتسلسل التوراة ومحتواها عند المقارنة رغم كون بعض الوثائق قد تم العثور عليها أو قد ضيعت جزئيا في وقت متأخر جدا وذلك بعد فقدانها أو تلفها ، ولقد تميزت المرحلة التالية للسبي البابلي بكونها أكثر حيوية ودقة في إثبات الأحداث والنبوات ومنذ القرن الخامس ق .م .

وهكذا نرى أن أمثال حزقيال هو في القيام بحفظ الدعوة والعقيدة اليهودية من الاندثار خاصة ، وهو رأي الباحثين والعلماء بعد ضياع أو غياب الجزء الأكبر من التوراة في تاريخ تواجده ، فحاول وضع ذلك من جديد وفق رؤية تجديدية ومعاصرة لظروف زمانه ، والاكتشافات اللاحقة الجزئية للمخطوطات عمل لاحق . وماعملية الأخذ عن المصادر المجاورة بعمل عبثي بل كان يستند عند الكتبة والأحبار على خيار وتشذيب بناء على مقارنة مع مخزونات الذاكرة أو التراث الشعبي أو المرويات الشفهية الشائعة بين أقوام اليهود خاصة في فترة المنفى . وعند معالجة الصياغة بالاستعانة من المصادر الرديفة المحلية كانت تتم عملية الخلط مع المادة الأسطورية لغة ومحتوى . وربما هذا هو سبب هذا التشابه فيما حوته التوراة من مادة قصصية أو تشريعية مع تراث المنطقة ككل . وربما عملية التجديد هذه للبعض دفعت لتسميتهم بالأنبياء الكبار .

http://kotob.has.it

ملحق توضيحي:

1 ـ حول النبوءات بمقدم محمد بن عبد الله النبي عليه السلام في نصوص التوراة أو الإنجيل :

وحول البشارات بالأنبياء التالين في الكتب المقدسة السابقة عليهم :

فلقد ورد على لسان النبي موسى في تثنية الاشتراع -18 / 11 و19-

و "كلم آدوناي موسى بهذه العبارات :

. . .- .سأقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك . وسأجعل كلامي في فمه وسيقول لكم كل ما أحدث به . فإذا وجد ثمة من لايسمع كلامي الذي يتكلم به هذا النبي باسمي فإنني أنا الذي سأحاسبه عليه ."

. . . والنص الذي استشهدت به موجود في التوراة الحالية كما أنه مأخوذ عن نص قمراني عبري من المغارة الرابعة أعطاه أليغرو عنوان : "تستمونيا" . . . أي "الوصية . ولعل قول الله لموسى هو نبوءة صحيحة في مجيء محمد عليه السلام . .نبيا وذلك من وسط إخوة أصول بني إسرائيل . ومعروف أن محمدا هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم خليل الله ، إسماعيل أخ لإسحاق .

أما النبوءة الثانية فهي ذكر متكرر وخاصة عند أشعيا وفي التثنية :

-32/2- : وفي التوراة لقوله : بأن الله قد تجلى بسيناء وظهر ؛ وحلت رحمته بساعير - وهي جبال بالجليل على مقربة من القدس بفلسطين- - وسيأتي بالنار والإنذار والمجد وبأعداد غفيرة وذلك من فاران - وهي جبال على مسيرة يومين من مكة"- وحسب بعض الدارسين فإن فاران بها مقام إسماعيل بقول الكتبة والبحاثة والعلماء . . . والعبارات واضحة في موسى وعيسى ومحمد .

. . . أما المسيحيون واليهود فينكرون تماما كون كلتي المقطعين أعلاه هما نبوءات وتبشير بمحمد رسول الله عليه السلام . وقد وردت إشارات أخرى في كتاب حزقيال مثلا . . أما الأناجيل ، فإن إنجيل يوحنا المعتبر اليوم موضوع اعتماد عند المسيحيين وتقديس كبير ، فقد تكلم عن الفار قليط وحول كونه مؤيدا من الله ولايتكلم إلا بما يوحى إليه . . . وقد أول ذلك بالروح القدس فيما بعد خطأ عن ترجمات محرفة . . . وهو مذهب جمهور النصارى اليوم ، في إنكار نبوة محمد رسول الله . وهناك أناجيل أخرى لاتعترف بها الكنيسة وتعتبرها منحولة وهي تعترف صراحة بمقدم النبي محمد . والعبرانيون ينكرون النبوة حتى عن يسوع المسيح حين ظهر .

. . . ومن المعلوم أن بعضا من الأنبياء المذكورين في الكتب المقدسة قد بشر بعضهم بمقدم الآخر اللاحق . . . أما الأنبياء الكبار فقد تكرر الإبلاغ عنهم عند الجميع ربما تأكيدا على أهمية رسالاتهم ودعوة للإيمان بهم كعيسى المسيح عليه السلام ومحمد الخاتم . . وذكرت في الكتب علامات وإشارات عن عصورهم وعنهم .

http://kotob.has.it

2 - خلاصة ختامية حول دعاوي اليهود بأرض الميعاد وموقف الإسلام:

وإذا ما أخذنا المنطق الديني ، وكخلاصة على استنتاجاتنا فإنه ومقارنة بالقرآن الكريم ، وهو آخر تبليغ سماوي والوحيد الذي صرح عبر تصحيحه للروايات التوراتية ، فقد جاء في القرآن أن التوراة - وكذلك الأناجيل وما شابه من كتب - قد جاء تحويرها وتحريفها وإخفاء بعض ملامحها أو إخفال أحكامها وعلى مر السنين مع الاعتراف بقدسيتها .

كما أنه قد جاء في تصريح واضح على أن الأرض المقدسة كانت موعودة لبني إسرائيل من قوم موسى ولكنهم منعوا منها سبب ضلالهم وتاهوا في الصحاري أربعين سنة لمعاندتهم وكفرهم بعهد الله وميثاقه وهم قريبو عهد من معجزات نبيهم موسى .

ونقول بأن الله وبنص القرآن أيضا قد اصطفى بني إسرائيل وفضلهم على العالمين . وكان ذلك بصدق انضوائهم وتطبيقهم لمضامين شريعتهم وعند استقامتهم لأنهم أول شعب متعدد الأعراق نزلت بينهم نبوة التوحيد وكتابها الأول ألا وهو وتوراة موسى ثم ماتبعها . وقد جاء يسوع المسيح فيما بعد في بني إسرائيل مبشرا ومخففا الإصر والتكاليف ومصححا لبعض المفاهيم . ولكن جمهور متنفذي اليهود عادوه وكذبوه وتآمروا على قتله . وبذلك فتعتبر المسيحية أول ناسخ وفق تعاليم المسيح لبعض مضامين التوراة . أما مجمل ما أسلفنا فهو منسوخ بالنبوة الخاتمة لمحمد رسول الله الذي آمن به بعض أهل الكتاب وكفر البعض الآخر . وبذلك فمفاهيم التفرد والتعالي والأثرة والاختيار والتي اعتبرها اليهود حكرا عليهم ما كانت إلا لنصرة دين التوحيد ببساطته وفطرته والذي هو دين إفراد الألوهية والعبودية لله الواحد الأحد والتصديق بأنبيائه وإتباع تعاليمهم وخاصة في مكارم الأخلاق وتطبيق ما أمر به الله . ولكن الإسلام ودعوته السلمية نص على أنه : " لا إكراه في الدين" وأن اليهود والنصارى وحتى الصابئين والمجوس فحسابهم مرجأ لله من آمن منهم بالله واليوم الآخر . فالتعايش السلمي أحد ركائز هذا الدين وخاصة عند ازدهاره وفتوحاته ، خلافا لما فعلته دول أوروبا أو الصليبيين بالمسلمين أو اليهود والذي كانوا تحت ولايتهم . . . . وهو محفوظ في بطون الكتب وذاكرة الأمم .

فمفاهيم العلو والأثرة والأرض الموعودة أضحت اليوم مفاهيم عفا عليها الزمان وقد نسخها الإسلام بقول الله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس . ." وذلك عند تطبيق أي أمة لدين الأنبياء والتي كان نبيها الخاتم المبشر في الكتب جميعا وذلك خلافا لجميع الشعوب الأخرى والتي جاءت رسلها تخصيصا" في قوم دون آخرين وأن كثرت شرائعها .

وبذلك تهاوت دعاوي من يقول بأرض الميعاد في عصور لاحقة على الإسلام خاصة بعد انتشاره في الأرض مشارقها ومغاربها مع عدم إرغام أحد وتعدد القوميات والإثنيات ووحدة الأمة ، تحت لواء دين وعقيدة واحدة هي الدين الخاتم والناسخ لما غيره .

وشعب الله المختار ربما كان كذلك لردح من الزمان وذلك ربما لأنه كان أول من اتبع نبي على دين التوحيد المطلق وطبق شرائعه وتوالت فيه الرسل والأنبياء . . . ولكن ذلك كان

http://kotob.has.it

كأساطير ومزجت الأوثان بأنصاف الآلهة والبشر فما استحق أحد منهم عهد الله . والدين دين الله ومن اعتصم به أورثه الله الأرض . . .

. . . وكما قلنا فالدعوى اليهودية باطلة عاما اليوم سواء أجئنا بوثائق قانونية أم بدعاو تاريخية أو بمقارنة منطقية . ولعله كان على أحبارها أن ينفتحوا أكثرا ليقرؤوا فحوى كتب غيرهم من المجاورين . . .

أما حول نبوءات القرآن ، فقد جاء في سورة الإسراء من الآيات الافتتاحية قوله تعالى : "وقضينا لبني إسرائيل في الكتاب . . ." وجاء فعل قضى في صيغة الماضي أي دلالة على كونه أمرا إلهيا مقضيا -كما ذكر في سورة مريم عند حملها- .

وتتمتها : "لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلون علوا كبيرا . ." وجاء فعل فسد بصيغة المضارع أي في معنى الاستقبال لما سيلي شرحه من لام القسم للتوكيد ونون التوكيد "فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار . . وكان وعدا مفعولا" .

وقد جاء الكلام بصيغة الفعل الماضي جميعه وهو دلالة ربما على نفي بابل وتحطيم الهيكل والسبي بعد تقتيل المملكتين الشمالية والجنوبية (إسرائيل ويهودا .) والمقصود هنا "هم الآشوريين ." وكان وعدا مفعولا : "أي حققناه :" (ثم رددنا لكم الكرة عليهم . . ." وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) "ومعلوم أن نسبة اقتصاد دولة إسرائيل المعاصرة وأحوالها ونفيرها غالب تماما وتوازنها العسكري متفوق على المنطقة كلها . " وضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا الإبحبل من الله وحبل من الناس" وهنا الحبل ذي دلالة على العون والمساعدة لتحقيق وعد الله الحتمي فيما سيلي من قوله وفي نفس السورة "الإسراء" إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها" وفيها الشرط .

ونهاية الآيات قول القرآن : . . ." فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا (. . .) وإن عدتم عدنا" وفي هذا السياق من تحقق وعد الكرة الثانية - وهي استقبالية - فقد استعمل الفعل المضارع مع لام القسم ونون التوكيد من باب التحقق الحتمي وسحق العتاة أو انهزامهم فيما بعد فترة نبوة محمد . والدخول للمرة الثانية دلالة على قوم سبق تواجدهم . ويقول البعض بأن المقصود هو تحطيم هيكل أورشليم عام 70 م على يد الرومان ، ولكن السياق لايطابقه ، فاليهود كانوا مغلوبين على أمرهم حينها وتحت الاحتلال الروماني منذ ردح من الزمان كما أن هذا العهد سابق على تنزيل السورة بزمن طويل ولم ترد الكرة لبني إسرائيل على المتواجدين حينها . كما أن الروم لم يسبق لهم نزوح أو انهزام قبل تحطيم وحرق القدس عام 70م . كي يدخلوا للمرة الثانية إلى ديارهم . . . قصد الانتقام .

http://kotob.has.it

. . .فلا داعي لاستعمال أسلوب الاستقبال من خلال الفعل المضارع وكان يكفي الماضي . . . . وكما نعلم فالقرآن كلام إلهي وكل حرف له معنى في إعجازه وموقعه ومغزاه

الرباط 2009

سعد

http://kotob.has.it

جدول زمني في تاريخ المنطقة واليهود وأهم الأحداث

حوالي 1400 ق.م	- حسب رسائل تل العمارنة للفرعون اخناتون: استعباد بني إسرائيل.
حوالي 1250ق.م	- الخروج ونبوة موسى في عهد رمسيس الثاني ومنبتاح ولده
حوالي القرن الثاني عشر ق.م	- يوشع والقضاة والتنظيم القبائلي الفدرالي مع خرق في بلاد الكنعانيين والفلسطينيين.

حروب في المنطقة في سبيل الاستحواذ على أرض

حوالي 1030 ق.م	- الملكية شاؤول - داود- سليمان - إحداث نظام المجالس والمستشارين وكبير الكهنة.
حوالي 722-721ق.م	- حصار وسقوط السامرة من قبل شلمنصر الخامس وسرجون الثاني -النفي إلى نينوى ونهاية مملكة إسرائيل.

ومع نهاية مملكة إسرائيل نزح الكثيرون إلى الجليل والسامرة
ومنهم الفارون والأجانب ممن نقلهم السادة الجدد

حوالي 609 ق.م	- الملك جزوزياس ملك يهوذا يقتل على يد الفرعون ينكو في مجدو واحتلال مصر للمنطقة.
حوالي 605ق.م	- بنوخذ نصر البابلي ينتصر على ينكو فرعون مصر وملك يهوذا يواشيم يدفع الجزية للبابليين مع تحضيره للثورة.

http://kotob.has.it

حوالي 597 ق.م	- حمل الملك يواشيم إلى بابل
حوالي 586 ق.م:	الإدارة المباشرة البابلية للمنطقة. -سقوط القدس وحرق الهيكل مع نفي الملك والشعب وهروب البعض لمصر.
حوالي 538 ق.م	- منشور سيروس سيد بابل المطلق بعودة تدريجية لليهود (زرو بابل - نحميا - عزرا) تحت الإدارة الفارسية. - قابلية الحياة الدينية المستقلة. - إحداث دور الكاهن الأكبر والسنهدرين
حوالي 350 ق.م	- حكم أرتكاسا ركس الثالث والاعتراف بيهودا كدولة دينية مستقلة لها الحق في ضرب النقود الخاصة بها.
حوالي 322 ق.م	- زيارة الإسكندر الأكبر للقدس مع تواجد مراكز يهودية في مصر وبابل وذلك عبر المنفى.
من 320 - 200 ق.م:	- احتلال المنطقة من قبل مصر اللاغية وحوالي عام 285 ق.م الترجمة السبيعينة للتوراة في الإسكندرية وباليونانية.
من 200-142 ق.م:	احتلال المنطقة من قبل دولة سوريا السلوقية.
187 ق.م	- سوريا بأجمعها وفلسطين تحت الحكم الروماني وتحت حكم انطيوخوس الرابع أبيفانوس مع إدخال التأثيرات اليونانية المكثفة في المنطقة وثورة المكابيين.
142 ق.م:	- معاهدة ثنائية بين ديمتريوس الثاني لسوريا وشمعون الحشموني تعترف باستقلال محدود ليهوذا والزعيم الحشموني هو في نفس الوقت قائد عسكري وكاهن أعظم.
حوالي 64-63 ق.م	- سوريا ويهوذا تصبحان ولايات رومانية مباشرة والرومان هم الذين يعينون ملوك يهوذا والكهان
40 ق.م.	- منح لقب الملك الحليف لروما ليهرودت الأكبر وذلك على مناطق يهوذا والسامرة والجليل.
6 ق.م	- ولادة يوحنا المعمدان بن زكريا.
حوالي 5 او 4 ق.م	- ولادة يسوع عيسى بن مريم النبي.
حوالي 70 م:	- حرق وخراب القدس ودمار الهيكل والتنكيل باليهود والنصارى.

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل الملف من

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

لاتنسونا من صالح الدعاء

Make Du’a for us.